اللطائف الربانية

في أذكاره الروحانية

جامعها ومؤلفها الشيخ
عبد الله بن فهد العيسى

- فضل العلم وأهله
- فضل مكة المكرمة والمدينة المنورة
- معجزات المصطفى ﷺ وكرامات أمته
- القرآن والسنة شفاء من كل داء

مكتبة
التوبة



الألطاف الربانية

في أذكاره الروحانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الألطاف الربانية

في أذكاره الروحانية

لجامعها ومؤلفها الشيخ

عبد الله بن فهد العيسى

- فضل العلم وأهله
- فضل مكة المكرمة والمدينة المنورة
- معجزات المصطفى ﷺ وكرامات أمته
- القرآن والسنة شفاءان من كل داء

مكتبة

التوبة

الطبعة الثانية

١٤١٥هـ - ١٩٩٥م



الرياض - المملكة العربية السعودية - شارع جرير
هاتف ٤٧٦٣٤٢١ ص. ب ١٨٢٩٠ الرمز ١١٤١٥

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الكريم المنان أكرمنا بالقرآن يبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل ويبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار أمرنا بالدعاء ووعدنا بالاجابة، «وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعاني، فاليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون». جعل سبحانه بعد الشدة فرجا وبعد الضيق سعة ومخرجا ولم ينزل محنة وبلاء إلا أعقبها بعطية منحة ولا نقمة ومصيبة إلا فرجها بموهبة وعطية. والصلاة والسلام على سيد الرسل وإمام المتقين محمد وآله وصحبه أجمعين ــ أما بعد فهذه أدعية وأذكار خاصة وعامة مأخوذة ومقتبسة من كتاب الله وسنة رسوله، فيها الغذاء الروحاني فيها صلة العبد بربه، فيها النور التام بالدنيا والآخرة، فيها السعادة الأبدية، فيها الرزق الواسع تنشرح الصدور بذكرها وقراءتها والدعاء بها، فيها العصمة من شياطين الجن والانس فيها الاطمئنان والراحة، فيها الفتوحات الربانية والألطاف الرحمانية، فيها الايمان والامان، فجدير بالمسلم أن يتوسل بها وتكون صلته بربه وغذاءه وزاده صباحا ومساء يجد الخير كله .

وقد سميتها الألطاف الربانية في أذكاره الروحانية وقد تم طبع الجزء الأول منه في أذكار الحج وهذا الجزء الثاني يشتمل على ثلاثة أجزاء، الأول في الأدعية والأذكار الربانية، الثاني في الفرج بعد الشدة، والثالث شفاء الناس بالقرآن وبهدي سيد الأنام .

كما أن مسمى هذا الكتاب يحوي ثلاثين جزء، وكل جزء يشتمل على أجزاء أما مرتبطة أو مفصولة على حدتها، سائلا المولى العظيم أن يجعلها خالصة لوجهه الكريم وأن يعم بنفعها القاريء والمستمع وأن يبارك لنا فيها وأن يبارك لكل من ساهم في توزيعها أو قراءتها والاستفادة منها سواء كان عن طريق النشر التجاري أو التبرع الالاهي وان يجعلها مفتاح دار النعيم وموصلة للقرب من رب العالمين مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولائك رفيقا، بمنه وكرمه وإحسانه .

آيات وأدعية ترد الشيطان وتوجب الأمان وتزيل ما ألم بالانسان

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ـــ بسم الله الرحمن الرحيم

«قل أعوذ برب الناس. ملك الناس. إله الناس. من شر الوسواس الخناس. الذي يوسوس في صدور الناس. من الجنة والناس». بسم الله الرحمن الرحيم

«قل أعوذ برب الفلق. من شر ما خلق. ومن شر غاسق إذا وقب. ومن شر النفاثات في العقد. ومن شر حاسد إذا حسد» .

بسم الله الذي لا يضر مع إسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم (ثلاثا). أو سبعاً .

بسم الله ذي الشأن عظيم السلطان شديد البرهان قوي الأركان ما شاء الله كان أعوذ بالله من كل شيطان إنس وجان (ثلاثا) .

أعوذ بكلمات الله التامات ومن شر ما خلق (ثلاثا) .

أعوذ بوجه الله العظيم الذي ليس شيء أعظم منه، وبكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر : من شر ما خلق، وذرأ وبرأ. ومن شر من ينزل من السماء وما يعرج فيها. ومن شر ما يلج في الأرض وما يخر منها ومن شر طوارق الليل والنهار الا طارقا يطرق بخير يارحمن .

كنوز عظيمة

أدعية الصباح والمساء فيها خير عظيم تجلب الخير وتدفع الشر :

أصبحنا وأصبح الملك لله الواحد القهار والحمد لله .

لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير .

رب اسألك خير هذا اليوم وخير ما بعده وأعوذ بك من شره ومن شر ما بعده .

رب أعوذ بك من الكسل والهرم وسوء الكبر ومن فتنة الدنيا وعذاب القبر .

أصبحنا وأصبح الملك لله رب العالمين .

اللهم إني أسألك خير هذا اليوم : فتحه ونصره، ونوره وبركته وهداه وأعوذ بك من شر ما بعده اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا وبك نحيا وبك نموت وإليك النشور أصبحنا وأصبح الملك لله والحمد لله لا شريك له، لا إله إلا هو إليه النشور .

اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة رب كل شيء ومليكه أشهد أن لا إله إلا أنت أعوذ بك من شر نفسي ومن شر الشيطان وشركه وإن أقترف على نفسي سوءا أو أجره إلى مسلم .

اللهم أصبحت أشهدك وأشهد حملة عرشك وملائكتك وجميع خلقك إنك أنت الله لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمدا عبدك ورسولك (ثلاثا) .

اللهم إني اسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي .

اللهم أستر عوراتي وآمن روعاتي وأحفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي أعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي .

لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير .

رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد ﷺ نبيا ورسولا .

اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد .

اللهم عافيني في بدني اللهم عافيني في سمعي اللهم عافيني في بصري لا إله إلا أنت (ثلاثا) .

اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر ومن عذاب القبر لا إله إلا أنت (ثلاثا) .

سبحان الله وبحمده لا قوة إلا بالله ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن أعلم إن الله على كل شيء قدير وإن الله قد أحاط بكل شيء علما .

أصبحنا على فطرة الاسلام وكلمة الاخلاص ودين نبينا محمد ﷺ وعلى ملة نبينا إبراهيم حنيفا مسلما وما كان من المشركين .

« دعاء الكرب »

يا حي يا قيوم يا بديع السموات والأرض ياذا الجلال والاكرام لا إله إلا أنت برحمتك أستغيث أصلح لي شأني ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين .

« سيد الاستغفار »

اللهم أنك انت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك عليّ وأبوء بذنبي فأغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت .

دعاء عظيم يدعو به كل ملهوف
وهو «دعاء الشكر والثناء على الله»

اللهم أنت أحق من ذكر وأحق من عبد وأنصر من إتقى وأرأف من ملك وأجود من سئل وأوسع من أعطى أنت الملك لا

شريك لك والفرد الذي لا ند لك كل شيء هالك إلا وجهك لم تطاع إلا بإذنك ولن تعصى إلا بعلمك تطاع فتشكر وتعصي فتغفر أقرب شهيد وأدنى حفيظ حلت دون النفوس وأخذت بالنواصي وكتب الآثار ونسخت الآجال القلوب لك مفضية والسر عندك علانية والحلال ما أحللت والحرام ما حرمت والدين ما شرعت والخلق خلقك والعبد عبدك وأنت الله الرؤوف الرحيم أسألك بنور وجهك الذي أشرقت له السموات والأرض وبكل حق هو لك وبحق السائلين عليك أن تقبلني بهذه الغداة وأن تجيرني من النار بقدرتك .

أدعية الخوف من العدو ومن هموم الديون وفيها «الاعتراف وتفويض للخالق»

حسبي الله لا اله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم (سبع مرات) .

لا اله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير .

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما

باركت على ابراهيم وآل ابراهيم إنك حميد مجيد .

اللهم اني أعوذ بك من الهم والحزن واعوذ بك من العجز والكسل ومن البخل والجبن وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال .

أصبحنا وأصبح الملك لله والكبرياء والعظمة والخلق والأمر والليل والنهار وما يضحي فيهما لله وحده .

اللهم اجعل أول هذا اليوم صلاحا، وأوسطه فلاحا، وآخره نجاحا أسألك خيري الدنيا والآخرة يا أرحم الراحمين .

لبيك اللهم لبيك، وسعديك، والخير في يديك ومنك وإليك .

اللهم ما قلت من قول أو حلفت أو نذرت من نذر، فمشيئتك بين يدي ذلك، كله ما شئت كان وما لم تشأ لم يكن ولا حول ولا قوة إلا بك .

اللهم ما صليت من صلاة فعلي من صليت وما لعنت من لعن فعلي من لعنت أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلما والحقني بالصالحين .

اللهم إني أسألك الرضى بعد القضاء، وبرد العيش بعد الموت

ولذة النظر إلى وجهك الكريم، والشوق إلى لقائك، في غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة، وأعوذ بك أن أظلم أو أظلم أو أعتدي أو يعتدى علي أو أكتسب خطيئة أو ذنبا لا تغفره .

اللهم فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة ذا الجلال والاكرام إني أعهد لك في هذه الحياة الدنيا وأشهدك وكفى بك شهيدا أني أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، وأن محمدا عبدك ورسولك وأشهد أن وعدك حق ولقاءك حق والجنة حق والنار حق .

وأن الساعة آية لا ريب فيها وأنك تبعث من في القبور وأنك إن تكلني إلى نفسي تكلني إلى ضعف وعورة وذنب وخطيئة وأني لا أثق إلا برحمتك فاغفر لي ذنوبي كلها وتب علي إنك أنت التواب الرحيم .

«دعاء قضاء الدين ورفع الكرب»

اللهم رب السموات والأرض، ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء فالق الحب والنوى منزل التوارة والانجيل والفرقان أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء أقضي عني الدين وأغنني من الفقر .

«أدعية عامة»

اللهم إني أعوذ بك من أن أرد إلى أرزل العمر .

اللهم اهدني إلى أحسن الأعمال والاخلاق لا يهدي لإحسنها إلا أنت وأصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت .

اللهم أصلح لي دين ووسع لي في داري وبارك لي في رزقي .

اللهم إني أعوذ بك من القسوة والغفلة والذلة والمسكنة وأعوذ بك من الكفر والفسوق والشقاق والسمعة والرياء وأعوذ بك من الصمم والبكم والجذام وسيء الأسقام.

اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها .

اللهم أني أعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ونفس لا تشبع ودعوة لا يستجاب لها .

اللهم أني أعوذ بك من شر ما عملت ومن شر ما لم أعمل وأعوذ بك من شر ما علمت ومن شر ما لم أعلم اللهم أني أعوذ بك من زوال نعمتك وتحول عافيتك وفجاءة نقمتك وجميع سخطك .

اللهم أني أعوذ بك من الهرم والتردي ومن الغرق والحرق والهرم وأعوذ بك من أن يتخبطني الشيطان عند الموت وأعوذ بك من أن أموت لديغا وأعوذ بك من طمع يهدي إلى طبع .

اللهم صلي على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم إنك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل إبراهيم .

اللهم أني أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء والأدواء وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر العدو وشماتة الأعداء.

اللهم أني أعوذ بك من البرص والجذام وسيء الأسقام .

اللهم اغفر لي جدي وهزلي وخطيء وعمدي وكل ذلك عندي .

اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي وأصلح لي آخرتي التي إليها معادي وأجعل الحياة زيادة لي في كل خير واجعل الموت راحة لي من كل شر رب أعني ولا تعن علي وأنصرني ولا تنصر علي وأهدني ويسر الهدى لي .

اللهم أجعلني ذكارا لك شكارا لك مطواعا لك مخبتا إليك أواها منيبا رب تقبل توبتي وأغسل حوبتي وأجب دعوتي وثبت حجتي وأهد قلبي وسدد لساني وأسلل سخيمة صدري .

اللهم أني أسألك الثبات في الأمر والعزيمة على الرشد وأسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك وأسألك قلبا سليما ولسانا صادقا وأسألك من خير ما تعلم وأعوذ بك من شر ما تعلم وأستغفرك مما تعلم وأنت علام الغيوب .

اللهم صلي على محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذرياته.

اللهم ألهمني رشدي وقني شر نفسي .

اللهم إني أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين وأن تغفر لي وترحمني وإذا أردت بعبادك فتنة فتوفني إليك منها غير مفتون .

اللهم إني أسألك حبك وحب من يحبك وحب كل عمل يقربني إلى حبك .

اللهم حببني إليك وإلى ملائكتك وأنبيائك وجميع خلقك .

اللهم أجعل حبك أحب إلى من نفسي وأهلي ومالي وولدي ومن الماء البارد على الظمأ .

اللهم متعني بسمعي وبصري وانصرني على من ظلمني وخذ منه بثأري .

اللهم اجعل خير عمري آخره وخير عملي خواتمه وخير أيامي يوم لقائك .

اللهم إني أسألك عيشة نقية وميتة سوية ومردا غير مخذول فاضح .

اللهم اجعلني صبورا واجعلني شكورا واجعلني في عيني صغيرا وفي أعين الناس كبيرا رب أغفر وارحم واهدني السبيل الأقوم .

اللهم صل على محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذرياته .

اللهم اجعل أوسع رزقي عند كبر سني وانقطاع عمري .

«كنوز عظيمة وأدعية جليلة»

اللهم إني أسألك خير المسألة وخير الدعاء وخير النجاح وخير الثواب وثبتني وثقل موازيني وحقق إيماني وارفع درجاتي وتقبل صلاتي واغفر خطيئاتي وأسألك الدرجات العلى من الجنة آمين .

اللهم إني أسألك فواتح الخير وخواتمه وجوامعه وأوله وآخره وظاهره وباطنه والدرجات العلى من الجنة آمين .

اللهم إني أسألك خير ما آتي وخير ما أفعل وخير ما بطن وخير ما ظهر وأسألك الدرجات العلى من الجنة آمين .

اللهم إني أسألك أن ترفع ذكري وتضع وزري وتطهر قلبي

وتحصن فرجي وتغفر لي ذنبي وأسألك الدرجات العلى من الجنة آمين .

اللهم إني أسألك أن تبارك لي في سمعي وفي بصري وفي روحي وفي خلقي وفي خلقي وفي أهلي وفي محياي وفي عملي وتقبل حسناتي وأسألك الدرجات العلى من الجنة آمين .

اللهم إني أعوذ بك من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الأعداء .

اللهم مقلب القلوب ثبت قلبي علي دينك .

اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك .

اللهم اغفر لنا وارحمنا وارضى عنا وتقبل منا وادخلنا الجنة ونجنا من النار واصلح لنا شأننا كله .

اللهم زدنا ولا تنقصنا واكرمنا ولا تهنا واعطنا ولا تحرمنا واثرنا ولا تؤثر علينا.

اللهم اعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك .

اللهم احسن عاقبتنا في الأمور كلها واجرنا من خزي الدنيا وعذاب الاخرة .

«أدعية القنوت وختم القرآن»

اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقواتنا ما احييتنا واجعلها الوارث منا واجعل ثأرنا على من ظلمنا وانصرنا على من عادانا ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ولا تجعل مصيبتنا في ديننا ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك فينا ولا يرحمنا .

اللهم إنا نسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك والغنيمة من كل بر والسلامة من كل شر والفوز بالجنة والنجاة من النار .

اللهم لا تدع لنا ذنبا إلا غفرته ولا عيبا إلا سترته ولا هما الا فرجته ولا دينا إلا قضيته ولا حاجة من حوائج الدنيا والآخرة هي لك رضا ولنا صلاحا الا قضيتها يا أرحم الراحمين .

اللهم إني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي وتجمع بها أمري وتلم بها شعثي وتحفظ بها غائبي وترفع بها شاهدي وتبيض بها وجهي وتزكي بها عملي وتلهمني بها رشدي وترد بها الغيبي وتعصمني بها من كل سوء .

اللهم اعطني إيمانا صادقا ويقينا ليس بعده كفر ورحمة أنال بها شرف كرامتك في الدنيا والآخرة .

اللهم إني أسألك الفوز يوم القضاء وعيش السعداء ومنزل الشهداء ومرافقة الأنبياء والنصر على الأعداء .

اللهم أنزل بك حاجتي وإن قصر رأي وضعف علمي وعملي إفتقرت إلى رحمتك فأسألك يا قاضي الأمور ويا شافي الصدور كما تجير بين البحور أن تجيرني من عذاب السعير ومن فتنة القبور ومن دعوة الثبور .

اللهم ما قصر عنه رأي وضعف عنه عملي وعلمي ولم تبلغه مسألتي من خير وعدته أحدا من خلقك أو خير أنت معطيه أحدا من عبادك فإني أرغب إليك فيه وأسألك إياه برحمتك يا رب العالمين .

اللهم ذا الحبل الشديد والأمر الرشيد أسألك الأمن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود الركع السجود الموفين بالعهود إنك رحيم ودود تفعل ما تريد .

سبحان من تعطف بالعز وقال به سبحان من لبس المجد وتكرم به سبحان من لا ينبغي التسبيح الا له سبحان ذو الفضل والنعم وسبحان ذو المجد والكرم سبحان الذي أحصى كل شيء علمه .

اللهم إني أسألك العفو العافية والمعافاة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة اللهم إنك عفوا تحب العفو فأعفو عني اللهم إني أسألك صحة في إيمان وإيمانا في حسن خلق ونجاحا يتبعه نجاح ورحمة منك وعافية منك ومغفرة منك ورضوانا اللهم إني أسألك الصحة والعفة وحسن الخلق والرضا بالقدر .

اللهم أجعلنا هادين ومهتدين غير ضالين ولا مضلين سلما لأوليائك حربا لاعدائك نحب بحبك من أحبك ونعادي بعداوتك من عاداك .

اللهم إنك قلت وقولك الحق «ادعوني أستجب لكم» اللهم هذا الدعاء وعليك الاجابة وهذا الجهد فعليك التكلان ولا حول ولا قوة إلا بك. اللهم صلي على محمد وعلى آل محمد . اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم. اللهم فارج الهم وكاشف الغم مجيب دعوة المضطرين رحمان الدنيا والآخرة ورحيمهما أرحمني رحمة تغنيني بها عن رحمة من سواك .

فوائد جليلة وكنوز عظيمة ــ أدعية ربانية فيها السعادة في الدنيا والآخرة :

إعتصمنا بالله الذي ليس شيء منه ممتنع وبعزة الله التي لا ترام ولا تضام وبسلطان الله نحتجب وبأسماء الله الحسنى كلها عائذا بالله من الآبالسة ومن شر شياطين الانس والجن ومن شر كل معلن أو مسر ومن شر ما يكمن بالليل ويخرج بالنهار أو يكمن بالنهار ويخرج بالليل ومن شر ما خلق وذرأ وبرأ من شر إبليس وجنوده ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها .

أعوذ بالله مما أستعاذ به موسى وعيسى وابراهيم الذي وفى ومن شر ما خلق وذرأ وبرأ ومن شر إبليس وجنوده ومن شر ما يتلقى .

اللهم إني أسألك خير ما عندك وأفض علي من فضلك وأنشر علي من رحمتك وانزل علي من بركاتك .

اللهم لك الحمد كله ولك الملك كله وبيدك الخير كله وإليك يرجع الأمر كله علانية وسرا فأهل أنت أن تحمد إنك على كل شيء قدير .

اللهم إني ضعيف فقوني في رضاك وخذ إلى الخير بناصيتي واجعل الاسلام منتهى رجائي .

اللهم إني ضعيف فقوني وإني ذليل فعزني وإني فقير فأغنني.

اللهم لك الحمد كله لا قابض لما بسطت ولا باسط لما قبضت ولا هادي لمن أضللت ولا مضل لمن هديت ولا معطي لما أعطيت ولا مقرب لما باعدت ولما مباعد لما قربت .

اللهم أبسط علينا من بركاتك ورحمتك ورزقك .

اللهم أني أسألك النعيم يوم العيلة والأمن يوم الخوف اللهم إني عائذ بك من شر ما أعطيتنا ومن شر ما منعتنا .

اللهم حبب إلينا الايمان وزينه في قلوبنا وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا من الراشدين .

اللهم إحيينا مسلمين وتوفنا مسلمين غير خزاي ولا مفتونين

اللهم قاتل الكفرة من الذين أوتوا الكتاب إلٰه الحق.

اللهم إني أعوذ بك من الطعن والطاعون والوباء وعظيم البلاء في النفس والأهل والمال والولد الله أكبر الله أكبر لله أكبر مما نخاف ونحذر الله أكبر الله أكبر عدد ذنوبنا حتى تغفر .

اللهم كما بعثت فينا نبيك محمد صلى الله عليه وسلم فاعمر لنا منازلنا ولا تؤاخذنا بسوء فعلنا ولا تهلكنا بخطايانا يا أرحم

الراحمين سلام قولا من رب رحيم حصنت نفسي وأهلي ومالي وولدي بالله الحي القيوم الذي لا يموت ابدا ورفع الله عنا السوء والأذى بالف الف الف لا حول ولا قوة إلا بالله العظيم .

اللهم اني أعوذ بك من الطعن والطاعون ومن هجوم البلاء ومن موت الفجأة ومن سعرة الحمى ومن سوء القضاء ومن شر البلاء وأعوذ بك من درك الشقاء وشماتة الاعداء يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والاكرام ربنا أكشف عنا العذاب إنا مؤمنون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين برحمتك يارب العالمين، يا الله يا حافظ يا الله يا رافع .

ابتهال ولجوء وانكسار واعتراف ودعاء وتضرع إلى المولى الكريم:

اللهم عجل لأوليائك الفرج والعافية وزد لي في حياتي فإنك أنت الله الذي يهب عيش الأبد لأهل الآخرة فهب لي عمرا طويلا مديدا وعيشا مزيدا بعافيتك ورضاك فإنك ولي ذلك والقادر عليه في الدنيا والآخرة .

أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه واليم عقابه وشر عباده ومن شر همزات الشياطين وأن يحضرون .

اللهم إني أعوذ بوجهك الكريم وكلماتك التامة من شر ما أنت آخذ بناصيته اللهم أنت تكشف المأثم والمغرم .

اللهم لا يهزم جندك ولا يخلف وعدك سبحانك وبحمدك تحصنت بالله الذي لا إله إلا هو إلهي وإله كل شيء واعتصمت بكل شيء ورب كل شيء وتوكلت على الحي القيوم الذي لا يموت واستدفعت الشر كله بلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم حسبي الله ونعم الوكيل حسب الرب من العباد حسبي الخالق من المخلوقين حسبي الرازق من المرزوقين حسبي الله وكفي سمع الله لما دعي ليس وراء الله منتهى لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم .

من أدعية المصطفى ﷺ عن الشدة وتعاظم الأمر :

اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس برحمتك يارب العالمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي إلى من تكلني إلى بعيد يتجهمني أو إلى عدو ملكته أمري إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي ولكن عافيتك أوسع لي من ذنوبي أسألك بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن يحل بي سخطك أو ينزل علي عذابك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك اللهم علمني ما ينفعني وأنفعني بما علمتني وزدني علما .

أدعية قيمة جليلة القدر :

اللهم اجعل لي وللمسلمين من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ومن كل بلاء عافية .

اللهم من أراد المسلمين بسوء فأشغله في نفسه الله إنا ندرأ بك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم .

اللهم أغفر لي ولوالدي وللمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات إنك قريب مجيب الدعوات رب العاملين .

اللهم طهر قلبي من النفاق وعملي من الرياء ولساني من الكذب وعيني من الخيانة إنك تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور اللهم إني أسألك نفس مطمئنة بلقائك وتقنع بعطائك وترضى بقضائك .

اللهم إنك تعلم سري وعلانيتي فأقبل معذرتي وتعلم حاجتي فأعطني سؤالي .

اللهم إني أسألك إيمانا يباشر قلبي ويقينا صادقا حتى أعلم إنه لن يصيبني إلا ما كتبت لي وأن ما أصابني لم يكن ليخطئني وما أخطأني لم يكن ليصيبني .

اللهم إني أسألك إيمانا أهتدي به ونورا أقتدي به ورزقا حلالا أكتفي به .

اللهم أجعلني أحبك بقلبي كله وأرضيك بجهدي كله .

اللهم أجعل حبي لك كله وسعيي كله في مرضاتك .

اللهم ما زويت عني مما أحب فأجعله قوة لي فيما تحب وأجعلني لك كما تحب .

اللهم أحفظني بالإسلام قائماً وقاعدا وراقدا ولا تشمت بي عدوا ولا حاسدا .

اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحييني ما زالت الحياة خيرا لي وتوفني إذا كان الوفاة خيرا لي .

اللهم إني أسألك خشيتك في الغيب والشهادة وحكمة الحق في الغضب والرضا والقصد في الفقر والغنى وأسألك نعيما لا ينفد وقرة عين لا تنقطع سبحان الله ملء الميزان ومنتهى العلم ومبلغ الرضا وزنة العرش ولا إله إلا الله ملء الميزان ومنتهى العلم ومبلغ الرضا وزنة العرش والله أكبر ملء الميزان وزنة العرش .

دعاء عظيم يدعو به كل ملهوف وخائف وهو دعاء يقال عند الشدائد والخطوب والأمور العظيمة :

اللهم كما لطفتك بعظمتك دون اللطفاء وعلوة بعظمتك على العظماء وعلمت ما تحت أرضك كعلمك بما فوق عرشك وكانت وساوس الصدور كالعلانية عندك وعلانية القول كالسر في علمك وإن قاد كل شيء لعظمتك وخضع كل سلطان لسلطانك وصار أمر الدنيا والآخرة كله بيدك أجعل لي من كل هم وغم أصبحت فيه فرجا ومخرجا .

اللهم إن عفوك عن ذنوبي وتجاوزك عن خطيئتي أطعمني أن أسألك ما لا استوجبه مما قصرت فيه أدعوك آمنا وأسألك مستأنسا وأنك للمحسن إلى وإني للمسيء إلى نفسي فيما بيني وبينك تتودد لي بالنعم وأتبغض إليك بالمعاصي ولكن الثقة بك حملتني على الجرأة عليك فعد بفضلك وإحسانك علي إنك أنت التواب الرحيم لا إله غيرك والبديع ليس قبلك شيء والدائم غير الغافل والذي لا يموت وخالق ما يرى وما لا يرى وكل يوم أنت في شأن وسعت اللهم كل شيء رحمة وعلما يا رحمن يا رحيم يا حليم يا كريم يا أحد يا صمد يا حي يا محيي يا قيوم لا إله إلا أنت يا ربنا إنا عبيدك وفي سبيلك أجعل لنا السبيل إلى كل خير .

اللهم حنن علي عبادك وإيماءك وأغنني عن شرار عبادك يا أرحم الراحمين يا ودود يا ذا العرش المجيد يا فعالا لما يريد أسألك بعزك الذي لا يرام وبملكك الذي لا يضام وبنورك الذي ملأ أركان عرشك أن تكفيني شر كذا وكذا.يا مغيث أغثني يا مغيث أغثني يا مغيث أغثني، بسم الله الرحمن الرحيم عن يميني بسم الله الرحمن الرحيم عن شمالي بسم الله الرحمن الرحيم بين يدي بسم الله الرحمن الرحيم من خلفي بسم الله الرحمن الرحيم من فوقي بسم الله الرحمن من جميع جوانبي وبسم الله الرحمن الرحيم قابض علي. بناصيتي. أعوذ بعزة الله وعظمته وبعزة الله وقدرته وبعزة الله وسلطانه وبعز جلال الله وبعز الله من شر ما خلق وذرأ وبرأ ومن شر ما تحت الثرى ومن شر كل دابة ـــ أخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ملجأ كل هارب ومأوى كل خائف لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم أقي به نفسي وديني وأهلي ومالي وجميع نعم إلاهي ومولاي وسيدي عندي.

فضل قول لا حول ولا قوة إلا بالله :

وقد ورد أنها تنفع من تسع وتسعين دار أيسرها الهم وهي كنز من كنوز الجنة وقد أمر الرب جل وعلا ـــ حملة العرش أن يقولوا عند حمله. لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فحملوه .

لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم أنجو بها من إبليس وخيله ورجاله وشياطينه ومردته وأعوانه وجميع الانس والجن وشرورهم .

لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم أمتنع بها من ظلم من أراد ظلمي ومن جميع خلق الله .

لا حول ولا قوة إلا بالله أتعس بها جهد من بغي علي من جميع خلق الله .

لا حول ولا قوة إلا بالله أكفوا بها عدوان من اعتدي علي من جميع خلق الله .

لا حول ولا قوة إلا بالله أضعف بها كيد من كادني من جميع خلق الله .

لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم أزيل بها مكر من مكر بي من جميع خلق الله .

لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم أبطل بها سعي من سعى علي من جميع خلق الله لا حول ولا قوة إلا بالله أذل بها من تعزز علي من جميع خلق الله .

لا حول ولا قوة إلا بالله أهين بها من أهانني من جميع خلق الله .

لا حول ولا قوة إلا بالله أقصم بها ظالمي من جميع خلق الله.

لا حول ولا قوة إلا بالله أقدر بها على ذي القدرة على من جميع خلق الله .

لا حول ولا قوة إلا بالله أستدفع بها شر من أرادني بشر من جميع خلق الله .

لا حول ولا قوة إلا بالله إستغاثة بعزة الله .

لا حول ولا قوة إلا بالله إستجارة بقدرة الله .

لا حول ولا قوة إلا بالله أستعين بها على محياي ومماتي وعند نزول ملك الموت بي ومعالجة سكراته وغمراته .

لا حول ولا قوة إلا بالله أحصن بها روحي وأعضائي وشعري وبشري .

لا حول ولا قوة إلا بالله إذا أدخلت قبري فريدا وحيدا خاليا بعملي .

لا حول ولا قوة إلا بالله أستعين بها على محشري إذا نشرت لي صحيفتي ورأيت ذنوبي وخطاياي .

لا حول ولا قوة إلا بالله إذا طال في القيامة وقوفي واشتد عطشي .

لا حول ولا قوة إلا بالله أثقل بها الميزان عند الجزاء إذا إشتد خوفي .

لا حول ولا قوة إلا بالله أجوز بها الصراط مع الأولياء وأثبت بها قدمي .

لا حول ولا قوة إلا بالله أستقر بها في دار القرار مع الأبرار عدد ما قالها وما يقولها القائلون منذ أول الدهر إلى آخره عددما أحصاه كتاب الله وأحاط بعلمه وأضعاف ذلك أضعافا مضاعفة وكل ضعف يتضاعف أضعاف ذلك أضعافا مضاعفة أبد الأبد ومنتهى العدد بلا أمد عددا لا يحصيه الا هو ولا يحيط بها إلا علمه ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

أدعية الابتهال والشكر وسؤال العافية وطلب الخير والسعادة في الدنيا والآخرة :

اللهم لا تكلنا إلى أنفسنا فنعجز ولا إلى الناس فنضيع .

اللهم كما دللتني عليك فكن شفيعي إليك .

اللهم اجعلني من الشاكرين لآلائك الصابرين على بلائك الناصرين لأوليائك .

اللهم لا تحرمني خير ما عندك بسوء ما عندي .

اللهم أني أسألك عيشا قارا ورزقا دارا وعملا بارا .

اللهم أغنني بالافتقار إليك ولا تفقرني بالاستغناء عنك .

اللهم أستر عورتي وآمن روعتي وخفف لوعتي .

اللهم أجرني على حسن عبادتك ووفقني لاستفتاح أبواب رحمتك واستعطار سماحتك .

اللهم سلمنا ولا تسلمنا وأمنحنا ولا تمنحنا اللهم أجعلني في ضمانك وأمانك وإحسانك اللهم وفر حظي من صنعك ولطفك الخفي اللهم حسبي من سؤالك علمك بحالي اللهم أغفر لي كل ذنب واحفظني من كل جنب وفرج عني كل كرب .

اللهم عني على الموت وكربته والقبر وغمته والصراط وذلته ويوم القيامة وروعته اللهم جمل أمري ما أحييتني وعافني ما أبقيتني وبارك لي فيما خولتني واحفظ علي ما أوليتني وارحمني إذا توفيتني وأنس وحشتي إذا ارمستني وتفضل علي إذا حاسبتني ولا تسلبني الايمان وقد عرفتني .

اللهم ثبت في الخيارات وطأتي ونفس بعد الموت كربتي وبارك لي في مصيري ومنقلي ولا تحقر ذمتي ياغاية رغبتي .

اللهم لا تقطع رجائي وبلغني الاماني واكفني الاعادي واصلح لي شأني واكفني أمر ديني ودنياي وآخرتي وارزقني قلبا توابا لا كافرا ولا مرتابا وأغفر لي وأهدني وأرزقني وأنت خير الرازقين برحمتك يا أرحم الراحمين .

اللهم إني أستهديك لارشد أموري وأستجيرك من شر نفسي سبحان ربي الأعلى الوهاب .

يا عالم الخفيات رفيع الدرجات ذا العرش يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده غافر الذنب قابل التوب شديد العقاب ذا الطول لا إله إلا أنت إليك المصير لا اله إلا الله والله أكبر سبحان الله وبحمده استغفر الله لا حول ولا قوة إلا بالله الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم .

اللهم إني استغفرك مما تبت إليه منه ثم عدت فيه واستغفرك لما جعلته لك على نفسي فلم أوف لك به واستغفرك مما زعمت إني أردت به وجهك فخالط قلبي ما قد علمت .

اللهم إنا نتوسل إليك بما توسل به عبادك الصالحون وأولياؤك المقربون أن تجعل لنا من الفهم عنك وعن رسولك ما نبلغ به منازل الصديقين ونحشر به في زمرة العلماء العاملين .

اللهم أجعلنا من الذين جاوزوا دار الظالمين واستقوا من عين الحكمة وركبوا سفينة الفطنة .

اللهم أجعلنا من الذين سرحت أرواحهم في دار العلا وحطت همم قلوبهم في غاية التقى حتى أناخوا برياض النعيم وجنوا من ثمار رياض التسنيم وخاضوا لجة السرور وشربوا بكأس الرحيق المختوم واستظلوا تحت ظل الكرامة الظليل.

اللهم أجعلنا من الذين فتحوا باب الصبر واردموا خنادق الجزع وجازوا شديد العقاب وعبروا جسر الهوى .

اللهم أجعلنا من الذين أشارت إليهم أعلام الهداية ووضحت لهم طريق النجاة وسلكوا سبيل الاخلاص واليقين .

اللهم عرفنا بك وبنفسك واجعلني من اعرف عبادك بك وبنفسي .

دعاء التحصن من الشيطان ومن النفس الامارة بالسوء :

اللهم إن نفسي آمارة بالسوء والشيطان يوقعني كل ساعة في خطيئة من الكبائر فضلا عن الصغائر وإن أريد نزغي من نزغه ولا استطيع حتى توفقني فإن بيدك الخير والشر ليس إليك فأغفر لي وتب علي ولا تزغ قلبي بعد إذ هديتني

وامنحني علما بالكتاب والسنة وإن لم ترحمني وتغفر أكن من الخاسرين فأهدني سواء السبيل وأغفر لي مغفرة تامة وأعف عني فإنك عفو تحب العفو وأرزقني العافية في الدين والدنيا والآخرة وما ذلك عليك بعزيز يا أرحم الراحمين يا لطيف يا لطيف الطف بي بلطفك الخفي يا لطيف بالقدرة التي استويت بها على العرش فلم يعلم أحد كيفية استوائك بها على العرش فلم يعلم أحد كيفية استوائك عليه اكفني شر كل شرير يا من كان قبل أن يكون شيء وهو المكون لكل شيء ومن يكون بعد ما لا يكون شيء أسألك بلحظة من لحظاتك الحافظات الغافرات الراحمات المنجيات يا ذا الجلال والاكرام ياذا الطول والانعام لا إله إلا أنت رب العالمين ارحم الراحمين الحنان المنان بديع السموات والأرض رب العرش العظيم .

دعاء لتفريغ الهم والحزن :

اللهم إني عبدك إبن عبدك إبن أمتك ناصيتي بيدك ماضي في حكم عدل في قضاؤك أسألك بكل إسم سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحد من خلقك أو أستأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم نور صدري وربيع قلبي وجلاء حزني وذهاب همي .

أدعية جليلة وعظيمة :

اللهم اجعلني أخشاك حتى كأني أراك وأسعدني بتقواك وتجعلني بمعصيتك مطرودا وأرضني بقضائك وبارك لي في قدرك وانصرني على من ظلمني وأرني فيه ثأري وأقر بذلك عيني .

اللهم إني أستودعك اليوم نفسي وأهلي ومالي وولدي ومن كان مني في سبيل الشاهد منهم والغائب .

اللهم احفظنا بحفظ الايمان واحفظه علينا .

اللهم اجعلنا في رحمتك ولا تسلبنا فضلك انا إليك راغبون .

اللهم انا نعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنظر وسوء المنقلب في الأهل والمال والولد يا من هو أقرب من حبل الوريد يا فعال لما يريد يا من يحول بين المرء وقلبه حل بيننا وبين من يؤذينا بحولك وقوتك يا كافي كل شيء أكفنا ما يهمنا من أمر الدنيا والاخرة يا أرحم الراحمين .

اللهم وفر حظي من خير تنزله أو احسان تفضله أو بر تنشره أو رزق تبسطه أو ذنب تغفره أو خطأ تستره يا الهي يا

من بيده ناصيتي يا عليم بضرب ومسكنتي يا خبير بفقري وفاقتي يا رب أسألك بحقك وقدسك واعظم صفاتك واسمائك ان تجعل أوقاتي بالليل والنهار بذكرك معمورة وبخدمتك موصوله واعمالي عندك مقبولة يا من عليه معولي يا من إليه شكوت احوالي قوي علي خدمتك جوارحي واشدد علي العزيمة جوانحي وهب لي الجد في خشيتك والدوام على الاتصال في خدمتك حتى أخافك مخافة الموقنين واجتمع في جوارحك مع المؤمنين .

دعاء المظلوم والملهوف :

اللهم من أردني بسوء فرده عليه ومن كادني فكده واجعلني من أحسن عبادك نصيبا عندك وأقربهم منزلة منك واخصهم زلفى لديك فانه لا ينال ذلك إلا بفضلك وجد لي بجودك واعطف علي بمجدك واحفظني برحمتك واجعل لساني بذكرك لاهجا وقلبي بحبك متيمنا ومن علي بحسن اجابتك واقلني عثرتي واغفر لي زلتي فانك امرت عبادك بدعائك وضمنت لهم الاجابة فاليك يا رب نصبت وجهي ومددت يدي فبرحمتك استجب دعائي وبلغني مناي فلا تقطع رجائي واكفني شر اعدائي يا سميع الدعاء ويا سابغ النعم يا دافع النقم يا نور المستوحشين في الظلم يا أرحم الراحمين .

اللهم إني أبرأ إليك من حولي وقوتي وألجأ إلى حولك وقوتك أحمدك إذ أوجدتني من العدم وفضلتني على كثير من الأمم وجعلت في يدي زمام خلقك واستخلفتني على أرضك .

دعاء الاعتصام بالله من كل سوء ومكروه :

اللهم فخذ بيدي في المضايق واكشف لي وجوه الحقائق ووفقني لما تحب واعصمني من الزلل ولا تسلب عني ستر احسانك وقني مصارع السوء واكفني كيد الحاسد وشماتة الاضداد والطف بي في سائر متصرفاتي واكفني من جميع جهاتي يا أرحم الراحمين .

اللهم تسمع كلامي وترى مكاني وتعلم سري وعلانيتي ولا يخفي عليك شيء من أمري وأنا البائس الفقير والمستغيث المستجير والوجل المشفق المقر المحترف إليك بذنبي أسألك مسألة المسكين وابتهل إليك إبتهال المذنب الذليل وأدعوك دعاء الخائف الضرير دعاء من خضعت لك رقبته وذل لك جمسه ورغم لك أنفه .

اللهم كن لي مؤيدا وناصرا وكن بي رؤوفا رحيما يا خير المسئولين إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي يا أرحم الراحمين بقدرتك علي ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين يا حي يا قيوم برحمتك استغيث (ثلاثا) .

دعاء الخضوع والخشوع لرب العزة والجلال :

اللهم اسألك بعزك وذلي إلا رحمتني وأسألك بقوتي وضعفي وبغنائك عني وفقري إليك هذه ناصيتي الكاذبة الخاطئة بين يديك عبيدك سواي كثير وليس لي سيد سواك لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك أسألك مسألة المسكين وابتهل إليك ابتهال الخاضع الذليل وأدعوك دعاء الخائف الضرير سؤال من خضعت لك رقبته ورغم لك أنفه فاضت لك عيناه وذل لك قلبه .

اللهم البسني العافية حتى تهنيني بالمعيشة واختم لي بالمغفرة حتى لا تضرني الذنوب واكفني كل هول دون الجنة حتى تبلغنيها برحمتك يا أرحم الراحمين اللهم اعطني من الدنيا ما تقيني بها فتنتها وتغنيني بها عن أهلها ويكون بلاغا لي إلى ما هو خير منها فإنه لا حول ولا قوة إلا بك .

ومن دعائه صلى الله عليه وسلم :

اللهم قنعني بما رزقتني وبارك لي فيه واخلف علي كل غائبة لي بخير .

دعاء عن النبي ﷺ في حديث جويريه رضي الله عنها :

(سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضى نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته) .

سبحان الله عدد ما خلق في السماء وعدد ما خلق في الأرض وسبحان الله عدد ما بين ذلك وسبحان الله عدد ما هو خالق والله أكبر مثل ذلك والحمد لله مثل ذلك ولا حول ولا قوة إلا بالله مثل ذلك .

سبحانَ الله عدد خلقه سبحان الله ملء ما خلق سبحان الله عدد ما خلق سبحان الله عدد ما في السماء والأرض سبحان الله عدد ما في الأرض والسماء وسبحان الله عدد ما أحصي كتابه وسبحان الله عدد كل شيء وسبحان الله ملء كل شيء والحمد لله مثل ذلك .

سبحان الله عدد ما أحصاه لا إله إلا الله عدد كلماته لا إله إلا الله عدد خلقه لا إله إلا الله زنة عرشه لا إله إلا الله ملء سمواته لا إله إلا الله ملء أرضه لا إله إلا الله مثل ذلك والحمد لله مثل ذلك .

دعاء جامع عظيم :

اللهم إني أسألك من خير ما سألك منه عبدك محمد ﷺ وأعوذ بك من شر ما استعاذ منه عبدك ونبيك محمد اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما

قرب إليها من قول وعمل وأسألك ما قضيت لي من قضاء أن تجعل عاقبته لي رشدا .

اللهم إني أسألك الجنة ونعيمها واستبرقها وأعوذ بك من النار وسلاسلها وأغلالها .

فوائد وكنوز عظيمة

وفي الذكر أكثر من مائة فائدة :

(الأولى) :

انه يطر الشيطان ويقمعه ويكسره .

(الثانية) :

أنه يرضى الرحمن عز وجل .

(الثالثة) :

أنه يزيل الهم والغم عن القلب .

(الرابعة) :

أنه يجلب للقلب الفرح والسرور .

(الخامسة) :

أنه يقوي القلب والبدن .

(السادسة) :

أنه ينور الوجه والقلب .

(السابعة) :

أنه يجلب الرزق .

(الثامنة) :

أنه يكسو الذاكر المهابة والحلاوة والنضرة .

(ذكر الله يوجب محبته)

ذكر الله يورثه المحبة التي هي روح الاسلام وقطب رحى الدين . ومدار السعادة والنجاة. وقد جعل الله لكل شيء سببا وجعل سبب المحبة دوام الذكر فمن أراد أن ينال محبة الله عز وجل فليلهج بذكره فان الدرس المذاكرة كما أنه باب العلم، فالذكر باب المحبة وشارعها الأعظم وصراطها الأقوم .

(العاشـرة) :

أنه يورثه المراقبة حتى يدخله في باب الاحسان، فيعبد الله كأنه يراه، ولا سبيل للغافل عن الذكر إلى مقام الاحسان، كما لا سبيل للقاعد إلى الوصول إلى البيت.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(الحادية عشرة) :

أنه يورثه الإنابة، وهي الرجوع إلى الله عز وجل .

(الثانية عشرة) :

أنه يورثه القرب منه، فعلى قدر ذكره لله عز وجل يكون قربه منه، وعلى قدر غفلته يكون بعده منه .

(الثالثة عشرة) :

أنه يفتح له بابا عظيما من أبواب المعرفة، كلما أكثر من الذكر وأزداد من المعرفة .

(الرابعة عشرة) :

أنه يورثه الهيبة لربه عز وجل وإجلاله، لشدة استيلائه على قلبه وحضوره مع الله تعالى، وبخلاف الغافل فإن حجاب الهيبة رقيق في قلبه .

(الخامسة عشرة) :

أنه يورثه ذكر الله تعالى له كما قال تعالى : (فاذكروني أذكركم) ولو لم يكن في الذكر إلا هذه وحدها لكفى بها فضلا وشرفا.

ذكر الله حياة القلوب وقوتها وحلاوتها

(السادسة عشرة) :

ملازمة ذكر الله يورث حياة القلب، قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله تعالى روحه : الذكر للقلب مثل الماء للسمك فكيف يكون حال السمك إذا فارق الماء ؟

أنه قوت القلب والروح، فإذا فقده العبد صار بمنزلة الجسم إذا حيل بينه وبين قوته .

أنه يورث جلاء القلب من صداه كما تقدم في الحديث، وكل شي له صدأ، وصدأ القلب الغفلة والهوى، وحلاوة الذكر التوبة والاستغفار.

ذكر الله يحط الخطايا والذنوب

أنه يحط الخطايا ويذهبها. فإنه من أعظم الحسنات، والحسنات يذهبن السيئات .

ملازمة التسبيح والتكبير والتحميد والاستغفار يزيل الوحشة ويرفع البلاء وينفع مما نزل وما لم ينزل

و يزيل الوحشة بين العبد وبين ربه تبارك وتعالى، فإن الغافل بينه وبين الله عز وجل وحشة لا تزول إلا بالذكر .

ان ما يذكر به العبد ربه عزول من جلاله وتسبيحه وتحميده يذكر بصاحبه عند الشدة .

ان العبد إذا تعرف إلى الله تعالى بذكره في الرخاء عرفه في الشدة، وقد جاء أثر معناه أن العبد المطيع الذاكر لله تعالى إذا أصابته شدة أو سأل الله تعالى حاجة قالت الملائكة : يا رب صوت معروف، من عبد معروف، والغافل المعرض عن الله عز وجل إذا دعاه وسأله قالت الملائكة : يا رب صوت منكر، من عبد منكر .

كما أنه ينجي من عذاب الله تعالى؛ كما قال معاذ رضي الله عنه ويروى مرفوعا (ما عمل آدمي عملا أنجى من عذاب الله عز وجل من ذكر الله تعالى .

ألطاف رحمانية ونزول السكينة والملائكة على الذاكر لله

فهو سبب تنزيل السكينة، وغشيان الرحمة، وحفوف الملائكة بالذاكر كما أخبره به النبي ﷺ .

ملازمة ذكر الله ينهاه عن الفحشاء والمنكر ويقربه إلى الله

أنه سبب اشتغال اللسان عن الغيبة والنميمة والكذب والفحش والباطل فمن عود لسانه ذكر الله صان لسانه عن الباطل

واللغو، ومن ييس لسانه عن ذكر الله تعالى ترطب بكل باطل ولغو وفحش، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

كنوز عظيمة وفوائد جليلة

أن مجالس الذكر مجالس الملائكة، ومجالس اللغو والغفلة مجالس الشياطين فليتخير العبد أعجبهما إليه وأولاهما به، فهو مع أهله في الدنيا والآخرة .

كما أنه يسعد الذاكر بذكره ويسعد به جليسه، وهذا هو المبارك أين ما كان. والغافل واللغي يشقى بلغوه وغفلته ويشقى به مجالسه .

أنه يؤمن العبد من الحسرة يوم القيامة. فإن كل مجلس لا يذكر العبد فيه ربه تعالى كان عليه حسرة وترة يوم القيامة .

أنه مع البكاء في الخلوة سبب لإظلاله الله تعالى للعبد يوم الحر الأكبر في ظل عرشه والناس في حر الشمس قد صهرتهم في الموقف. وهذا الذاكر مستظل بظل عرش الرحمن عز وجل .

أن الأشتغال به سبب لعطاء الله للذاكر أفضل ما يعطي السائلين، ففي الحديث عن عمر بن الخطاب قال : قال رسول الله ﷺ قال : سبحانه وتعالى : «من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين» .

أنه أيسر العبادات، وهو من أجلها وأفضلها، فإن حركة اللسان أخف حركات الجوارح وأيسرها .

كنز عظيم
الذكر والاستغفار غراس الجنة وجنة الدنيا وحرز من الشياطين

كما أنه غراس الجنة، فقد روى الترمذي في جامعه من حديث عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ «لقيت ليلة أسري بي إبراهيم الخليل عليه السلام فقال : يا محمد اقرىء أمتك السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء وأنها قيعان، وأن غراسها : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر» قال الترمذي حديث حسن غريب من حديث ابن مسعود .

ان العطاء والفضل الذي رتب عليه لم يرتب على غيره من الأعمال ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «من قال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل

مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه. ومن قال : سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر» .

فائدة عظيمة القدر

ان دوام ذكر الرب تبارك وتعالى يوجب الامان من نسيانه الذي هو سبب شقاء العبد في معاشة ومعاده، فإن نسيان الرب سبحانه وتعالى يوجب نسيان نفسه ومصالحها قال تعالى : (لا تكونوا كالذين نسوا لله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون) .

ذكر الله أيسر الأعمال وأنفعها وبه حياة القلوب ونعيمها وقوة الروح والبدن

إن الذكر يسير العبدوهو في فراشه وفي سوقه وفي حال صحته وسقمه وفي حال نعيمه ولذته، وليس شيء يعم الأوقات والأحوال مثله حتى يسير العبد وهو نائم على فراشه ويسبق القائم على فارشه ويصبح ذلك الغافل في ساقه الركب وذلك فضل من الله يؤتيه من يشاء .

ان الذكر نور للذاكر في الدنيا، ونور له في قبره، ونور له في معاده يسعى بين يديه على الصراط، فما استنارت القلوب بمثله

وإنما يصدق هذا من في قلبه حياة، وأما ميت القلب فيوحشك مأله وحاله، واعلم أن الحسرة كل الحسرة الاشتغال بمن لا يجر عليك الاشتغال به إلا فوات نصيبك وحظك من الله عز وجل، وانقطاعك عنه، وضياع وقتك، وضعف عزيمتك، وتفرق همك .

إن الذكر رأس الأصول وطريق معرفته ومحبته ومنشور الولاية فمن فتح له فيه فقد فتح له باب الدخول على الله عز وجل فليتطهر وليدخل على ربه عز وجل، يجد عنده كل ما يريد فإن وجد ربه عز وجل وجد كل شيء وإن فاته ربه عز وجل فاته كل شي .

وفي القلب خلة وفاقه لا يسدها شيء البته إلا ذكر الله عز وجل فإذا صار شعار القلب بحيث يكون هو الذاكر بطريق الاصالة واللسان تبع له فهذا هو الذكر الذي يسد الخلة ويغني عن الفاقة غنيا بلا مال عزيزا بلا عشيرة مهيبا بلا سلطان، فإذا كان غافلا عن ذكر الله عز وجل فهو بضد ذلك فقير مع كثرة جدته ذليل مع سلطانه حقير مع كثرة عشيرته .

إن الذكر يجمع المتفرق ويفرق المجتمع ويقرب ويبعد القريب فيجمع ما تفرق على العبد من قلبه وإرادته وهمومه وغمومه والعذاب كل العذاب في تفرقتها وتشتتها عليه وانفراطها له والحياة والنعيم في

اجتماع قلبه وهمه وعزمه وإرادته .

كما أنه الذكر ينبه القلب من نومه ويوقظه من سنته والقلب إذا كان نائما فاتته الأرباح والمتاجر وكان الغالب عليه الخسران فإذا استيقظ وعلم ما فاته في نومته شد المئزر وأحيا بقية عمره واستدرك ما فات ولا تحصل يقظته إلا بالذكر فإن الغفلة نوم ثقيل .

إن الذكر شجرة تثمر المعارف والاحوال التي شمر إليها السالكون فلا سبيل نيل ثمارها إلا من شجرة الذكر .

كنز عظيم وفائدة جليلة

حفظ الله ورعايته وعنايته للملازم لذكره

ان الذاكر قريب من مذكوره، ومذكوره معه. وهذه المعية معية خاصة غير معية العلم والاحاطة العامة، فهي معية بالقرب والولاية والمحبة والنصرة والتوفيق، كقوله تعالى : (إن الله مع الذين اتقوا)، (والله مع الصابرين)، وأن الله لمع المحسنين)، لا تحزن ان الله معنا) وللذاكر من هذه المعية نصيب وافر كما في الحديث الالهي «أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت به شفتاه» وفي أثر آخر «أهل ذكري أهل مجالستي، ورحمتي : إن تابوا فأنا حبيبهم، فأني أحب التوابين وأحب المتطهرين وان لم يتوبوا فأنا طبيبهم أبتليهم بالمصائب، لأطهرهم من المعايب» .

كما أن الذكر يعدل عتق الرقاب ونفقة الأموال والحمل على الخيل في سبيل الله عز وجل ويعدل الضرب بالسيف في سبيل الله عز وجل، وقد تقدم أن من قال في يوم مائة مرة لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، كانت له عدل عشر رقاب وكتب له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه حتى يمسي .

كما أن الذكر رأس الشكر فما شكر الله تعالى من لم يذكره وذكر البيهقي عن زيد بن أسلم أن موسى عليه السلام قال : رب قد أنعمت علي كثيرا فدلني على أن أشكرك كثيرا قال : أذكرني كثيرا فإذا ذكرتني كثيرا فقد شكرتني كثيرا وإذا نسيتني فقد كفرتني .

إن أكرم الخلق على الله تعالى من المتقين من لا يزال لسانه رطبا بذكره فإنه إتقاه في أمره ونهيه وجعل ذكره شعاره فالتقوى أوجبت له دخول الجنة والنجاة من النار، وهذا هو الثواب والأجر، والذكر يوجب له القرب من الله عز وجل والزلفى لديه وهذه هي المنزلة .

إن في القلب قسوة لا يذبها إلا ذكر الله تعالى فينبغي للعبد أن يداوي قسوة قلبه بذكر الله تعالى، وذكر حماد بن زيد عن المعلى ابن زياد إن رجلا قال للحسن يا أبا سعيد أشكو إليك قسوة قلب قال أذبه بالذكر .

فوائد جليلة وكنوز عظيمة

إن الذكر شفاء القلب ودواؤه بذكر الله تعالى قال مكحول ذكر الله تعالى شفاء وذكر الناس داء. وذكر البيهقي عن مكحول مرفوعا ومرسلا ذكر الله شفاها وعافيتها فإذا غفلت عنه إنتكست، كما قيل :

إذا مرضنا تداوينا بذكركم
فنترك الذكر أحيانا فننتكس

إن الذكر أصل موالاة الله عز وجل ورأسها، والغفلة أصل معادته ورأسها فإن العبد لا يزال يذكر ربه عز وجل حتى يحبه فيواليه، ولا يزال يغفل عنه حتى يبغضه فيعاديه .

وما استجلبت نعم الله عز وجل واستدفعت نقمة بمثل ذكر الله تعالى فالذكر جلاب للنعم دافع للنقم، قال سبحانه وتعالى إن الله يدفع عن الذين آمنوا .

وعن جابر بن عبد الله قال : خرج علينا رسول الله ﷺ فقال : يا أيها الناس أرتعوا في رياض الجنة قلنا : يا رسول الله ما رياض الجنة قال : مجالس الذكر، فمن كان يحب أن يعلم منزلته عند الله تعالى فلينظر كيف منزلة الله تعالى عنده فإن الله ينزل العمل منه حيث أنزله من نفسه .

إن مجالس الذكر مجالس الملائكة قال : رسول الله ﷺ إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر فإذا وجدو قوما يذكرون الله تعالى تنادوا هلم إلى حاجتكم قال : فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا فيسألهم ربهم تعالى وهو أعلم بهم ما يقول عبادي قالوا يقولون يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك، قال فيقول هل رأوني ؟ قال فيقولون لا والله ما رأوك قال : فيقول كيف لو رأوني ؟ قال : فيقولون لو رأوك كانوا أشد لك عبادة وأشد لك تحميدا وتمجيدا وأكثر لك تسبيحا، قال فيقول : ما يسألوني ؟ قال : يسألونك الجنة قال يقول وهل رأوها؟ قال يقولون لا والله يا رب ما رأوها، قال يقول فكيف لو رأوها ؟ قال يقولون لو رأوها كانوا أشد منها فرارا وأشد لها مخافة قال يقول فأشهدكم أني قد غفرت لهم فيقول ملك من الملائكة فيهم فلان ليس منهم وإنما جاء لحاجة قال هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم .

إن الله عز وجل يباهي بالذاكرين ملائكته، كما روى مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري قال : خرج معاوية على حلقة في المسجد فقال: ما أجلسكم؟ قالوا جلسنا نذكر الله تعالى قال : الله ما أجلسكم إلا ذاك؟ قالوا والله ما أجلسنا إلا ذاك قال : أما إني لم استحلفكم تهمة لكم وما كان أحد بمنزلتي من رسول الله

ﷺ أقل عنه حديثا مني وان رسول الله ﷺ خرج على حلقة من أصحابه فقال ما أجلسكم ؟ قالوا جلسنا نذكر الله تعالى ونحمده على ما هدانا للاسلام ومنّ علينا بـه قال الله ما أجلسكم إلا ذاك قالوا والله ما أجلسنا إلا ذاك قال : أما أني لم استحلفكم تهمة لكم ولكنه أتاني جبريل فأخبرني إن الله تبارك وتعالي يباهي بكم الملائكة .

إن مدمن الذكر يدخل الجنة وهو يضحك لما ذكر ابن ابي الدنيا عن عبد الرحمن بن مهدي عن معاوية بن صالح عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير الحضرمي عن أبيه عن أبي الدرداء قال : الذين لا تزال السنتهم رطبة من ذكر الله عز وجل يدخل أحدهم الجنة وهو يضحك .

فوائد عظيمة القدر

ذكر الله يعم جميع الأعمال التى شرع الله ويبوب عن كثير من التطوعات

إن جميع الأعمال إنما شرعت إقامة لذكر الله تعالى والمقصود بها تحصيل ذكر الله تعالى قال سبحانه وتعالى (واقم الصلاة لذكري)، وقال تعالى (أتل ما أوحي إليك من الكتاب واقم الصلاة

إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) إنكم في الصلاة تذكرون الله وهو من ذكره ولذكر الله تعالى إياكم أكبر من ذكركم إياه .

إن فضل أهل كل عمل أكثرهم فيه ذكرا لله عز وجل، فأفضل الصوام أكثرهم ذكرا لله عز وجل في صومهم وأفضل المتصدقين أكثرهم ذكرا لله عز وجل أفضل الحاج أكثرهم ذكرا لله عز وجل وهكذا سائر الأحوال، وقد ذكر ابن أبي الدنيا حديثا مرسلا في ذلك أن النبي ﷺ سئل : أي أهل المسجد خيرا ؟ قال : (أكثرهم ذكرا لله عز وجل) قيل : إي الجنازة خيرا قال : أكثرهم ذكرا لله عز وجل قيل فأي المجاهدين خيرا فال أكثرهم ذكرا لله عز وجل قيل فأي الحجاج خيرا قال : أكثرهم ذكرا لله عز وجل قيل وأي العباد خيرا قال : أكثرهم ذكرا لله عز وجل .

إن إدامته تنوب عن التطوعات وتقوم مقامها سواء كانت بدنية أو مالية كحج التطوع وقد جاء ذلك صريحا في حديث أبي هريرة : إن فقراء المهاجرين أتو رسول الله ﷺ فقالوا يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالدرجات العلى والنعيم المقيم يصلون ويصومون كما نصوم ولهم أفضل أموالهم ويحجون بها ويعتمرون ويجاهدون فقال الا أعلمكم شيئا تدركون به من سبقكم وتسبقون به من بعدكم ولا أحد يكون أفضل منكم الامن صنع مثل ما صنعتم قالوا بلى يا

رسول الله قال : تسبحون وتحمدون وتكبرون خلف كل صلاة.. ثلاثا وثلاثين مرة ـــ الحديث المتفق عليه

وفي حديث عبد الله بن بسر قال : جاء اعرابي فقال يا رسول الله كثرت علي خلال الاسلام وشرائعه فأخبرني بأمر جامع يكفيني قال : عليك بذكر الله تعالى قال : ويكفيني يا رسول الله ؟ قال : نعم

إن ذكر الله عز وجل من أكبرُ العون على طاعته فإنه يحببها إلى العبد ويسهلها عليه ويلذذها له ويجعل قرة عينه فيها ونعيمه وسروره بها بحيث لا يجد لها من الكلفة والمشقة والثقل ما يجد الغافل والتجربة شاهدة بذلك .

إن ذكر الله عز وجل يسهل الصعب وييسر العسير ويخفف المشاق فما ذكر الله عز وجل على صعب إلا هان ولا على عسير إلا تيسر ولا مشقة إلا خفت ولا شدة إلا زالت ولا كربة إلا إنفرجت وذكر الله تعالى هو الفرج بعد الشدة واليسر بعد العسر والفرج بعد الغم والهم .

إن ذكر الله عز وجل يذهب عن القلب مخاوفه كلها وله تأثير عجيب في حصول الأمن فليس للخائف الذي قد اشتد خوفه أنفع من ذكر الله عز وجل إذ بحسب ذكره يجد الأمن ويزول خوفه

حتى كأن المخاوف التي يجدها أمان له والغافل خائف مع أمنه حتى كان ما هو فيه من الأمن كله مخاوف ومن له أدنى حس قد جرب هذا وهذا .

وصية الرسول ﷺ لبنته فاطمة وعليا بالتسبيح والتكبير والتحميد أفضل لهما من خادم وأنه أفضل الأعمال واسبقها

إن الذكر يعطي الذاكر قوة حتى أنه ليفعل مع الذكر ما لم يظن فعله بدونه، وقد علم النبي ﷺ إبنته فاطمة وعليا رضي الله عنهما أن يسبحا كل ليلة إذا أخذوا مضاجعهما ثلاثة وثلاثين ويحمدا ثلاثة وثلاثين ويكبرا أربعة وثلاثين ولما سألته الخادم وشكت إليه ما تقاسيه من الطحن والسعي والخدمة فعلمهما ذلك وقال : إنه خير لكما من خادم فقيل إن من دوام على ذلك وجد قوة في يومه تغنيه عن خادم .

إن عمال الآخرة كلهم في مضمار السباق والذاكرون هم اسبقهم في ذلك المضمار ولكن القطرات والغبار يمنع من رؤية من سبقهم فإذا انجلى الغبار وانكشف رآهم الناس وقد حازوا قصب السبق، قال الوليد بن مسلم قال محمد بن عجلان سمعت عمر

ومولى غفره يقول : إذا انكشف الغطاء للناس يوم القيامة عن ثواب أعمالهم لم يروا عملا أفضل ثوابا من الذكر فيتحسر عند ذلك أقوام فيقولون ما كان شيء أيسر علينا من الذكر .

من فوائد الذكر أنه امان من النفاق وسبب استغفار الملائكة للذاكر وهو غراس الجنة وجنة الذاكر ونعيم قلبه وقوته

إن الذكر سبب لتصديق الرب عز وجل عبده فإنه أخبر عن الله تعالى بأوصاف كماله ونعوت جلاله فإذا أخبر بها العبد صدقه ربه ومن صدقه الله تعالى لم يحشر مع الكاذبين ورجى له أن يحشر مع الصادقين .

إن دور الجنة تبنى بالذكر فإذا أمسك الذاكر عن الذكر أمسكت الملائكة عن البناء ذكر ابن أبي الدنيا في كتابه عن حكيم بن محمد الأخنسي قال : بلغني إن دور الجنة تبنى بالذكر فإذا أمسك عن الذكر أمسكوا عن البناء فيقال لهم فيقولون حتى تأتينا نفقة"وذكر ابن أبي الدنيا من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : من قال سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم سبعة مرات بني له برج في الجنة وكما إن بناءها بالذكر فغراس بساتينها بالذكر كما

تقدم في حديث النبي ﷺ عن إبراهيم الخليل عليه السلام إن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وإنها قيعان وإن غرسها : سبحان الله الحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر فالذكر غراسها وبناؤها .

إن الذكر سد بين العبد وبين جهنم فإذا كانت له إلى جهنم طريق من عمل من الأعمال كان الذكر سدا في تلك الطريق فإذا كان ذكرا دائما كاملا كان سدا محكما لا منفذ فيه والا فبحسبه قال عبد العزيز بن أبي رواد : كان رجلا بالبادية قد اتخذ مسجدا فجعل في قلبه سبعة أحجار كان إذا قضى صلاته قال يا أحجار أشهدكم أنه لا إله إلا الله قال : فمرض الرجل فعرج بروحه قال فرأيت في منامي إنه أمر بي إلى النار قال : فرأيت حجرا من تلك الأحجار أعرفه قد عظم فسد عني بابا من أبواب جهنم ثم أتى إلى الباب الاخر وإذا حجر من تلك الاحجار أعرفه قد عظم فسد عني بابا من أبواب جهنم حتى سدت عني بقية الأحجار أبواب جهنم .

إن الملائكة تستغفر للذاكر كما تستغفر للتائب كان حسين المعلم عن عبد الله بن بريده عن عامر الشعبي عن عبد الله بن عمر بن العاص قال : أجد في كتاب الله المنزل إن العبد إذا قال الحمد لله قالت الملائكة رب العالمين وإذا قال الحمد لله رب

العالمين قالت الملائكة اللهم أغفر لعبدك وإذا قال سبحان الله قالت الملائكة اللهم أغفر لعبدك وإذا قال لا إله إلا الله قالت الملائكة اللهم أغفر لعبدك .

إن الجبال القفار تتباهى وتستبشر لمن يذكر الله عز وجل عليها قال ابن مسعود : إن الجبل لينادي الجبل بإسمه أمر بك اليوم أحد يذكر الله عز وجل فإذا قال نعم إستبشر.

إن كثرة ذكر الله عز وجل أمان من النفاق فإن المنافقين قليلي الذكر لله عز وجل قال الله عز وجل في المنافقين (ولا يذكرون الله إلا قليلا) وقال كعب : من أكثر ذكر الله عز وجل بريء من النفاق وختم الله تعالى سورة المنافقين بقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يقول ذلك فأؤلئك هم الخاسرون) فإن في ذلك تحذيرا من فتنة المنافقين الذين غفلوا عن ذكر الله عز وجل ووقعوا في النفاق .

إن للذكر من بين الأعمال لذة لا يشبهها شيء فلو لم يكن للعبد من ثوابه إلا اللذة الحاصلة للذاكر والنعيم الذي يحصل لقلبه لكفي به، ولهذا سميت مجالس الذكر رياض الجنة .

الفرج بعد الشدة

ومن لطائف أسرار اقتران الفرج بالكرب، واليسر بالعسر ان الكرب اذا اشتد وعظم وتناهى وحصل للعبد اليأس من كشفه من جهة المخلوقين تعلق قلبه بالله وحده وهذا هو حقيقة التوكل على الله وهو من أعظم الأسباب التي تطلب بها الحوائج فإن الله يكفي من توكل عليه، كما قال تعالى «ومن يتوكل على الله فهو حسبه». قال الفضيل : والله لو يئست من الخلق حتى لا تريد منهم شيئا لأعطاك مولاك كل ما تريد .

وأيضا فان المؤمن اذا استبطأ الفرج ويئس منه بعد كثرة دعائة وتضرعه ولم يظهر عليه اثر الاجابة فرجع إلى نفسه باللائمة وقال لها : إنما أتيت من قبلك ولو كان فيك خيرا لأجبت، وهذا اللوم احب إلى الله من كثير من الطاعات فإنه يوجب انكسار العبد إلى مولاه واعترافه بانه أهل لما نزل من البلاء وانه ليس اهلا لاجابة الدعاء فلذلك تسرع إليه حينئذ اجابة الدعاء وتفريج الكرب فأنه تعالى عند المنكسرة قلوبهم من اجله، ومن هذه اللطائف كذلك ان العبد اذا اشتد عليه الكرب فإنه يحتاج حينئذ إلى مجاهدة الشيطان لأنه يأتيه فيقنطه ويسخطه فيحتاج العبد إلى مجاهدته ودفعه فيكون ذلك سببا لدفع البلاء عنه.

اذا اشتملت على اليأس القلوب **
وضاق لما بها الصدر الرحيب
وأوطنت المكارم وأطمأنت **
وأرست في اماكنها الخطوب
ولم ترا للانكشاف الضر وجها **
ولا اغني بحيلته الأريب
أتاك على قنوط منك غوث **
يمن به اللطيف المستجيب
وكل الحادثات اذا تناهت **
فموصول بها الفرج القريب
تصبر ان الصبر خيرا **
ولا تجزع لنائبه تنوب
فإن اليسر بعد العسر يأتي **
وعند الضيق تنكشف الكروب
وكم جزعت نفوس من أمور **
اتى من دونها فرج قريب

دعـــاء عظـــيم

امر الحجاج ادخال رجل إلى السجن وبعده بالقتل، فقام الرجل المسجون وصلى أربع ركعات ثم قال : اللهم انك تعلم اني كنت على اساءتي وظلمي واسرافي على نفسي لم اجعل لك ولدا ولا شريكا ولا ندا ولا كفوا فإن تعذب فعدل وأن تعفو فأنك انت العزيز الحكيم. اللهم اني أسألك يا من لا تغلطه المسائل ولا يشغله سمع عن سمع ويأمن لأياتي بالحاح الملحين، أن تجعل لي في ساعتي هذه فرجا ومخرجا مما انا فيه من حيث ارجو ومن حيث لا ارجو وخذ لي بقلب عبدك الحجاج وسمعه وبصره ويده ورجله حتى يخرجني في ساعتي هذه فإن قلبه وناصيته بيدك يارب يارب، قال : وأكثر فوالذي لا اله غيره ما أنقطع دعاه حتى ضُرُب باب السجن وقيل يا فلان،؟ فقام صاحبنا فقال : يا هؤلاء ان تكن العافيه فوالله لا أدعْ الدعاء لكم وان تكن الأخرى فجمع الله بيننا وبينكم في مستقر رحمته قال : فبلغنا من الغد، انه خلى سبيله

وقال اخر أني كنت في وقت من الأوقات ـــ يعني في أول مره ـــ قد دفعت إليّ شدة شديدة وخوف عظيم لا حيلة لي فيها فاقمت يومي قلقا وهجم الليل ولم أعرف الغمض فلجأت إلى الصلاة والدعاء وأقبلت على البكاء في سجودي والتضرع ومسألة

الله عز وجل تعجيل الفرج لي وأصبحت من غد قريب من حالي الا اني قد سكنت قليلا فلم ينسلخ اليوم حتى جاءني الفرج من الله تعالى وفرج عني ما كنت فيه على افضل ما أردت .

ومن الأسباب الموجبة للفرج بعد الشدة

أولا : تقوى الله عز وجل ــــ قال تعالى «ومن يتقي الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب»

قال ابن كثير رحمة الله عليه أي ومن يتق الله فيما امره به وترك ما نهاه عنه يجعل له من امره مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب، أي من جهة لاتخطر بباله .

وروى ابن ابي حاتم عن عبد الله بن مسعود قال : ان اجمع آية في القرآن «ان الله يأمر بالعدل والاحسان» وان أكبر آية في القرآن فرجا «ومن يتقي الله يجعل له مخرجا». وعن علي بن طلحة عن ابن عباس : (يجعل له مخرجا) يقول : ينجيه من كل كرب في الدنيا والآخرة .. وقال عز وجل في نفس الصورة «ومن يتقي الله يجعل له من امره يسرا» .

ثانيا : ومن الاسباب التي يرجى بها الفرج العاجل في الشدة التعرف إلى الله في الرخاء، كما في حديث ابن عباس مرفوعا،

(تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة)، قال بن رجب رحمه الله : وليس المراد بالمعرفة، المعرفة العامة التي -هي الاقرار والتصديق والايمان انما المراد المعرفة الخاصة التي تقتضي ميل القلب إلى الله عز وجل والانقطاع إليه والانس به والطمأنينة بذكره والحياء منه والهيبة له. قال أحمد بن عاصم الانطاكي : أحب أن لا أموت حتى أعرف مولاي وليس معرفة الاقرار به ولكن المعرفة التي اذا عرفته استحييت منه وفي الجملة من عامل الله بالتقوى والطاعة في حال رخائه عامله الله باللطف والاعانة في حال شدته. وقال الضحاك بن قيس : اذكروا الله في الرخاء يذكركم في الشددة، ان يونس عليه السلام كان يذكر الله تعالى : فلما وقع في بطن الحوت قال الله تعالى «فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون».

وان فرعون كان طاغيا ناسيا لذكر الله فلما ادركه الغرق قال : أمنت فقال الله تعالى «الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين» فلم ينفعه إيمانه لنسيانه لربه وقت الرخاء.

قال رجل لابي الدرداء : أوصني فقال : اذكر الله في السراء؛ يذكرك الله في الضراء. وعنه انه قال : ادع الله في يوم سرائك؛ لعله ان يستجيب لك في يوم ضرائك .

ثالثا : ومن الأسباب التي يرجى بها تعجيل الفرج : الدعاء مع

الاضطرار. قال تعالى «أمن يجب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء». قال القاسمي رحمه الله : (أمن يجيب المضطر إذا دعاه) وهو الذي احوجه مرض أو نازلة من نوازل الدهر، وإلى اللجأ، والتضرع إلى الله تعالى .

قال ابن كثير رحمه الله : ينبه تعالى انه المدعو عند الشدائد وعند النوازل كما قال تعالى (وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا اياه) .

قال تعالى : (ثم اذا مسكم الضـر فاليه تجارون) (النحل: ٣٥) وهكذا قال ههنا (أمن يجيب المضطر إذا دعاه) . أي هو الذي لا يلجأ إلا إليه، والذي لا يكشف ضر المصطرين سواه .

وقال ابن القيم رحمه الله : الدعاء من اقوى الأسباب في دفع المكروه، وحصول المطلوب، ولكن قد يتخلف عنه أثره، أما لضعفه في نفسه بأن يكون دعاء لا يحبه الله لما فيه من العدوان، واما لضعف القلب، وعدم اقباله جميعه على الله، وقت الدعاء، فيكون بمنزلة القوس الضعيف «فان السهم يخرج منه خروجا ضعيفا»، وإما لحصول المانع من الاجابة من أكل الحرام، ورين الذنوب على القلب، واستيلاء الغفلة والسهو، واللهو، تغلبت عليه والدعاء من أنفع الأدوية، وهو عدو البلاء يدافعه ويعالجه، ويمنع نزوله ويرفعه أو

يخففه اذا نزل، فله مع البلاء ثلاثة مقامات :

أحدهما : ان يكون أقوى من البلاء فيدفعه .

الثاني : ان يكون اضعف من البلاء، فيقوى عليه البلاء فيصاب به العبد ولكن قد يخففه .

الثالث : ان يتقاوما ويمنع كل واحد منهما صاحبه .

ومن الأسباب التي يرجى بها تعجيل الفرج كثرة الاستغفار وكثرة الصلاة على النبي ﷺ وكثرة الاستغاثة بالله عز وجل. أما كثرة الاستغفار فلأن البلاء لا ينزل إلا بذنب وعلاج الذنوب في الاستغفار، قال بعض السلف : ان هذا القرآن فيه دائكم ودوائكم، فأما داؤكم فالذنوب، واما دواؤكم فالاستغفار. ويشهد لذلك قوله عز وجل «استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا» .

وأما كثرة الصلاة على النبي ﷺ وأنها سبب من أسباب زوال الضيق والهم فقد ورد عن المصطفى ﷺ قال : أتاني آتٍ من ربي فقال : ما من عبد يصلي عليك صلاة إلا صلى الله عليه بها عشرا فقام إليه رجل فقال : يا رسول الله اجعل نصف دعائي لك؟ قال : إن شئت قال : أجعلي ثلثي دعائي لك قال : إن شئت قال

: ألا أجعل دعائي لك كله قال : إذن يكفيك الله هم الدنيا والاخرة .

خامسا : ومن الأسباب التي يرجى بها تعجيل الفرج التوسل إلى الله عز وجل بالعمل الصالح. فقد ورد عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يقول (انطلقوا ثلاثة رهط ممن كان قبلكم حتى أووا المبيت إلى غار فدخلوه .

فانحدرت صخرة من الجبل : فسدت عليهم الغار. فقالوا : انه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا ان تدعو الله بصالح أعمالكم فقال رجل منهم : اللهم انه كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أغبق قبلهما أهلا ولا مالا، فنأى بي طلب الشجر يوما، فلم ارجع عليهما حتى ناما، فحلبت لهما غبوقهما، فوجدتهما نائمين فكرهت أن أغبق قبلهما أهلا ولا مالا فلبثت والقدح على يدي انتظر استيقاظهما حتى برق الفجر فاستيقظا فشربا غبوقهما، اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة فانفرجت شيئا لا يستطيعون الخروج وقال الاخر : اللهم كانت لي بنت عم احب الناس إلى، فأردتها عن نفسها، فامتنعت مني حتى ألمت بها سنة من السنين، فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على تخلي بيني وبين نفسها ففعلت، حتى إذا قدرت

عليها. قالت لا يحل لك ان تفض الخاتم الا بحقه، فتحرجت من الوقوع عليها. فانصرفت عنها وهي أحب الناس إلي. وتركت الذهب الذي اعطيتها ، اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه. فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها. وقال الثالث : اللهم اني استأجرت اجراء فاعطيتهم اجرهم غير رجل واحد، ترك الذي له وذهب، فأثمرت اجره حتى كثرت منه الأموال، فجاءني بعد حين فقال : يا عبد الله ادفع إليّ اجري، فقلت له : كل ما ترى من اجرك، من الإبل والبقر والغنم والرقيق، فقال : يا عبد الله تستهزيء بي فقلت : اني لا استهزيء بك، فأخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئا، اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون .

فهؤلاء الثلاثة توسلوا إلى الله بأعمالهم الصالحة. فالأول توسل ببر والديه والثاني بعفته عن الزنا بعد المقدرة عليه. والثالث بوفاءه بايصال الاجر إلى صاحبه ومستحقه وبعد ان قام بتنميته حتى صار هذا المال العظيم وذلك سبب صدقهم واخلاصهم وتوكلهم على الله وحسن ظنهم به فاستجاب لهم ربهم ورفع ما الم بهم وفرج عنهم كربتهم واكرمهم بلطفه ورحمته .

سادسا : مع أولياءه وعباده الصالحين فلا يضيع اجر من احسن عملا.

التوكل على الله هو صدق اعتماد القلب على الله عز وجل في استجلاب المصالح ودفع المضار في امور الدنيا والاخرة .

وقد جعل الله لكل عمل من أعمال البر جزاء معلوما، وجعل نفسه جزاء المتوكل عليه كفايته، فقال : «ومن يتقي الله يجعل له مخرجا» ثم قال في التوكل «ومن يتوكل على الله فهو حسبه» فانظر إلى هذا الجزاء الذي حصل للمتوكل ولم يحصل لغيره، وهذا يدل على أن التوكل من اقوى السبُل عنده واحبها إليه قال تعالى «أليس الله بكاف عبده» فطالب الكفاية من غيره هو التارك للتوكل قال عز وجل : «وكفى بالله وكيلا» .

وإذا كان كفى به وكيلا فهذا مختص به سبحانه ليس غيره من الموجودات كفى به وكيلا، فإنه من يتخذ من المخلوقين وكيلا غايته ان يفعل بعض الأمور، وهو لا يفعلها إلا باعانة الله له، وهو عاجز عن أكثر المطالب، فإذا كان سبحانه وصف نفسه بانا كفى به وكيلا على انه يفعل بالمتوكل عليه ما لا يحتاج معه إلى غيره، في جلب المنافع ودفع المضار، اذ لو تبقى شيء لم يكن كفى به وكيلا، وهذا يقتضي بطلان ظن ان المتوكل عليه لا يحصل بتوكله

عليه جلب منفعة ولا دفع مضرة، بل يجرى كما لو لم يتوكل عليه وقد اخبر الله عز وجل كيف كان التوكل سببا للنجاة من الشدائد كما قال تعالى «الذين قال لهم الناس ان قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء» .

وقال عن مؤمن آل فرعون «وأفوض امري إلى الله ان الله بصير بالعباد فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب». ومن تمام التوكل على الله عز وجل اليأس من المخلوقين، واعتقاد انهم لا يملكون له ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا بل هم أقل وأذل من ذلك ولله عز وجل وحده الخلق والأمر .

سابعا ـــ ومن أعظم الأسباب في تعجيل الفرج بعد الشدة حسن الظن بالله عز وجل. قال بعض الصالحين : استعمل في كل بلية تطرقك حسن الظن بالله عز وجل فإن ذلك اقرب بك إلى الفرج. والشاهد عليه قوله ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل «انا عند ظن عبدي بي» فمن ظن بالله عز وجل انه يفرج عنه كربه وييسر له امره فالله عز وجل عند ظن عبده به لذا كان اليأس من رحمة الله كفرا، لأنه ظن ان الله لن يرحمه فكان هذا الظن خروجا من رحمة الله قال تعالى : «انه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون» .

لطائف وفوائد

الخير الذي لا شر فيه :

قال الحسن البصري : الخير الذي لا شر فيه هو الشكر مع العافية، والصبر عند المحنة، فكم من منعم عليه غير شاكر، وكم مبتلي بمحنته وهو غير صابر .

المحن آداب الله عز وجل لخلقه :

كان يقال : المحن آداب الله عز وجل لخلقه، وتأديب الله يفتح القلوب والاسماع والأبصار .

وصف الحسن بن سهل المحن فقال : فيها تمحيص من الذنب، وتنبيه من الغفلة، وتعرض للثواب بالصبر، وتذكير بالنعمة، وإستدعاء للمثوبة وفي نظر الله عز وجل وقضائه الخيار .

إنما يبتلى الصالحون :

كتب محمد بن الحنفية إلى عبد الله بن عباس، حين سيره ابن الزبير عن مكه إلى الطائف :

أما بعد، فإنه بلغني أن ابن الزبير سيرك إلى الطائف، فأحدث الله عز وجل لك بذلك أجرا، وحط به عنك وزرا، يا ابن عم، إنما يبتلى الصالحون، وتعد الكرامة للأخيار، ولو لم تؤجر إلا فيما تحب، لقل الأجر، وقد قال الله تعالى : (وعسى أن تكرهوا شيئا

وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم) عظم الله لنا ولك بالصبر علة البلاء. والشكر على النعماء، ولا شمت بنا وبك الأعداء والسلام. (النعمة والعافية تبطران الانسان) .

كتب بعض الكتاب إلى صديق له في محنة لحقته :

إن الله تعالى ليمتحن العبد ليكثر التواضع له. والاستعانة به ويجدد الشكر على ما يوليه من كفايته، ويأخذ في شدته لأن دوام النعم والعافية يبطران الانسان، حتى يعجب بنفسه، ويعدل عن ذكر ربه وقد قال الشاعر :

لا يترك الله عبدا ليس يذكره
ممن يؤذيه أو من يؤنبه
أو نعمة تقتضي شكرا يدوم له
أو نقمة حين ينسى الشكر تنكبه

من فوائد المحن :

ـــ قال إسحاق العباد : ربما امتحن الله العبد بمحنة، يخلصه بها من الهلكة فتكون تلك المحنة من أجل نعمة.

ـــ قال : وسمعت ان من احتمل المحنة، ورضى بتدبير الله تعالى في النكبة، وصبر على الشدة، كشف له عن منفعتها، حتى يقف عن المستور عنه من مصلحتها .

أقوال في الصبر :

ـــ كان بعض الحكماء يقول : الحيلة فيما لا حيلة فيه الصبر .

ـــ العرب تقول : إن في الشر خيارا .

ـــ قال الأصمعي : معناه أن بعض الشر أهون من بعض .

ـــ قال بعض الحكماء : عواقب الأمور تتشابه في الغيوب فرب محبوب في مكروه، ومكروه في محبوب، وكم مغبوط بنعمة هي داؤه، ومحروم من داء هو شفاؤه .

قد ينجلي المكروب عما يسر :

كان يقال : العاقل لا يذل بأول نكبة، ولا يفرح بأول نعمة، فربما أقلع المحبوب عما يضر، وأجلى المكروه عما يسر .

شكا عبد الله بن الطاهر إلى سليمان بن يحيى بن معاذ كاتبه، بلاء خافه وتوقعه فقال له : أيها الأمير، لا يغلبن على قلبك إذا اغتممت ما تكره دون ما تحب، فلعل العاقبة تكون بما تحب وتوقى ما تكره. فتكون كمن يستسلف الغم بالخوف .

قال أما إنك قد فرجت عني ما أنا فيه .

يدرك الصبور أحد الأمور :

كان يقال : الصبور يدرك أحد الأمور . قال : أبان بن

تغلب الكوفي : سمعت أعرابيا يقول : من أفضل اداب الرجال إذا نزلت بأحدهم جائحة استعمل الصبر عليها، والهم نفسه الرجاء لزوالها : حتى كأنه لصبره يعاين الخلاص منها والغناء ، توكلا على الله عز وجل، وحسن ظن به، فمتى لزم هذه الصفة، لم يلبث أن يقضي الله حاجته، ويزيل كربته، وينجح طلبته ومعه دينه وعرضه ومروءته .

معجزة عظيمة وألطاف ربانية
« ان الله معنا »

توجه رسول الله ﷺ بصحبة أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلى غار ثور وهو على ثلاثة أميال من جنوب غرب مكة المكرمة. ولما انتهيا إلى الغار قال ابو بكر رضي الله عنه للنبي ﷺ (مكانك يا رسول الله استبريء لك الغار). ودخله أبو بكر وجعل يسد الأحجار كلها، فبقى منها جحر واحد القمه كعب رجله، ثم نادى رسول الله ﷺ، فدخل عليه الصلاة والسلام ووضع رأسه في حجر أبي بكر الصديق رضي الله عنه ونام لشدة ما أعتراه من تعب.

ولدغ أبو بكر الصديق رضي الله عنه من ذلك الجحر الذي وضع عليه كعب رجله، فلم يتحرك لئلا يوقظ رسول الله ﷺ،

ولكن دموعه سقطت من شدة الألم على وجه رسول الله ﷺ فأنتبه عليه الصلاة والسلام، وقال لأبي بكر الصديق رضي الله عنه : ما بك ؟ قال : (لدغت فداك أبي وأمي) فوضع عليها من ريقه الشريف فزال الألم، ولما أصبحا قال النبي ﷺ لأبي بكر الصديق رضي الله عنه : (اين ثوبك) فأخبره انه مزقه ووضعه في الأحجار فرفع النبي ﷺ يديه وقال «اللهم اجعل ابا بكر معي في درجتي في الجنة». ولما علم المشركون بخروج رسول الله ﷺ وأبي بكر الصديق رضي الله عنه، ذهبوا في طلبهما كل مطلب وجعلوا لمن ردهما مائة من الابل واقتفوا أثارهما حتى اختلط عليهم وصعدوا الجبل الذي هما فيه وجعلوا يمرون من باب الغار ولا يرونهما فلم يدخلوه اذ رأوا على بابه نسيج العنكبوت كما رأوا حمامتين قد عشعشتا على بابه وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يرى القوم فيعتريه الخوف على رسول الله ﷺ وكان عليه الصلاة والسلام يطمئنه ويقول (لا تحزن ان الله معنا) .

معجزة الرسول ﷺ ووقوع ما اخبر به وحفظ الله له ولصاحبه

كان سراقة بن مالك من أمهر الناس قصا للآثار فاستعان به المشركون لتتبع آثار النبي ﷺ وصاحبه أبي بكر الصديق رضي الله عنه حين هاجرا من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، وركب سراقة فرسه وتبعهما حتى لحق بهما : يقول سراقة، حتى اذا سمعت قراءة رسول الله وهو لا يلتفت وأبو بكر يكثر الالتفات فعندئذ ساخت يدا فرسي في الأرض حتى بلغتا الركبتين فخررت عنها فأهويت ثم زجرتها فنهضت فلم تكد تخرج يديها واستوت قائمة ولحقتهما حتى ساخت يداها، وناديتهما بالأمان فوقفا وعندما دنوت منهما قلت لرسول الله ان قومك قد جعلوا فيك الدية وأخبرتهما ما يريد الناس بهما وسألته أن يكتب لي كتاب امن ثم قال النبي ﷺ (كيف بك إذا لبست سوار كسرى؟؟) وعاد سراقة إلى مكة.

وفتح الله على المسلمين بلاد فارس في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه وغنم المسلمون أموال كسرى فلما اتى بسوار كسرى وتاجه ومنطقته دعا عمر بن الخطاب رضي الله عنه سراقة فألبسه السوارين وقال : ارفع يديك وقال الله أكبر الحمد لله الذي سلبهما كسرى بن هرمز وألبسهما سراقة بن مالك .

من ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه

يحكى ان رجلا من الصالحين قال كنت مجاورا بمكة فأصابني يوما من الأيام جوع شديد لم اجد شيئا ادفع به عني الجوع، فوجدت كيسا من أبر يسم مشدود بشرابه من ابر يسم أيضا فأخذته وجئت به إلى بيتي فحللته فوجدت فيه عقدا من لؤلؤ لم أر مثله وخرجت فإذا بشيخ ينادي عليه ومعه خرقة فيها خمس مائة دينار وهو يقول هذا لمن يرد علينا الكيس الذي فيه اللؤلؤة فقلت انا محتاج وانا جائع فأخذ هذا الذهب فانتفع به وارد عليه الكيس، فقلت له تعالى إليّ فأخذته وجئت به إلى بيتي فأعطاني علامة الكيس وعلامة الشرابة وعلامة اللؤلؤ وعدده والخيط الذي هو مشدود به فأخرجته ودفعته إليه فسلم إليّ خمس مائة دينار فلم أخذها وقلت يجب علي أن اعيده لك ولا أخذ له جزاء فقال لي لابد أن تأخذه والح علي كثيرا فلم أقبل ذلك منه فتركني ومضى،، وأما ما كان مني فأني خرجت من مكة وركبت البحر فانكسر المركب وغرق الناس وهلكت أموالهم وسلمت أنا على قطعة من المركب فبقيت مدة في البحر لا أدري اين أذهب فوصلت إلى جزيرة فيها قوم فقعدت في بعض المساجد فسمعوني اقراء فلم يبقى في تلك الجزيرة احد الا جاء إليّ وقال، علمني

القرآن فحصل لي من أولئك القوم شيء كثير من المال، ثم اني رأيت في ذلك المسجد أوراقا من مصحف فأخذتها اقراء فيها، فقالوا لي تحسن تكتب؟! فقلت نعم فقالوا علمنا الخط فجاءوا باولادهم من الصبيان والشبان فكنت أعلمهم فحصل لي أيضا من ذلك شيء كثير، فقالوا لي بعد ذلك عندنا صبية يتيمة ولها شيء من الدنيا نريد أن تتزوج بها فامتنعت فقالوا لا بد والزموني فأجبتهم إلى ذلك. فلما زفوها إلى مددت عيني انظر إليها فوجدت ذلك العقد بعينه معلقا في عنقها فما كان لي حينئذ شغل إلا النظر إليه فقالوا : يا شيخ كسرت قلب هذه اليتيمة من نظرك إلى هذا العقد ولم تنظر إليها فقصصت عليهم قصة العقد فصاحوا وصرخوا بالتهليل والتكبير حتى بلغ إلى جميع أهل الجزيرة فقلت ما بكم فقالوا ذلك الشيخ الذي أخذ منك العقد هو ابو هذه الصبية وكان يقول ما وجدت في الدنيا مسلما الا هذا الذي رد علي هذا العقد وكان يدعوا ويقول : اللهم اجمع بيني وبينه حتى ازوجه بأبنتي والآن قد حصلت فبقيت معها مدة ورزقت منها بولدين. ثم انها ماتت فورثت العقد انا وولداي ثم مات الولدان فحصل العقد لي فبعته بمائة الف دينار وهذا المال الذي ترونه معي من بقايا ذلك المال .

معجزة عظيمة وكرامة لسيد البشر ﷺ

ألطاف ربانية وهدايا رحمانية وانك لعلى خلق عظيم ..

هيبة النبي ﷺ عليه وسلم، كان النبي ﷺ اذا تكلم اطرق جلساؤه كأن على رؤوسهم الطير : قال أنس بن مالك رضي الله عنه : كان النبي ﷺ يخرج على أصحابه من المهاجرين والانصار وهم جلوس فلا يرفع أحد منهم بصره إلا أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فأنهما كانا ينظران إليه وينظر إليهما ويبتسمان إليه ويبتسم إليهما وقال البراء بن عازب رضي الله عنه كنت أريد أن أسأل رسول الله ﷺ عن الأمر، فأؤخرها من هيبته. وقال عمرو بن العاص رضي الله عنه ما كنت أطيق ان املأ عيني من رسول الله ﷺ اجلالا له، ولو سئلت ان أصفه ما اطقت لأني لم اكن أملأ عيني منه. وقد تجاوزت هيبته اصحابه إلى اعدائه. وقدم رجل من احدى القبائل العربية حتى وقف على ناد من قريش، ورسول الله ﷺ في ناحية المسجد جالس، فقال يا معشر قريش أمن رجل يؤديني على أبي الحكم بن هشام فأني رجل غريب وبن سبيل وقد غلبني على حقي فقال له أهل ذلك المجلس اترى ذلك الرجل الجالس ـــ يريدون رسول الله ﷺ وهم يهزأون به لما يعلمون ما بينه وبين ابي جهل من العداوة اذهب إليه فأنه يؤديك عليه، فأقبل الرجل حتى وقف على رسول الله ﷺ فقال «يا عبد الله» إن ابا

الحكم بن هشام قد غلبني على حق لي وانا رجل غريب فأشاروا إليك فخذ لي حقي منه يرحمك الله ـــ قال رسول الله ﷺ : انطلق إليه وقام معه وحين رآه رجال قريش قام معه رجل ممن معهم اتبعه. وخرج رسول الله ﷺ حتى جاء أبا جهل فضرب عليه بابه فقال أبو جهل من هذا فقال له رسول الله ﷺ محمد فأخرج إليّ وخرج أبو جهل إلى النبي ﷺ، وما في وجهه بقية من روح فقال له رسول الله ﷺ، أعط هذا الرجل حقه قال أبو جهل نعم لا تبرح حتى أعطيه الذي له ودخل أبو جهل داره وخرج إلى الرجل بحقه ودفعه إليه وانصرف رسول الله ﷺ وقال للرجل الحق بشأنك فأقبل الرجل حتى وقف على مجلس قريش وقال جزاه الله خيرا فقد والله أخذ لي حقي، وجاء الرجل الذي بعثه رجال قريش مع صاحب الحق لينظروا ماذا يحدث بين النبي ﷺ وأبي جهل فقالوا له ويحك ما رأيت قال عجبا من العجب والله ما هو إلا أن ضرب عليه بابه فخرج إليه وما معه روحه فقال له اعط هذا حقه فقال نعم لا تبرح حتى اخرج حقه فدخل فخرج إليه بحقه فأعطاه إياه، ولم يلبث أبو جهل ان جاء فقالوا له ويلك مالك والله ما رأينا مثل ما صنعت قط فقال لهم ابو جهل ويحكم والله ما هو الا ان ضرب علي بابي وسمعت صوته فملئت رعبا ثم خرجت إليه وان فوق رأسه لفحلا من الإبل ما رأيت مثل هامته ولا انيابه فحل قط،

والله لو أبيت لأكلني . ان هيبة النبي ﷺ، كانت هبة من الله فلم يكن جبارا بل، رحمة للعالمين وصدق الله العظيم «وانك لعلى خلق عظيم»..

ورع عمر رضي الله عنه وخوفه وتقواه لله

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يمر على الناس مستتراً ليتعرف أخبار رعيته، فمر بعجوز في خبائها، فسلم عليها وقال لها (ما فعل عمر؟) قالت : لا جزاه الله عني خيرا!) قال لها ولم ؟ قالت (لأنه والله ما نالني من عطائه منذ ولى أمر المؤمنين دينار ولا درهم) فقال لها ما يدري عمر بحالك وانت في هذا الموضع قالت سبحان الله والله ما ظننت ان احداً يلي عمل الناس ولا يدري بين مشرقها ومغربها وبكى عمر ثم قال (واعمراه)!! كل احد افقه منك حتى العجائز يا عمر ثم قال لها «يا أمة الله! بكم تبيعيني مظلمتك من عمر؟ فاني ارحمه من النار قالت (لا تهزأ بنا يرحمك الله) فقال لها : (لست بهازيء) ولم يزل بها حتى اشترى مظلمتها بخمسة وعشرين دينار. وبينما هو كذلك إذا أقبل عليّ بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما فقالا السلام عليك يا أمير المؤمنين فوضعت العجوز يدها على رأسها وقالت : واسوأتاه! شتمت أمير المؤمنين في وجهه فقال لها عمر (لا بأس

عليك يرحمك الله ثم طلب رقعة يكتب فيها فلم يجد، فقطع قطعة من مرقعته وكتب فيها ــ بسم الله الرحمن الرحيم) هذا ما اشترى عمر من فلانه مظلمتها منذ ولى إلى يوم كذا وكذا بخمسة وعشرين دينارا، فما تدعى عند وقوفه في المحشر بين يدي الله تعالى فعمر منه بريء» وأشهد على ذلك علي بن أبي طالب وابن مسعود ورفع عمر الكتاب إلى ولده وقال : «إذا أنا متُ فاجعله في كفني القى به ربي» .

كنوز عظيمة

قال الامام جعفر الصادق رضي الله عنه : عجبت لمن ابتلى بخمس كيف يغفل عن خمس !

عجبت لمن ابتلي بالضرّ، كيف يذهب عنه ان يقول (اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين) والله تعالى يقول «فأستجبنا له فكشفنا ما به من ضر» وعجبت لمن ابتلي بالغم، كيف يذهب عنه ان يقول (لا إله إلا انت سبحانك اني كنت من الظالمين) والله تعالى يقول «فأستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين».

وعجبت لمن خاف شيئا كيف يذهب عنه ان يقول (حسبنا الله ونعم الوكيل) والله تعالى يقول : «فأنقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسهم سوء» .

وعجبت لمن مكُر به كيف يذهب عنه ان يقول (وافوض امري إلى الله ان الله بصير بالعباد) والله تعالى يقول «فوقاه الله سيئات ما مكروا» .

وعجبت لمن انعم الله عليه بنعمة خاف زوالها، كيف يذهب عنه ان يقول (ما شاء الله لا قوة إلا بالله. والله تعالى يقول «ولولا اذا دخلت جنتك قلت ما شاء الله ولا قوة إلا بالله» .

أحاديث الطب

روى مسلم في صحيحه : من حديث أبي الزبير، عن جابر بن عبد الله، عن النبي ﷺ انه قال : لكل داء دواء، فإذا اصيب دواء الداء، براء بإذن الله عز وجل. — وفي الصحيحين عن عطاء، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ (ما انزل الله من داء الا انزل له شفاء) .

وفي مسند الامام أحمد : من حديث زياد بن علاقة، عن اسامة بن شريك، قال كنت عند النبي ﷺ وجاءت الأعراب فقالوا : يا رسول الله انتداوي فقال : (نعم يا عباد الله تداوا فأن الله عز وجل لم يضع داء إلا وجعل له شفاء غير داء واحد) قالوا ما هو قال الهرم، وفي لفظ (ان الله لم ينزل داء الا انزل له شفاء، علمه من علمه وجهله من جهله) .

وفي المسند من حديث بن مسعود يرفعه : (ان الله عز وجل لم ينزل داء الا انزل له شفاء، علمه من علمه، وجهله من جهله).

وفي المسند والسنن : عن أبي خزامة قال : قلت : يا رسول الله ارأيت رقى نسترقيها، ودواء نتداوي به، وتقاة نتقيها، هل ترد من قدر الله شيئا؟ فقال : هي من قدر الله .

فقد تضمنت هذه الأحاديث اثبات الأسباب والمسببات وأبطال قول من انكرها ويجوز ان يكون قوله : (لكل داء دواء) على عمومه حتى يتناول الادواء القاتلة والادواء التي لا يمكن للطبيب ان يتغلب عليها ويقع على الداء ويكون الله عز وجل قد جعل لها أدوية تبرئها، ولكن طوى علمها عن البشر ولم يجعل لهم إليه سبيلا، لأنه لا علم للخلق إلا ما علمهم الله، ولهذا علق النبي ﷺ الشفاء على مصادفة الدواء للداء، فإنه لا شيء من المخلوقات إلا له ضد، وكل داء له ضد من الدواء يعالج بضده، فعلق النبي ﷺ البرء بموافقة الداء للدواء، وهذا قدر زائد على مجرد وجوده فإن الدواء متى جاوز درجة الداء في الكيفية، أو زاد في الكمية على ما ينبغي نقله إلى داء اخر ومتى قصر عنها لم يف بمقاومته وكان العلاج قاصرا ومتى لم يقع المداوي على الدواء، أو لم يقع الدواء على الداء، لم يحصل الشفاء، ومتى لم يكن الزمان صالحا لذلك الدواء لم ينفع ومتى كان

البدن غير قابل له، أو القوة عاجزة عن حمله، أو ثم مانع يمنع من تأثيره، لم يحصل البرء لعدم المصادفة ومتى تمت المصادفة حصل البرء بإذن الله .

ومن تأمل خلق الاضداد في هذا العالم، ومقاومة بعضها لبعض، ودفع بعضها ببعض، وتسلط بعضها على بعض، تبين له كمال قدرة الرب تعالى وحكمته، واتقانه لما صنعه وتفرده بالربوبية والوحدانية والقهر وان كل ما سواه فله ما يضاده ويمانعه، كما انه الغني بذاته، وكل ما سواه محتاج بذاته .

وفي الاحاديث الصحيحة الأمر بالتداوي، وانه لا ينافي التوكل، كما لا ينافيه دفع داء الجوع، والعطش والحر والبرد بأضدادها، بل لا تتم حقيقة التوحيد الا بمباشرة الأسباب التي نصبها الله مقتضيات لمسبباتها قدرا وشرعا، وان تعطيلها يقدح في نفس التوكل، كما يقدح في الأمر والحكمة، ويضعفه من حيث يظن معطلها ان تركها اقوى في التوكل فإن تركها عجزا ينافي التوكل الذي حقيقته اعتماد القلب على الله في حصول ما ينفع العبد في دينه ودنياه، ودفع ما يضره في دينه ودنياه ولا بد مع هذا الاعتماد من مباشرة الأسباب، والا كان معطلا للحكمة والشرع، فلا يجعل العبد عجزه توكلا، ولا توكله عجزا.

هدي المصطفى ﷺ بالاقتصاد في الأكل

في هديه ﷺ في الاحتماء من التضخم والزيادة في الأكل على قدر الحاجة، والقانون الذي ينبغي مراعاته في الأكل والشرب. في المسند وغيره : عنه ﷺ انه قال : (ما ملأ ادمي وعاء شر من بطنه، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فان كان لا بد فاعلا فثلث لطعامه وثلث لشرابه، وثلث لنفسه) .

الأمراض نوعان : امراض مادية تكون على زيادة مادة افرطت في البدن حتى اضرت بأفعاله الطبيعية، وهي الأمراض الأكثرية، وسببها ادخال الطعام إلى البدن قبل هضم الأول، والزيادة في القدر الذي يحتاج إليه البدن، وتناول الأغذية القليلة النفع، البطيئة الهضم، والاكثار من الأغذية المختلفة التراكيب المتنوعة، فإذا ملأ الآدمي بطنه من هذه الأغذية واعتاد ذلك أورثته امراض متنوعة، منها بطيء الزوال وسرعته، فإذا توسط في الغذاء وتناولة منه قدر الحاجة وكان معتد لا في كميته وفي كيفيته كان انتفاع البدن به أكثر من انتفاعه بالغذاء الكثير .

العسل غذاء وشفاء من كل داء وسقم

قال تعالى «وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس» .

وقال المصطفى ﷺ في الصحيحين : من حديث أبي المتوكل، عن أبي سعيد الخدري، ان رجلا أتى النبي ﷺ فقال : ان اخي يشتكي بطنه، وفي روايه، استطلق بطنه : فقال : اسقه عسلا، فذهب ثم رجع، فقال : قد أسقيته فلم يغني عنه شيئا، وفي لفظ : فلم يرده إلا استطلاقا مرتين أو ثلاث، كل ذلك يقول له : اسقه عسلا، فقال له في الثالثة أو الرابعة صدق الله، وكذب بطن أخيك .

وقد ورد عن سيد البشر ﷺ (عليك بالشفائين : العسل والقرآن) فجمع بين الطب الشرعي الالهي وبين طب الابدان وطب الأرواح، وبين الدواء الأرضي والدواء السمائي، اذا عرف هذا، فهذا الذي وصف له النبي ﷺ العسل، كان استطلاق بطنه عن تخمه اصابته عن امتلاء، فأمره بشرب العسل لدفع الفضول المجتمعه في نواحي المعدة والامعاء، فان العسل فيه جلاء ودفع للفضول، وكان

قد اصاب المعدة اخلاط لزجة تمنع استقرار الغذاء فيها للزوجاتها، فان المعدة لها خمل كخمل القطيفة، فأذا علقت بها الأخلاط اللزجة افسدتها وأفسدت الغذاء فدواؤها بما يجلوها من تلك الأخلاط، فالعسل هو جلائها والعسل من أحسن ما عولج به هذا الداء، لا سيما اذا مزج بالماء الحار .

وفي تكرار سقية العسل معنى طبي بديع، وهو ان الدواء يجب ان يكون له مقدار وكمية بحسب حال الداء، فإذا قصر عنه، لم يزل بالكلية، وان جاوزه، أو هو أقوى، فأحدث ضررا اخر، فلما امره أن يسقيه العسل سقاه مقدارا لا يفي بمقاومة الداء ولا يبلغ الغرض، فلما اخبره علم ان الذي سقاة لا يبلغ مقدار الحاجة، فلما تكرر ترداده على النبي ﷺ أكد عليه المعاودة ليصل إلى المقدار المقاوم للداء، فلما تكررت الشربات بحسب مادة الداء براء بأذن الله واعتبار مقادير الأدوية وكيفياتها ومقدار قوة المرض والمريض من اكبر قواعد الطب .

وفي قوله ﷺ (صدق الله وكذب بطن أخيك اشارة إلى تحقيق نفع هذا الدواء، وان بقاء الداء ليس لقصور الدواء في نفسه ولكن لكذب البطن، وكثرة المادة الفاسدة فيه، فأمر بتكرار الدواء لكثرة المادة).

وليس طبه ﷺ كطب الأطباء فان طب النبي ﷺ متيقن قطعي الهي صادر عن الوحي ومشكاة النبوة وكمال العقل وطب غيره أكثره حدث وظنون وتجارب ولا ينكر انتفاع عدم كثير من المرضى بطب النبوة فإنه انما ينتفع به من تلقاه بالقبول واعتقاد الشفاء به، وكمال التلقي له بالأيمان والاذعان، فهذا القرآن الذي هو شفاء لما في الصدور ـــ ان لم يتلقى هذا التلقي ـــ لم يحصل به شفاء الصدور من أدوائها، بل لا يزيد المنافقين الا رجسا إلى رجسهم، ومرضا إلى مرضهم، واين يقع طب الابدان منه، فطب النبوة لا يناسب الا الابدان الطيبة، كما ان شفاء القرآن لا يناسب إلا الأرواح الطيبة والقلوب الحية، فإعراض الناس عن طب النبوة كإعراضهم عن الاستشفاء بالقرآن الذي هو الشفاء النافع، وليس ذلك لقصور في الدواء لكن لخبث بالطبيعة، وفساد المحل، وعدم قبوله،، والله الموفق .

فائدة علاج الحمى

عن أبي جمرة الضبعي قال :

كنت اجالس بن عباس بمكة. فأخذتني الحمى فقال : ابردها عنك بماء زمزم، فان رسول الله ﷺ قال : (هي الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء) أو قال بماء زمزم .

فكانت اسماء بنت الصديق رضي الله عنهما ترش على بدن المحموم شيئا من ماء زمزم بين يديه وثوبه. وذكر في تاريخ مكة ان ماء زمزم مذهب للصداع، وان الاضطلاع منها يجلو البصر، لأن ماء زمزم، طعام طعم، وشفاء سقم .

ماء زمزم معجزة
انه شفاء من كل داء

يقول وهب بن منبه والذي نفس وهب بيده لا يعمد إليها أحد فيشرب منها حتى يتضلع الا نزعت داء، واحدثت له شفاء. ويذكر لنا الصحابي الجليل ابن عباس رضي الله عنهما هذا الشفاء. وهذه البركة فيقول : (شفاء من كل داء)،

ماء زمزم لما شرب له

من حديث جابر، وابن عباس وابن عمر، ومعاوية، كلهم مرفوعا ما عدا معاوية، قال رسول الله ﷺ (ماء زمزم لما شرب له) .

لقد اكثر أهل العلم من شرح هذا الحديث والكلام على معناه.

فقوله ﷺ، (ماء زمزم) قال المنياوي رحمه الله : هو سيد المياه واشرفها واجلها قدرا وأحبها إلى النفوس، واما عن قوله ﷺ : (لما شرب له) فقال : لأنه سقيا وغياثه لولد خليله، فبقى غياثا لمن بعده، فمن شربه بإخلاص وجد ذلك الغوث، وقد شربه جمع من العلماء لمطالب فنالوها .

وقد شربه جماعة من السلف والخلف لمقاصد جليلة فنالوها.

وقال الامام النووي رحمه الله معلقا على هذا الحديث : معناه ان من شربه لحاجة نالها، وقد جربه العلماء والصالحون، لحاجات اخروية ودنيوية فنالوها بحمد الله تعالى وفضله .

معجزات وحكم ــ ماء زمزم
سبب تسميته بهذا الاسم ــ وانه شفاء من كل داء

قال المسعودي (ماء زمزم) سميت به لأن الفرس كانت تحج إليها في الزمن الأول فزمزمت، والزمزمة صوت تخرجه الفرس من خياشيمها عند شرب الماء .

ونقل البرقي عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ انها سميت زمزم لأنها زمت بالتراب لئلا يأخذ الماء يمينا وشمالا، ولو تركت ساح على الأرض حتى ملأ كل شيء .

وقال ابن اسحاق المغازي رحمة الله : ان مكة كان فيها ابيار كثيرة قبل ظهور زمزم في زمن عبد المطلب، فعفت زمزم على الابار كلها، وانصرف الناس كلهم إليها لمكانها من المسجد الحرام، ولفضلها على ما سواه من المياه .

قال مجاهد رضي الله عنه : (ماء زمزم ان شربته تستشفى به شفاك الله)، (ماء زمزم إن شربته لقطع ظمئك قطعه الله) .

ويقول ابن القيم رحمه الله : وقد جربت انا وغيري من الاستشفاء بماء زمزم امورا عجيبة، واستشفيت به من عدة امراض، فبرأت بإذن الله، وشاهدت من يتغذى به الايام ذوات العدد، قريبا من نصف الشهر أو أكثر ولا يجد جوعا، ويطوف مع الناس كأحدهم، وأخبرني انه ربما بقى عليه أربعين يوما، وكان له قوة يجامع بها أهله، ويصوم، ويطوف مرارا .

حكم ومعجزات

قال الترمذي رحمه الله : الشارب لماء زمزم :

— ان شربه بنية الشبع اشبعه الله .
— وان شربه لري ارواه الله .
— وان شربه لشفاء شفاه الله .

ـ وان شربه لسوء خلق حسنه الله .

ـ وان شربه لضيق صدر شرحه الله .

ـ وان شربه لانفلاق ظلمات الصدر فلقها الله .

ـ وان شربه لغنى أغناه الله .

ـ وان شربه لحاجة قضاها الله .

ـ وان شربه لأمر نابه كفاه الله .

ـ وان شربه للكربة كشفها الله .

ـ وان شربه لنصرة نصره الله .

فهو لما شرب له وهو طعام طعم وشفاء سقم .

وبأية نية شربه من ابواب الخير والصلاح، وفى الله له بذلك، لأنه استغاث بما أظهره الله تعالى من جنته غياثا .

كذلك يتوقف على قوة إيمان الشارب، وقوه نفسه واستعداده وقوة توكله على ربه وثبات قلبه .. فإن ماء زمزم سلاح والسلاح بضاربه .

كنوز عظيمة وفوائد جليلة

يقول الامام بن قيم الجوزية رحمه الله في زاد العماد :

وهنا من الأدوية التي تشفي من الأمراض ما لم يهتدي إليها عقول اكابر الاطباء، ولم تصل إليها علومهم، وتجاربهم، واقسيتهم من الأدوية .

ـــ الأدوية القلبية والروحانية من أقوى الأسباب لأزالة الأمراض والأدواء

١ – قوة القلب .

٢ – اعتماده على الله .

٣ – التوكل عليه .

٤ – الالتجاء إليه .

٥ – الانطراح والانكسار بين يديه .

٦ – التذلل له .

٧ – الصدقة فقد ورد عن سيد البشر ﷺ انه قال داوو مرضاكم بالصدقة .

٨ – الدعاء فإنه ينفع مما نزل ومما لا ينزل .

٩ – التوبة لأنها من أقوى أسباب الاجابة حتى بها يزول المكروه .

١٠ – الاستغفار .

١١ – الاحسان إلى الخلق .

١٢ - اغاثة الملهوف .

١٣ - التفريج عن المكروب .

وقد جربنا نحن وغيرنا من هذا امورا كثيرة ورأيناها تفعل ما لا تفعله الأدوية الحسية بل تصير الأدوية الحسية عندها بمنزلة أدوية الطرقية عند الأطباء وهذا جار على قانون الحكمة الالهية ليس خارجا عنها، ولكن الاسباب متنوعة، فإن القلب متى اتصل برب العالمين، وخالق الدواء والداء، ومدبر الطبيعة ومصرفها على ما يشاء كانت له أدوية اخرى غير الأدوية التي يعانيها القلب البعيد عنه المعرض عنه .

وقد علم ان الأرواح متى قويت، وقويت النفس والطبيعة تعاونا على دفع الداء وقهره، فكيف ينكر لمن قويت طبيعته ونفسه، وفرحت بقربها من بارئها وانسها به وحبها له وتنعمها بذكره، وانصراف قواها كلها إليه وجمعها عليه واستعانتها به، وتوكلها عليه. ان يكون ذلك لها من أكبر الأدوية، وأن توجب لها هذه القوة دفع الألم بالكلية ولا ينكر هذا الا اجهل الناس، واغلظهم حجاج، واكثفهم نفسا، وابعدهم عن الله وعن حقيقة الانسانية .

حكم ومواعظ وكنوز عظيمة

جميع الخلق مسافرون إلى الله

جميع الخلق مسافرون إلى الله في هذه المدة اليسيرة وهي أعمارهم التي نسبتها للدنيا لا تكون نفسا من انفاسها فأن حياة العبد قليلة كما قال ﷺ (اعمار أمتي بين الستين إلى السبعين) واقلهم من يجاوز ذلك فإذا عرفت نفسك وعمرك القليل الذي لا يكون نفسا من انفاس الدنيا مع ان الدنيا من أولها إلى اخرها لا تكون نفسا من انفاس الاخره فكيف لا ترعوي أيها العبد وتتأمل مصيرك بعد هذه البرهة اليسيرة التي فيها اتسعت بأنواع الشهوات من المأكولات والملذوذات والمناصب وغيرها من ما تشتاق له النفوس وتزاحم عليه فاذا تأملت هذا وعرفت انه زائل لا محالة فحقيق بك أن تتوب إلى ربك وتجد في سيرك وتهاجر بقلبك وقالبك وجوارحك وجميع أعمالك فأنه يسار بك وانت على بساطك جالس فأتق الله والوقوف بين يديه وسافر إليه ما دام في العمر فسحة لعلك تستعتب ما فات قبل الوفاة .

الليل والنهار مطايا لهذا العالم يبليان كل جديد ويقربان كل بعيد

الليل والنهار مطايا لهذا العالم يبليان كل جديد ويقربان كل بعيد كما قال الحسن البصري رحمه الله لم يزل الليل والنهار سرعين في نقص الأعمار وتقريب الاجال. هيهات قد صحبا نوحا وعادا وثمود وقرونا بين ذلك كثيرا فأصبحوا وقد قدموا على ربهم ووردوا على أعمالهم وأصبحا الليل والنهار غضين جديدين يبلى ما مرا به مستعدين لمن بقى بمثل ما مضى وكتب الأوزاعي إلى اخ له اما بعد فقد احيط بك من كل جانب واعلم انه يسار بك في كل يوم وليلة فأحذر الله والمقام بين يديه وان يكون اخر عهدك والسلام. وقال بعض السلف كيف يفرح بالدنيا من يومه يهدم شهره وشهره يهدم سنته وسنته تهدم عمره. كيف يفرح بالدنيا من يقدمه عمره إلى اجله وتقوده حياته لموته وقال بعض الحكماء من كانت الأيام والليالي مطاياه سارت به وان لم يسر وكتب بعض السلف إلى اخ له يا احي يخيل إليك انك مقيم بل انت دائب السير تساق مع ذلك سوقا حثيثا. الموت متوجه اليك والدنيا تطوى من وراءك وما مضى من عمرك فليس بكار عليك إلى يوم التغابن وكان محمد بن واسـ اذا اراد أن ينام قال لأهله استودعكم الله فلعلها ان تكون منيتي

التي لا اقوم منها وكان هذا دأبه إذا اراد النوم وقال بكر المزيني ان استطاع احدكم ان لا يبيت الا وعهده عند رأسه مكتوب فليفعل فأنه لا يدري لعله يبيت في أهل الدنيا ويصبح في أهل الاخره وكان أويس القرني اذا قيل له كيف الزمان عليك قال كيف الزمان على رجل ان امسى ظن انه لا يصبح وان أصبح ظن انه لا يمسي فمبشر بالجنة أو النار ..

أهل العلم وفضلهم ـ الشاعر الشيخ بن عثيمين

يرثي الشيخ الامام العالم العلامة، الشيخ سعد بن الشيخ محمد بن عتيق وكان رحمه الله من اجلة علماء نجد تولى القضاء في مدينة الرياض مدة طويلة حتى توفى وطلب العلم عليه كثير من العلماء كالعلامة الجليل الشيخ محمد بن ابراهم ال الشيخ مفتي المملكة العربية السعودية وغيره من العلماء توفى رحمه الله في ١٣ جمادى الأولى سنة ١٣٤٩هـ وكان والده العلامة الشيخ حمد بن عتيق من علماء نجد البارزين ..

اهكـــذا البـــدر

اهكذا البدر تخفى نوره الحفر
ويفقد العلم لا عين ولا اثر
خبت مصابيح كنا نستضيء بها
وطوحت للمغيب الأنجم الزهُـــر
واستحكمت غربة الاسلام وتكشفت
شمس العلوم التي يهدى بها البشر
تخرم الصالحون المقتـــدى بهم
وقام منهم مقام المبتدا الخبر
فلست تسمع الا كان ثم مضى
ويلحق الفارط الباقي كما غبروا
والناس في سكرة من خمر جهلهم
والصحو في عسكر الأموات لو شعروا
نلهو بزخرف هذا العيش من سفه
لهو المنبت عودا ما له ثمر
وتسنحث منايـــانـــا رواحلنـــا
لموقف ما لنا عن دونه صدر
الا إلى موقف تبدو سرائرنا

فيه ويظهر للعاصين ما ستروا

فياله مصدرا ما كان اعظمه

الناس من هوله سكرى وما سكروا

فكن اخي عابرا لا عامرا فلقد

رأيت مصرع من شادوا ومن عمروا

استنزلوا بعد عز عن معاقلهم

كأنهم ما نهوا فيها ولا امروا

تغل ايديهم يوم القيامة ان

بروا تفك وفي الاغلال ان فجروا

ونح على العلم نوح الثكالى وقل

والهف نفس على اهل له قبروا

الثابتين على الايمان جهدهم

والصادقين فما مانوا ولا ختروا

الصادعين بأمر الله لو سخطوا

اهل البسيطة ما بالوا ولو كثروا

والسالكين على نهج الرسول على

ما قررت محكم الآيات والسور

والعادلين عن الدنيا وزهرتها

والامرين بخير بعد ما أئتمروا

لم يجعلوا سلما للمال علمهم

بل نزهوه فلم يعلق به وضر

فحي أهل بهم اهلا بذكرهم

الطيـبين ثنـاء اينما ذكـروا

اشخاصهم تحت أطباق الثرى وهم

كأنهم بين أهل العلم قد نشروا

هذي المكارم لا تزويق ابنية

ولا الشفوف التي تكسى بها الجدر

وابك على العلم الفرد الذي

حسنت بذكر افعاله الاخبار والسير

من لم يبالي بحق الله لائمة

ولا يحابي امرا في خده صعر

بحر من العلم قد فاضت جداوله

اضحى وقد ضمه في بطنه المدر

فليت شعري من للمشكلات اذا

حارت بغامضها الافهام والفكر

من للمدارس بالتعـليم يعمرهـا

ينتابها زمر من بعدهـا زمـر

هذي رسوم علوم الدين تندبه

ثكلى عليه ولكن عزها القدر

طوتك يا سعد ايام طوت امما

كانوا فبانوا وفي الماضين معتبر

ان كان شخصك قد واراه ملحدة

فعلمك الجم في الافاق منتشر

والأسوة المصطفى نفس الفداء

له بموته يتأس البدو والحضر

بني لكم حمد يا للعتيق علا

لم يبنها لكم مال ولا خضر

لكنه العلم يسمو من يسود

به على الجهول ولو من جده مضر

والعلم ان كان اقوالا بلا

عمل فليت صاحبه بالجهل منغمر

يا حامل العلم والقرآن ان لنا

يوما تضم به الماضون والاخر

فيسأل الله كلا عن وظيفته

فليت شعري بماذا منه تعتذر

وما الجواب اذا قال العليم اذا

قال الرسول أو الصديق أو عمر

والكل يأتيه مغلول اليدين فمن
ناج ومن هالك قد لوحت سقر
فجـــددوا نيـــة الله خالصة
قوموا فرادي ومثنى واصبروا ومروا
وناصحوا وانصحوا من ولى امركم
فالصفو لابد يأتي بعده كدر
والله يلطف في الدنيا بنا وبكم
ويوم يشخص من اهواله البصر
وصلّ ربّ على المختار سيدنا
شفيعنا يوم نار الكرب تستعر
محمـد خير مبعـوث وشيعتـه
وصحبه ما بدا من افقه قمر

في رثاء الشيخ عبد الله بن احمد العجيري المتوفى سنة ١٣٥٢. والشيخ العجيري رحمه الله من خلصاء الشاعر وأعز اصدقائه، فقد عاشا خدنين تجمعهما أواصر العلم والأدب وتربط بينهما رابة الجوار فكلاهما من بلدة واحدة متقاربا السن متماثلا الفضل وكان العجيري راوية الشاعر ينشط شعاره في المحافل ولصلته بجلالة الملك عبد العزيز رحمه الله كان يقرأ على جلالته ما ينظمه

الشاعر في مدحه وقد امتاز بميزتين جمال الصوت وحسن الاداء كما اشتهر بقوة الحافظة العجيبة وبسه اطلاعه على أداب العرب واخبارها وعلومها واثارها وقد نشرت جريدة أم القرى ترجمة له حينما توفى بعنوان، مات أديب نجد ونشر الاستاذ الشيخ يوسف ياسين حينما كان محررا لجريدة ام القرى حوالي عام ١٣٤٤ نبذة عن هذا الأديب ومختارات من محفوظاته. وفي هذه المرثاة يذكر الشاعر شيئا من صفات خليله ابي أحمد وطرفا مما بينهما من خالص المحبة وصادق الود .... رحمهما الله .

هو الموت

هو الموت ما منه ملاذ ومهرب
مت حط ذا عن نعشه ذاك يركب
نشاهد ذا عين اليقين حقيقة
عليه مضى طفل وكهل واشيب
ولكن على الران القلوب كاننا
بما قد علمناه يقينا تكذب
نؤمل امالا ونرجو نتاجها
وعلى الردى ما نرجيه اقرب

ونبني القصور المشمخرات في
الهوا وفي علمنا انا نموت وتخرب
ونسعى لجمع المال حلا ومأثما
وبالرغـم يحويـه البعيـد واقـرب
نحاسب عنه داخلا ثم خارجا
وفيم صرفناه ومن أين يكسب
ويسعـد فيـه وارث متعفـــف
تقي ويشقى فيه اخر يلعب
وأول ما تبدو ندامة مسرف
اذا اشتد فيه الكرب والروح تجذب
ويشهد منا كل عضو بفعله
وليس على الجبار يخفى المغيب
اذا قيل انتم قد علمتم فما الذي
علمتم وكل في الكتاب مرتب
وماذا كسبتم في شباب وصحة
وفي عمر انفاسكم فيه تحسب
فياليت شعري ما نقول وما الذي
نجيب به والامر اذ ذاك أصعب
إلى الله نشكوا قسوة في قلوبنا

وفي كل يوم واعظ الموت يندب

ولله كم غاد حبيب ورائح

نشيعه للقبر والدمع يسكب

اخ أو حميم أو تقي مهذب

يواصل في نصح العباد ويداب

نهيل عليه التراب حتى كأنه

عدو وفي الاحشاء نار تلهب

سقى جدثاً وارى ابن احمد وابل

من العفو رجاس العشيات صيب

ونزله الغفران والفوز والرضى

يطاف عليه بالرحيق ويشرب

فقد كان في صدر المجالس بهجة

به تحدق الأبصار والقلب يرهب

فطورا تراه منذرا ومحذرا

عواقب ما تجنى الذنوب وتجلب

وطورا بآلاء الاله مذكرا

وطورا إلى دار النعيم يرغب

ولم يشتغل عند ذا ببيع ولا شرا

نعم في ابتناء المجد للبذل يطرب

فلو كان يفدى بالنفوس وما غلا
لطبنا نفوسا بالذي كان يطلب
ولكن اذا تم المدى نفذ القضاء
وما لامري عما قضى الله مهرب
اخ كان لي نعم المعين على التقى
به تنجلي عني الهموم وتذهب
فطورا باخبار الرسول وصحبه
وطورا بآداب تلذ وتعذب
على ذا مضي عمري كذاك وعمره
صفيين لا نجفو ولا نتعتب
وما الحال الا مثل ما قال من
مضى وبالجملة الأمثال للناس تضرب
لكل اجتماع من خليلين فرقة
ولو بينهم قد طاب عيش ومشرب
ومن بعد ذا حشر ونشر وموقف
ويوم به يكسى المذلة مذنب
اذا فر كل من ابيه وامه
كذا الام لم تنظر اليه ولا الاب
وكم ظالم يندى من العض كفه

مقالته : يا ويلتي اين اذهب

اذا اقتسموا اعماله غرماؤه

وقيل له هذا بما كنت تكسب

وصك له صك إلى النار بعد ما

يحمل من أوزارهم ويعذب

وكم قائل واحسرتا ليت اننا

نرد إلى الدنيا ننيب ونرهب

فما نحن في دار المنى غير اننا

شغفنا بدنيا تضمحل وتذهب

فحثوا مطايا الارتحال وشمروا

إلى الله والدار التي ليس تخرب

فما اقرب الاتي وابعد ما مضى

وهذا غراب البين في الدار ينعب

وصل الله ما هي الودق أو شدا

على الايك سجاع الحمام المطرب

على سيد السادات كلهم

واله وصحبه ما لاح بالافق كوكب

معجزات وكرامات المصطفى ﷺ

أما دلائل نبوته ومعجزاته وكراماته فهي مذكورة ومدونة في غير موضع من الأحاديث منها تسليم الحجر وتسليم الشجر ونبع الماء من بين أصابعه الكريمة ومنها تكثير الطعام ومنها حنين الجذع الذي كان يخطب عليه فأنه ﷺ لما اتخذ المنبر جعل ذلك الجذع يحن حتى نزل واتى إليه وضمه وقال لو لم اعتنقه لحن إلى يوم القيامة ومنها تكليمه الحيوانات فمن ذلك سجود الجمل وشكواه إليه، وقد اخرج الامام احمد عن انس بن مالك قال : كان أهل بيت من الأنصار لهم جمل يسنون عليه وانه استصعب عليهم ومنعهم ظهره فجاءوا إلى النبي ﷺ فقالوا انه كان لنا جمل نسنى عليه وانه استصعب علينا ومنعنا ظهره وقد عطش النخل والزرع فقال النبي ﷺ لاصحابه قوموا فقاموا فدخل الحائط والجمل في ناحيته فمشى رسول الله نحوه فقالت الأنصار يا رسول الله قد صار مثل الكلب وانا نخاف عليك صولته فقال ﷺ ليس علي منه بأس فلما نظر الجمل إلى رسول الله ﷺ اقبل نحوه حتى خر ساجدا بين يديه فأخذ رسول الله ﷺ بناصيته اذل ما كان قط حتى ادخله في العمل فقال له اصحابه يا رسول الله هذه بهيمة لا تعقل تسجد لك ونحن نعقل فنحن احق أن نسجد لك فقال رسول الله

ﷺ (لا يصلح لبشر ان يسجد لبشر ولو صلح لبشر ان يسجد لبشر لأمرت المرأه ان تسجد لزوجها من عظم حقه عليها) .

ومنها قصة الذئب روى الامام احمد بسند جيد عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : عدى الذئب على شاة فأخذها فطلبها الراعي منه فأقعى الذئب على ذنبه وقال الا تتقي الله تنزع مني رزقا ساقه الله إليّ فقال الراعي : يا عجبا ذئب مقعى على ذنبه يكلمني بكلام الانس فقال الذئب الا اخبرك بأعجب من ذلك محمد بيثرب يخبر الناس بأنباء ما قد سبق قال فأقبل الراعي يسوق غنمه حتى دخل المدينه فزواها إلى زاوية من زواياها ثم اتى رسول الله ﷺ واخبره الحديث وجاءت احاديث ايضا في كلام الحمار وكلام الضب وكلام الغزالة له ﷺ ومما يثبت ذلك ما في الصحيحين عن جابر رضي الله عنه قال : عطش الناس يوما الحديبية فأتوا رسول الله ﷺ وبين يديه ركوه فقالوا ليس عندنا ماء نتوضاء به ولا نشرب إلا ما في ركوتك فوضع رسول الله ﷺ يده في الركوه فجعل الماء يفور من بين اصابعه كأمثال العيون فتوضأنا وشربنا قيل لجابر كم كنتم يومئذ قال لو كنا مائة الف لكفانا كنا خمس عشر مائة وفي صحيح مسلم عن جابر قصة نبع الماء في غزوة بواط وفيه قال : فرأيت الماء يفور من بين اصابعه ثم فارت الجفنة واستدارت حتى امتلئت وأمر الناس بالاستسقاء حتى رووا

الحديث وفيه ايضا عن ابن مسعود قال : بينما نحن مع رسول الله ﷺ وليس معنا ماء فأتى بماء فصبه في اناء ثم وضع كفه فيه فجعل الماء ينبع من اصابعه وكنا نسمع تسبيح الطعام وهو يأكل اخرجاه. ومنها كلام الشجرة له وسلامها عليه فعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ لما أوحى الله إليّ جعلتُ لا امر بحجر ولا شجر الا قال السلام عليك يا رسول الله وعن علي رضي الله عنه قال كنت مع رسول الله ﷺ بمكة فخرجنا في بعض نواحيها فما استقبله جبل ولا شجر إلا يقول السلام عليك يا رسول الله ــ رواه الترمذي . وعن ابن عمر قال كنا مع النبي ﷺ فأقبل أعرابي فلما دنا قال له رسول الله ﷺ اين تريد قال أهلي قال له ﷺ ادلك إلى خير قال ما هو قال تشهد «ان لا اله إلا الله وحده لا شريك له وان محمد عبده ورسوله» قال هل من شاهد على ما تقول فقال رسول الله ﷺ هذه الشجرة فدعاها رسول الله ﷺ وهي على شاطيء الوادي فأقبلت تخد الأرض خدا فقامت بين يديه فاستشهدها ثلاثا فشهدت ثم رجعت إلى نبتها – الحديث رواه الدرامي ومنها اخباره بالمغيبات المستقبلة قبل وقوعها فتقع كما اخبر فمن ذلك ما في الصحيحين عن ابي هريرة عن النبي ﷺ انه قال لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من ارض الحجاز تضُيء لها اعناق الابل ببصرى فظهرت نار عظيمة على نحو مرحلة من المدينة سنة

أربعة وخمسين وستمائة ودامت نحو أربعة وأربعين يوما وكانت تحرق الحجر ولا تنضج اللحم ورأيت منها اعناق الابل ببصرى وكان هو وابو بكر وعمر وعثمان صعدوا احد فتحرك الجبل فضربه برجله وقال اثبت احد فانما عليك نبي وصديق وشهيدان واخبر بان ابنته فاطمة رضي الله عنها أول أهله لحوقا به فكان كذلك وبأن اشقى الأولين عاقر الناقة واشقى الاخرين قاتل علي يضرب في يأفوخه فقتل معها لحينه فضرب الشقي ابن ملجم عليا فمات منها رضي الله عنه وبان عثمان يقتل ظلما وبان المدينة ستغزى فكانت وقعته الحرة المشهورة على أهل المدينة من جيش يزيد بن معاوية وأخبر بواقعة الجمل وصفين وقتال عائشة والزبير وعلى كل ذلك قبل وقوعه فوقع وكذلك قال علي للزبير لما بارزه انشدك الله هل (سمعت رسول الله ﷺ يقول انك تقاتله وانت له ظالم فانصرف الزبير وقال بلى ولكني نسيت) وصح عنه انه قال في الحسن ان ابني هذا سيد ويصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين فكان كذلك يوم التقاء علي ومعاوية واخبر ابن عمر انه سيعمى لما رأى جبريل معه في صورة رجل واخبر بالخوارج الذين خرجوا على علي وأن منهم رجلا احدى ثدييه مثل ثدي المرآة فقاتلهم علي واخرج ذلك الرجل من بين القتلى حتى رآه الناس بالوصف الذي وصفه رسول الله ﷺ واخبر بالرافضة والقدرية فكان كما وصف وبان امته ستفتن على

ثلاث وسبعين فرقة وبأنها كلها في النار إلا واحدة وهم الذين على ما كان عليه ﷺ واصحابه وأخبر أنه سيكون لهم انماط ويغدو احدهم في حلة ويروح في اخرى وتوضع بين يديه صفحة وترفع اخرى ويسترون بيوتهم كما تستر الكعبة ثم قال اخر الحديث وانتم اليوم خير منهم يومئذ وقال يكون في ثقيف كذاب ومبير فرأوهما المختار بن ابي عبيد الذي ادعى انه يوحى إليه والحجاج ابن يوسف واخبر بالردة التي وقعت بعد وبأن الخلافة بعده ثلاثون سنة ثم تكون ملكا فكانت كذلك بوقت الحسن ابن علي وقال ان هذا الأمر بدأ نبوة ورحمة ثم يكون ملكا عضوضا ثم تكون عتوا وجبروتا وفسادا في الأمة واخبر بالذي غل خرزا من خرز اليهود فوجدت في رحله وبالذي غل الشملة وبشأن كتاب حاطب إلى أهل مكة واخبر بالمال الذي تركه العباس وقال لخالد لما واجهه انك تجده يصيد البقر، واخبر بكثير من اسرار المنافقين وكفرهم وقولهم فيه وفي المؤمنين حتى كان بعضهم يقول لصاحبه اسكت فوالله لو لم يكن عنده من يخبره لاخبرته حجارة البطحاء ودلائل نبوته ومعجزاته وكراماته اكثر من ان تحصر وقد وقع لخواص امته من الخوارق والكرامات شيء كثير فبحسب قوة ايمان العبد وتمسكه بسنة نبيه يحصل له من هذا النور وهذه الكرامات ما يستحقه فمنهم من يحصل له في حياته امور عجيبة من هذا النوع ومن غيره ومنهم

من يحصل له في حياته وبعد مماته كما صار للعلي ابن الحضرمي بعد موته وكان حصل لبعضهم من ترك الطعام مدة طويلة فمنهم من تركه سبعة أيام ومنه أزود من ذلك ويتمتع بالقوة الكاملة كما ذكره ابن رجب رحمه الله وغيره وانما مقصودنا هنا التفكر والاعتبار وان يعرف الانسان انه انما يؤتي من قبل نفسه وتقصيره في امر ربه فإذا نظر في سير القوم وما منحوا به وما من الله به عليهم ان يجهد نفسه في طاعة خالقه وبارئه وموجده وان القوم قد مضوا وبقيت الآثار فليكن اثرا صالحا .

بعض كرامات ومعجزات هذه الأمة

ولهذا كان لأول هذه الأمة من المعجزات والكرامات ببركة نبيها ﷺ ما لم يكن لاخرها. ولهم من الزهد واليقين ما يغنيهم عن طلبها فكان حبيب بن عدي اسيرا عند المشركين بمكة فكان يرون عنده العنب وما على وجه الأرض يومئذ عنب. وخرجت ام ايمن مهاجرة ليس معها ماء ولا زاد فكادت تموت من العطش فقرب وقت الفطر وكانت صائمة سمعت حسا على رأسها فرفعته فاذا دلو برشاء ابيض معلق فشربت منه حتى رويت فما عطشت بقية عمرها، والبراء بن مالك كان اذا اقسم على الله ابر قسمه فكانت

الحرب اذا اشتدت على المسلمين في الجهاد يقولون يا براء اقسم على ربك فيقول : يا ربي اقسمت عليك لما منحتنا فيهزم العدو. ولما كان يوم اليمامة قال يا ربي اقسمت علي لما منحتنا اكتافهم وجعلتني اول شهيد فمنحوا اكتافهم وقتل البراء شهيدا وابو مسلم الخولاني الذي القى في النار فانه مشى وهو ومن معه من العسكر إلى دجلة وهي في قوة مداها ثم التفت إلى اصحابه فقال هل تفقدون من متاعكم شيئا حتى ادعو الله فيه. فقال بعضهم فقدت مخلاة لي فقال اتبعني فأتبعه فوجدها متعلقة بشيء فأخذها وطلبه الأسود العنس لما ادعى النبوة فقال له اشهد اني رسول الله فقال ما اسمع قال اتشهد ان محمد رسول الله قال نعم فأمر بنار فألقاه فيها فوجدوه قائما يصلي فيها وقد صارت عليه بردا وسلاما فقدم المدينة بعد موت النبي ﷺ فأجلسه عمر بينه وبين أبي بكر وقال الحمد الله الذي لم يمتني حتى أراني من امة محمد من فعل به كما فعل بابراهيم خليل الله ووضعت له جاريته السم في طعامه فأكله فلم يضره وخبيت عليه امرأة زوجته فدعا عليها فعميت فجأت إليه وتابت فدعا الله فرد عليها بصرها، وكان عامر بن قيس يأخذ عطاءه في كمه الفي درهم وما يلقاه سائل إلا اعطاه بغير عدد ثم يجيء إلى بيته فلم يتغير عددها ووزنها. ومر بقافلة وقد حبسهم الأسد فجاء حتى مس بثيابه فم الأسد ووضع رجله على عنقه وقال انما

انت كلب من كلاب الرحمن واني استحي من الله ان اخاف شيئا غيره فمرت القافلة ودعى الله ان يهون عليه الطهور في الشتاء فكان يأتي بالماء وله بخار ودعى ربه ان يمنع قلبه من الشيطان فلم يقدر عليه وتغيب الحسن البصري عن الحجاج فدخلوا عليه ست مرات ودعى الله ان لا يروه فلم يروه .

وصلت ابن اشيم مات فرسه وهو في الغزو قال : اللهم لا تجعل لمخلوق علي منه فدعى الله فأحياه له فلما وصلوا إلى بيته قال لابنه يا بني خذ سرج الفرس فانه عارية فأخذ سرجه فمات وجاع مرة وهو بالأهواز ودعى الله واستطعمه فوقعت خلفه دوخلة رطب في ثوب حرير فأكل وبقى الثوب عند زوجته زمانا وجاء الأسد وهو يصلي في غيضه بالليل فلما سلم قال له : اطلب الرزق من غير هذا الموضع فولى الأسد وله زئير، ورجل من الزهاد له حمار فمات في الطريق فقال له اصحابه هلم نتوزع متاعك فقال امهلوني هنيهة ثم توضأ فاحسن الوضوء وصلى ركعتين ودعى الله فاحيا له حماره فحمل عليه متاعه وجرى لسفينة مولى رسول الله ﷺ حين انكسرت سفينة في البحر هو فيها فركب لوحا منها فطرحه بالساحل بأرض فيها اسد قال فخرج إليّ الأسد يريدني فقلت يا ابا الحارث انا مولى رسول الله ﷺ فتقدم ودلني على الطريق فظننت انه يودعني ورجع، وكان أسيد بن حضر وعباد بن بشر

تحدثا عند رسول الله ﷺ في حاجة لهما حتى ذهب بعض الليل ثم خرجا من عنده وكانت ليلة شديدة الظلمة وفي يد كل واحد منهما عصاه فاضاءت عصا احدهما لهما حتى مشيا في ضوءها فلما فرق بينهما الطريق اضاءت للآخر عصاه حتى بلغ منزله والقصة في صحيح البخاري وغيره، ومن ذلك قصة ابي بكر الصديق وهي في الصحيحين لما ذهب بثلاثة اضياف معه إلى بيته وجعل لا يأكل لقمة الا ربا اسفلها اكثر منها فشبعوا وصارت اكثر مما كانت قبل ذلك فنظر أبو بكر إليها وامرأته فإذا هي أكثر مما كانت فرفعها إلى النبي ﷺ وجاء إليه أقوام كثيرون فأكلوا منها ولما مات أويس القرني وجد في ثيابه اكفانا لم تكن معه قبل ووجد له قبر محفور فيه لحد من صخرة فدفنوه فيه وكفنوه في تلك الأثواب وكان عمر بن عتبه يصلي يوما في شدة الحر فاظلته غمامه وكان السبع يحميه وهو يرعى ركابه اصحابه لأنه كان يشترط على أصحابه في الغزو ان يخدمهم وكان مطرق بن عبد الله اذا دخل بيته سبحت معه انيته وكان هو وصاحب له يسيران بالليل فاضاء لهما طرف السوط وكان ابراهيم التيمي يقيم الشهر والشهرين لا يأكل شيئا وخرج يمتار لأهله طعاما فلم يجد فمر بسهله حمراء فأخذ منها ثم رجع إلى أهله ففتحوها فإذا هي حنطة حمراء فكان اذا زرع منها تخرج السنبلة من اصلها إلى فرعها حبا متراكبا، وكان عبد الواحد

بن زيد اصابه الفالج فسأل ربه ان يطلق له اعضاءه وقت الوضوء فكان وقت الوضوء تنطلق له اعضاءه ثم تعود وهذا باب واسع وكل هذه القضايا عامتها مشهوره في كتب الحديث والأثر وقد ذكرها شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله وكل هذه المعجزات والكرامات انما هي من معجزات نبيهم وكرامته صلوات الله وسلامه عليه وكلما قوي إيمان العبد وقوي تمسكه بشريعة نبيه حصل له من كرامته بحسب تمسكه وايمانه ..

عشرة اشياء ضائعة

قال ابن القيم رحمه الله عشرة أشياء ضائعه لا ينتفع بها : علم لا يعمل به وعمل لا اخلاص فيه ولا اقتداء فيه بكتاب الله ونسية رسوله فانه لا يوفق لهما اذا لم يخلصا العمل ومال لا ينفق منه فلا يستمتع به جامعه في الدنيا ولا يقدمه امامه لأخرته وقلب فارغ من محبة الله والشوق إلى لقائه والانس به وبدون معطل من طاعته وخدمته ومحبته لا يتيقين برضا المحبوب وامتثال اوامره ووقت معطل من استدراك فارط واغتنام بر وقربة وفكر يجول فيما لا ينفع وخدمة من لا تقربك إلى الله ولا تعود عليك بصلاح دنياك وخوفك ورجاؤك لمن ناصيته بيد الله وهو أسير في قبضته ولا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياتا ولا نشورا واعظم هذه الاضاعات

اضاعة القلب واضاعة الوقت فاضاعة القلب عن الله ايثار الدنيا على الاخرة واضاعة الوقت من طول الامل فاجتمع الفساد كله في اتباع الهوى وطول الامل والصلاح كله في اتباع الهوى والاستعداد للقاء الله ..

كنـــوز عظيمة وحكم جليلة

وكتب بعض الحكماء إلى اخ له كان حريصا على الدنيا اما بعد فأنك اصبحت حريصا على الدنيا تخدمها وهي تخرجك عن نفسها بالاعراض والامراض والافات والعلل كأنك لم تر حريصا محروما وزاهدا مرزوقا ولا ميتا عن الكثير ولا متبلغا من الدنيا باليسير انما فضل العلم لأنه يتقي به الله والا كان كسائر الأشياء فاذا طلب بشيء من الدنيا الفانية فهو ايضا نوعان احداهما ان يطلب به المال لهذا من نوع الحرص على المال وطلبه بالأسباب المحرمة وفي الحديث عن النبي ﷺ (من تعلم علما مما يبتغي به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به عرض الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة) يعني ريحها خرجه الامام احمد وغيره، وقال بعض السلف لما ذكر الامانة والله تعالى قد استودع الخلق ودائع منها السمع والبصر والفرج والجوارح كلها ودائع فمن الخلق من يستعملها في الطاعة وتكون عنده كالعارية يحسن فيها ولا يستعملها إلا فيما استعيرت له

فانها عارية من وجه وديعة من وجه وكذلك المال فأنه على هذا المنوال فمن صرفه في وجوه الخيرات في التقوى على العباد فهذا من صرفها في مصرفها الشرعي ومن تعدى فيها ومنع حقوقها وبذلها في غير وجوهها كان له نصيب من قوله تعالى (والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم) وروى الامام احمد عن النبي ﷺ انه قال من سكن البادية جفا ومن اتبع الصيد غفل ومن اتى السلطان افتتن) ليس عليه من التكاليف شيء وطورا كبيرا ويوما غنيا ويوما فقيرا ويوما مريضا وحينا صحيحا وتارة مقيما وتارة مسافرا وقدرته على التكالي وعجزه عنها يختلفان باختلاف حاله فأولا صغيرا ليس عليه من التكاليف شي ثم ينتقل من حال إلى حال فطفولة ثم مميز ثم مراهق ثم بلوغ ثم شباب ثم كهولة ثم اشيب ثم بعد ذلك العدم .

من اعجب الأشياء

من اعجب الاشياء انت تعرف الله ثم لا تحبه أو تسمع داعية ثم تتأخر عن الاجابة وان تعرف قدر معاملته ثم تعامل غيره وان تعرف قدرلطفه بك ثم تعرض عنه وان تذوق الم الوحشة في معصيته ثم لا تطلب الانس بطاعته وان تذوق قسوة القلب في الخوض في غير حديثه ثم الاشتياق إلى انشراح الصدر بذكره

ومناجاته وان تذوق العذاب عن تعلق القلب بغيره ولا تهرب منه إلى نعيم الاقبال عليه والانابة له .

من عرف نفسه عرفه ربه

فأن من عرف نفسه بالجهل والظلم والعيب والنقائض والحاجة والفقر والذل والمسكنة والعدم عرف ربه بعد ذلك ووقف بنفسه عند قدرها ولم يتعدى طورها والثناء على ربه بما هو اهله وانصرفت قوة حبه وخشيته ورجاءه وانابته وتوكله عليه وحده وكان أحب شيء إليه واخوف شيء عنده وارجاءه له وهذا هو حقيقة العبودية .

معرفة الله

معرفة الله سبحانه نوعان :

النوع الأول معرفة عامة يشترك فيها البر والفاجر والعاصي والمطيع والكافر والمسلم .

الثاني : المعرفة التي توجب الحياء منه والمحبة له وتعلق القلب به والشوق إلى لقاءه وخشيته والانابه إليه والانس به والفرار من الخلق إليه وهذه هي المعرفة الخاصة بأولياءه وعباده الصالحين

وتفاوتهم فيها لا يحصيها الا الله وحده بنفسه فهم ينفردون في معاني اسماءه وصفاته وجلالها وكمالها وتفرده بذلك .

فائدة اخرى عظيمة

ارجع إلى الله واطلبه من عينك وسمعك وقلبك ولسانك ولا تشرد عنه من هذه الأربعة فما رجع من رجع إليه بتوفيقه إلا منها وما شرد ما شرد عنه بخذلانه إلا منها فالمؤمن يسمع ويبصر ويتكلم ويبطش بمولاه والمخذول يصدر ذلك عنه بنفسه وهواه ،،

ارض الفطرة رحبة قابلة لما يغرس فيها فأن غرس شجرة الايمان والتقوى أورثت حلاوة الابد وان غرست شجرة الجهل والهوى تأكل الثمر المر .

كف بك هذا انك له عبد

وكف بك فخرا انه لك ربٌ

تأملات :

ـــ مثال : تولد الطاعة ونموها وتزايدها كمثل نواه غرستها فصارة شجرة ثم اثمرة فأكلت ثمارها وغرست نواه وكل ما غرست منها شيء خبيث ثمره وغرست نواه فكذلك تداعي المعاصي فليتدبر اللبيب هذا المثال فمن ثواب الحسنة الحسنة بعدها ومن عقوبة السيئة السيئة بعدها .

ـــ اذا علقت اصول وجذور المعرفة في ارض القلب نبتت فيه شجرة المحبة فإذا تمكنت وقويت اثمرت الطاعة فلا تزال الشجرة تؤتي أكلها كل حين بأذن ربها .

ـــ فرح ابليس بنزول آدم من الجنة ولم يعلم ان الله قد اخرجه من دار العجب والبسه خلة العبودية كما قال تعالى (وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خيرا لكم) وانتفع بدله ربنا ظلمنا انفسنا هكذا تكون الرجال.

فوائدة عظيمة القدر :

ـــ لا تسأل سوى مولاك فسؤال العبد غير سيده تشنيع عليه غرس الخلوه يورث ويثمر الانس .

ـــ استوحش من لا يدوم معك واستأنس بمن لا يفارقك .

ـــ عزلة الجاهل فساد واما عزلة العالم فمعها جزاؤها وسقاؤها .

ـــ أوثق غضبك بسلسلة الحلم فأنه كلب اذا افلت اتلف .

ـــ اذا اراد القدر شخصا بذر في أرض قلبه بذرة التوفيق ثم سقاه بماء الرغبة والرهبة ثم اقام عليه بأطوار المراقبة واستخدم له حارس العلم فاذا الزرع .

ـــ لا تسأم من الوقوف بالباب ولو طردت ولا تقطع

الاعتذار ولو رددت فأن فتح الباب للمقبولين دونك فأهجم هجوم الكذابين وادخل دخول الطفيلية وابسط كف وتصدق علينا).

فائدة القدر

ـ أول منازل القوم (اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة واصيلا) واوسطها (هو الذي يصلي عليكم وملائكته يخرجكم من الظلمات إلى النور) واخرها (تحيتهم يوم يلقونه سلام).

ـ من عظم وقار الله في قلبه ان يعصيه وقره الله في قلوب الخلق ان يذلوه .

ـ ليس العجب من مملوك يتذلل لله ويتعبد له ولا يمل من خدمته مع حاجته وفقره لله انما العجب من مالك يتحبب إلى مملوكه بصنوف انعامه ويتودد اليه بانواع احسانه مع غناه عنه .

فـائدة

اذا كنت تريد ان تحى حياة طيبة فالزم تلاوة كتاب ربك واعمل بما فيه تجد السكينة والاطمئنان في قلبك والانشراح والنور في صدرك .

اذا تريد وتطلب السعادة في الدنيا والآخرة والثروة الكبيرة والعظيمة والراحة التامة فأعمل بكتاب ربك وسنة نبيك محمد ﷺ اظفر ورافق أيها المسلم والمسلمة في طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقا ثقل ميزانك ايها المؤمن بملازمة ذكر الله غدوة وعشية ليلا ونهارا سرا وجهرا .

العلم وفضله وشرفه

كنوز عظيمة وفوائد جليله لأهل العلم :

قال الله تعالى : «شهد الله أنه لا اله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا اله إلا هو العزيز الحكيم». استشهد سبحانه بأولي العلم على أجل مشهود عليه وهو توحيده فقال «شهد الله أنه لا اله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط» وهذا يدل على فضل العلم وأهله من وجوه. أحدها استشهادهم دون غيرهم من البشر. والثاني اقتران شهادتهم بشهادته. والثالث اقترانها بشهادة ملائكته. والرابع ان في ضمن هذا تزكيتهم وتعديلهم فأن الله لا يستشهد من خلقه إلا العدول ومنه الأثر المعروف عن

النبي ﷺ يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين .

وقال محمد بن أحمد بن يعقوب بن شيبة رأيت رجلا قدم رجلا إلى إسماعيل بن اسحاق القاضي، فأدعى عليه دعوى فسأل المدعي عليه فأنكر فقال : للمدعي الك بينه قال : نعم فلان وفلان قال : اما فلان فمن شهودي وأما فلان فليس من شهودي قال فيعرفه القاضي قال : نعم قال : بماذا قال أعرفه بكتب الحديث قال : فكيف تعرفه في كتب الحديث قال : ما علمت إلا خيرا. قال : فأن النبي ﷺ قال : (لا يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله فمن عدله رسول الله ﷺ أولى ممن عدلته انت فقال قم فهاته فقد قبلت شهادته .

الخامس : انه وصفهم بكونهم أولي العلم وهذا يدل على اختصاصهم به وأنهم أهله واصحابه ليس بمستعار لهم .

السادس : انه سبحانه استشهد بنفسه وهو اجل شاهد ثم بخيار خلقه وهم ملائكته والعلماء من عباده ويكفيهم بهذا فضلا وشرفا.

السابع : انه استشهد بهم على اجل مشهود به واعظمه واكبره هو شهادة ان لا اله إلا الله والعظيم القدر، انما يستشهد على الأمر العظيم أكابر الخلق وسادتهم .

الثامن : انه سبحانه جعل شهادتهم حجة على المنكرين فهم بمنزلة أدلته وآياته وبراهينه الدالة على توحيده .

التاسع : انه سبحانه افرد الفعل المتضمن لهذه الشهادة الصادرة منه ومن ملائكته ومنهم ولم يعطف شهادتهم بفعل اخر غير شهادته وهذا يدل على شدة ارتباط شهادتهم فكأنه سبحانه شهد لنفسه بالتوحيد على ألسنتهم وأنطقهم بهذه الشهادة فكان هو الشاهد بها لنفسه إقامة وانطاقا وتعليما وهم الشاهدون بها له اقرارا واعترافا وتصديقا وإيمانا .

العاشر : انه سبحانه جعلهم مؤدين لحقه عند عباده بهذه الشهادة فاذا أدوها فقد أدو الحق المشهود به فثبت الحق المشهود به فوجب على الخلق الاقرار به وكان ذلك غاية سعادتهم في معاشهم ومعادهم وكل من ناله الهدى بشهادتهم واقر بهذا الحق بسبب شهادتهم فلهم من الأجر مثل اجره وهذا فضل عظيم لا يدري قدره الا الله، وكذلك كل من شهد بها عن شهادتهم فلهم من الأجر مثل اجره أيضا فهذه عشرة أوجه في هذه الآية .

«فضل أهل العلم على غيرهم»
مع ذكر ما ورد من نصوص الكتاب والسنة وأقوال السلف والخلف

الأول : انه سبحانه نفى التسوية بين أهله وبين غيرهم، كما نفي التسوية بين أصحاب الجنة وأصحاب النار. فقال تعالى : «قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون» كما قال تعالى «لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة» وهذا يدل على غاية فضلهم وشرفهم .

الثاني : انه سبحانه جعل أهل الجهل بمنزلة العميان الذين لا يبصرون فقال : «أفمن يعلم إنما أنزل إليك من ربك الحق كما هو أعمى» فما ثم الا عالم أو أعمى وقد وصف سبحانه أهل الجهل بأنهم صم بكم عمي في غير موضع من كتابه .

الثالث : انه سبحانه أخبر عن أولي العلم بأنهم يرون أن ما أنزل إليه من ربه حقا وجعل هذا ثناء عليهم واستشهادا بهم، فقال تعالى «ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق».

الرابع : انه سبحانه أمر بسؤالهم والرجوع إلى أقوالهم وجعل ذلك كالشهادة منهم، فقال : «وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحي

إليهم فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون» وأهل الذكر هم أهل العلم بما أنزل على الأنبياء .

الخامس : انه سبحانه شهد لأهل العلم شهادة في ضمنها الاستشهاد بهم على صحة ما أنزل الله على رسوله فقال تعالى : «أفغير الله أبتغي حكما وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلا والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين» .

السادس : انه سبحانه سلى نبيه بأيمان أهل العلم به وأمره أن لا يعبأ بالجاهلين شيئا. فقال تعالى «وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا قل آمنوا به أو لا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا، ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا». وهذا شرف عظيم لأهل العلم.

السابع : انه سبحانه مدح أهل العلم واثنى عليهم وشرفهم بأن جعل كتابه آيات بينات في صدورهم وهذه خاصة ومنقبة لهم دون غيرهم. فقال تعالى «وكذلك أنزلنا إليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجحد بآياتنا

إلا الكافرون وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون». وسواء كان المعنى ان القرآن مستقر في صدور الذين أوتوا العلم ثابت فيها محفوظ وهو في نفسه آيات بينات فيكون أخبر عنه بخبرين .

احدهما : انه آيات بينات ــ **الثاني** انه محفوظ مستقر ثابت في صدور الذين أوتوا العلم. أو كان المعنى انه آيات بينات في صدورهم أي كونه آيات بينات معلوم لهم ثابت في صدورهم والقولان متلازمان ليسا بمختلفين. وعلى التقدرين فهو مدح لهم وثناء عليهم في ضمنه الاستشهاد بهم فتأمله .

الثامن : انه سبحانه أمر نبيه أن يسأله مزيد العلم فقال تعالى : «فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضي إليك وحيه وقل ربي زدني علما». وكفى بهذا شرفا للعلم ان أمر نبيه أن يسأله المزيد منه .

التاسع : انه سبحانه أخبر عن رفعه درجات أهل العلم والايمان خاصة. فقال تعالى «يا أيها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم واذا قيل انشزوا فانشزو يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتو العلم درجات والله

بما تعملون خبير». وقد أخبر سبحانه في كتابه برفع الدرجات في أربع مواضع. احداهما هذا ــ والثاني قوله : «انما المؤمنون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم» ــ الثالث ــ قوله تعالى : «ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى» الرابع ــ قوله تعالى «وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة» .

فهذه أربع مواضع في ثلاثة منها الرفعة بالدرجات لأهل الايمان الذي هو العلم النافع والعمل الصالح، والرابع، الرفعة بالجهاد فعادت رفعة الدرجات كلها إلى العلم والجهاد الذين بهما قوام الدين .

العاشر : انه سبحانه استشهد بأهل العلم والايمان يوم القيامة على بطلان قول الكفار. فقال تعالى : «ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون وقال الذين أوتوا العلم والايمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون» .

الحادي عشر : انه سبحانه أخبر انهم أهل خشيته بل خصهم من بين الناس بذلك. فقال تعالى : «إنما يخشى الله من

عباده العلماء إن الله عزيز غفور». وهذا حصر لخشيته في أولى العلم. قال تعالى «جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه». وقد أخبر ان أهل خشيته هم العلماء فدل على ان هذا الجزاء المذكور للعلماء بمجموعة النصين. وقال ابن مسعود رضي الله عنه كفى بخشية الله علما وكفى بالاغترار بالله جهلا .

الثاني عشر : انه سبحانه أخبر عن أمثاله التي يضربها لعباده يدلهم على صحة ما أخبر به، أن أهل العلم هم المنتفعون بها المختصون بعلمها، فقال تعالى «وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون» وفي القرآن بضع وأربعون مثلا، وكان بعض السلف إذا مر بمثل لا يفهمه يبكي ويقول لست من العالمين .

الثالث عشر : انه سبحانه ذكر مناظرة ابراهيم لأبيه وقومه وغلبته لهم بالحجة وأخبر عن تفضيله بذلك ورفعة درجته بعلم الحجة، فقال تعالى عقب مناظرته لأبيه وقومه في سورة الأنعام «وتلك حجتنا أتيناها ابراهيم على قومه نرفع من نشاء ان ربك حكيم عليم». قال زيد بن أسلم رضي الله عنه نرفع درجات من نشاء بعلم الحجة .

الرابع عشر : انه سبحانه أخبر انه خلق الخلق ووضع بيته

الحرام والشهر الحرام والهدى والقلائد ليعلم عباده أنه بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير، فقال تعالى «الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما». فدل على ان علم العباد بربهم وصفاته وعبادته وحده هو الغاية المطلوبة من الخلق والأمر .

الخامس عشر : ان الله سبحانه امر اهل العلم بالفرح بما أتاهم وأخبر أنه خير مما يجمع الناس، فقال تعالى : «قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون». وفسر فضل الله بالايمان ورحمته بالقرآن هما العلم النافع والعمل الصالح والهدى ودين الحق، هما أفضل علم وأفضل عمل .

السادس عشر : انه سبحانه شهد لمن آتاه العلم بأنه قد آتاه خيرا كثيرا. فقال تعالى «يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا». قال بن قتيبة والجمهور الحكمة إصابة الحق والعمل به وهي العلم النافع والعلم الصالح .

السابع عشر : انه سبحانه عدد نعمه وفضله على رسوا وجعل من اجلها أن آتاه الكتاب والحكمة وعلمه ما لم يكن يعلم فقال تعالى : «وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما» .

الثامن عشر : انه سبحانه ذكر عباده المؤمنين بهذه النعمة وأمرهم بشكرها وأن يذكروه على إسدائها إليهم، فقال تعالى : «كما أرسلنا فيكم رسولا يتلو عليك آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون» .

التاسع عشر : انه سبحانه لما أخبر ملائكته بأنه يريد ان يجعل في الأرض خليفة، قالوا له اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك، قال إني أعلم ما لا تعلمون، وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة، فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين، قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم إلى آخر قصة آدم. وأمر ملائكته بالسجود لآدم فأبي إبليس فلعنه وأخرجه من السماء .

وبيان فضل العلم من هذه القصة من وجوه : **احداهما** ـــ انه سبحانه رد على الملائكة لما سألوه كيف يجعل في الأرض من هم أطوع له منه فقال «إني أعلم ما لا تعلمون» فأجاب سؤالهم بأنه يعلم بواطن الأمور وحقائقها ما لا يعلمونه وهو العليم الحكيم، فظهر من هذا الخليفة من خيار خلقه ورسله وأنبيائه وصالحي عباده والشهداء والصديقين والعلماء، وطبقات أهل العلم والأيمان

من هو خير من الملائكة، وظهر من إبليس من هو شر العالمين فأخرج سبحانه هذه وهذا والملائكة لم يكن لهم علم لا بهذا ولا بهذا، ولا بما في خلق آدم وأسكانه الأرض من الحكم الباهرة .

الثاني ــ انه سبحانه لما اراد اظهار تفضيل آدم وتميزه وفضله، ميزه عليهم العلم فعلمه الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة، فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين. جاء في التفسير أنهم قالوا لن يخلق ربنا خلق هو أكرم عليه منا فظنوا أنهم خير وأفضل من الخليفة الذي يجعله الله في الأرض فلما امتحنهم بعلم ما علمه لهذا الخليفة اقروا بالعجز وجهل ما لم يعلموه. فقالوا «سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم». فحينئذ أظهر لهم فضل آدم بما خصه به من العلم، فقال «يا آدم أنبئهم بأسمائهم». اقروا له بالفضل..

الثالث : أنه سبحانه لما أن عرفهم فضل آدم بالعلم وعجزهم عن معرفة ما علمه، قال لهم «ألم أقل لكم اني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون» فعرفهم سبحانه نفسه بالعلم وانه أحاط علما بظاهرهم وباطنهم وبغيب السموات والأرض فتعرف إليهم بصفة العلم وعرفهم فضل نبيه وكليمه بالعلم وعجزهم عما آتاه آدم من العلم وكفى بهذا شرفا للعلم .

الرابع : انه سبحانه جعل في آدم من صفات الكمال ما كان به أفضل من غيره من المخلوقات، وأراد سبحانه أن يظهر لملائكته فضله وشرفه فأظهر لهم أحسن ما فيه وهو علمه فدل على أن العلم أشرف ما في الانسان وأن فضله وشرفه انما هو بالعلم.

العشرون : انه سبحانه جعل ما فعله بنبيه يوسف عليه السلام لما أراد إظهار فضله وشرفه على أهل زمانه كلهم أظهر للملك وأهل مصر من علمه بتأويل رؤياه ما عجز منه علماء التعبير فحينئذ قدمه ومكنه وسلم إليه خزائن الأرض وكان قبل ذلك قد حبسه على ما رأه ومكنه في الأرض فدل على؛ صورة العلم عند بني آدم أبهى وأحسن من الصور الحسية ولو كانت اجمل صورة . وهذا وجه مستقل في تفضيل العلم مصاف إلى ما تقدم فتم به عشرون وجهاً .

الحادي والعشرون : انه سبحانه ذم أهل الجهل في مواضع كثيرة من كتابه فقال تعالى : «ولكن أكثرهم يجهلون» وقال «ولكن أكثرهم لا يعلمون» وقال تعالى «أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم اضل سبيلا». فلم يقتصر سبحانه على تشبيه الجهال بالأنعام حتى جعلهم أضل سبيلا منهم وقال : «ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا

يعقلون» أخبر أن الجهال شر الدواب عنده على اختلاف أصنافها من الحمير والسباع والكلاب والحشرات وسائر الدواب فالجهال شر منهم، وليس على دين الرسل أضر من الجهال بل اعدؤهم على الحقيقة. وقال تعالى لنبيه ولقد اعاذه «فلا تكونن من الجاهلين» وقال الأول رسله نوح عليه السلام «إني اعظك أن تكون من الجاهلين» فهذه حال الجاهلين عنده الأول حال أهل الغنم عنده. وأخبر سبحانه عن عقوبته لأعدائه أنه منعهم علم كتابه ومعرفته وفقهه. فقال تعالى «وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي أذانهم وقرا» .

وأمر نبيه بالاعراض عنهم فقال «وأعرض عن الجاهلين». وأثنى علي عباده بالاعراض عنهم ومتاركتهم كما في قوله : «وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليك لا نبتغي الجاهلين» وقال تعالى : «وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما» .

وكل هذا يدل على قبح الجهل عنده وبغضه للجهل وأهله وهو كذلك عند الناس فان كان أحد يتبرأ منه وإن كان فيه .

الثاني والعشرون : ان العلم حياة ونور، والجهل موت

وظلمة، والشر كله سببه عدم الحياة والنور، والخير كله سببه النور والحياة، فان النور يكشف عن حقائق الاشياء ويبين مراتبها، والحياة هي المصححة لصفات الكمال الموجبة لتسديد الأقوال والأعمال فكلما تصرف من الحياة فهو خير كله كالحياء الذي سببه كمال حياة القلب، وتصور حقيقة القبح ونفرته منه، وضده الوقاحة والفحش وسببه موت القلب وعدم نفرته من القيح، وكالحياء الذي هو المطر الذي به حياة كل شيء .

وقال تعالى : «أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها» .

كان ميتا بالجهل قلبه فأحياه بالعلم وجعل له من الإيمان نورا يمشي به في الناس .

وقال تعالى : «يا أيها الذين أمنوا اتقوا الله وأمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم لئلا يعلم أهل الكتاب أن لا يقدرون على شيء من فضل الله وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم» .

وقال تعالى : «الله ولي الذين أمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى

الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون» .

وقال تعالى «وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وانك لتهدي إلى صراط مستقيم» .

فأخبر انه روح تحصل به الحياة ونور يحصل به الاضاءة والاشراق فجمع بين الأصلين الحياة والنور .

وقال تعالى : «قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور باذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم» .

وقال تعالى : «فأمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا والله بما تعملون خبيرا» .

وقال تعالى «يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نورا مبينا» .

وقال تعالى : «قد أنزل الله إليكم ذكرا رسولا يتلو عليكم آيات الله مبينات ليخرج الذين امنوا وعلموا الصالحات من الظلمات إلى النور» .

وقال تعالى : «الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة

فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الأمثال للناس والله بكل شيء عليم» .

فضرب سبحانه مثلا لنوره الذي قذفه في قلب المؤمن كما قال أبي بن كعب رضي الله عنه : مثل نوره في قلب المؤمن وهو نور القرآن والايمان الذي أعطاه إياه كما قال آخر الآية «نور على نور» يعني نور الايمان على نور القرآن، كما قال بعض السلف يكاد المؤمن ينطق بالحكمة وإن لم يسمع فيها بالأثر فإذا سمع فيها بالأثر، كان نور على نور، وقد جمع الله سبحانه بين ذكر هذين النورين وهما الكتاب والايمان في غير موضع من كتابه كقوله : «ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا» .

وقوله تعالى : «قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون» .

ففضل الله الإيمان ورحمته القرآن .

وقوله تعالى : «أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها» .

وقد تقدمت هذه الآيات. وقال : في آية النور، «نور على نور» وهو نور الايمان على نور القرآن .

وفي حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه، عن النبي ﷺ (ان الله ضرب مثل صراطا مستقيما وعلى كتفي الصراط داران لهما أبواب مفتحة على الأبواب ستور وداع ويدعوا على الصراط وداع يدعوا فوقه .

«والله يدعوا إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم» .

والأبواب التي على كتفي الصراط، حدود الله فلا يقع أحد في حدود الله حتى يكشف الستر، والذي يدعوا من فوقه واعظ ربه) رواه الترمذي .

وقال حذيفة حدثنا رسول لله ﷺ : (ان الامانة نزلت في جذر قلوب الرجال ثم نزل القرآن فعلموا من الايمان ثم علموا من القرآن .

وفي الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه : عن النبي ﷺ (مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الاترجة طعمها طيب وريحها طيب ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة طعمها طيب ولا ريح لها ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن

كالريحانة ريحها طيب وطعمها مر مثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة طعمها مر ولا ريح لها فجعل الناس أربعة أقسام ــ أهل الايمان ــ والقرآن ــ وهم خيار الناس. الثاني أهل الايمان الذين لا يقرءون القرآن وهم دونهم فهؤلاء هم السعداء والاشقياء ــ قسمان .

أحدهما : من أوتي قرآن بلا ايمان فهو منافق .

والثاني : من لا أوتي قرآنا ولا ايمانا .

والمقصود أن القرآن والايمان هما نور يجعله الله في قلب من يشاء من عباده وأنهما أصل كل خير في الدنيا والاخرة وعلمهما أجل العلوم وأفضلها بل لا علم في الحقيقة ينفع صاحبه إلا علمهما «والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم» .

الثالث والعشرون : ان الله سبحانه جعل صيد الكلب الجاهل ميته يحرم أكلها واباح صيد الكلب المعلم وهذا أيضا من شرف العلم. انه لا يباح إلا صيد الكلب العالم وأما الكلب الجاهل فلا يحل اكل صيده، فدل على شرف العلم وفضله .

قال الله تعالى : «يسألونك ماذا احل لهم قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله

فكلوا مما أمسكن وأذكروا اسم الله عليه واتقوا الله ان الله سريع الحساب» .

ولولا مزية العلم والتعليم وشرفهما، كان صيد الكلب المعلم والجاهل سواء .

الرابع والعشرون : ان الله سبحانه اخبرنا عن صفيه وكليمه الذي كتب له التوراة بيده وكلمه منه إليه انه رحل إلى رجل عالم يتعلم منه ويزداد علما إلى علمه فقال : «هل اتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا» فبدأه بعد السلام بالاستئذان على متابعته وانه لا يتبعه الا باذنه وقال (على أن تعلمن مما علمت رشدا) فلم يجيء ممتحنا ولا ممتنعا وانما جاء متعلما مستزيدا علما إلى علمه .

وكفى بهذا فضلا وشرفا للعلم فإن نبي الله وكليمه سافر ورحل حتى لقى النصب من سفره في تعليم ثلاث مسائل من رجل عالم ولما سمع به لم يقر له ذكرها .

الخامس والعشرون : قوله تعالى : «وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون» .

ندب تعالى المؤمنين إلى التفقه في الدين وهو تعلمه وانذار قومهم اذا رجعوا إليهم وهو التعليم .

وقد اختلف الآية فقيل المعنى ان المؤمنين لم يكونوا لينفروا كلهم للتفقه والتعليم، بل ينبغي ان ينفر من كل فرقة منهم طائفة تتفقه تلك الطائفة ثم ترجع تعلم القادين فيكون النفير على هذا نفير تعلم. والطائفة تقال على الواحد فما زاد قالوا فهو دليل على قبول خير الواحد، وعلى هذا حملها الشافعي وجماعة .

وقالت طائفة اخرى المعنى وما كان المؤمنون لينفروا إلى الجهاد كلهم بل ينبغي أن تنفر طائفة للجهاد، وفرقة تقعد تتفقه في الدين فإذا جاءت الطائفة التي نفرت فقهتها القاعدة وعلمتها ما انزل من الدين والحلال والحرام .

وعلى هذا فيكون قوله ليتفقهوا ولينذروا للفرقة التي نفرت منها طائفة وهذا قول الأكثرين وعلى هذا فالنفير نفير جهاد على أصله فانه حيث استعمل انما يفهم منه الجهاد .

قال الله تعالى «انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم» .

وقال النبي ﷺ : (لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية واذا استنفرتم فانفروا) وهذا هو المعروف من هذه اللفظة .

وعلى القولين فهو ترغيب في التفقه في الدين وتعلمه وتعليمه

فان ذلك يعدل الجهاد بل ربما يكون أفضل منه .

السادس والعشرون : قوله تعالى «والعصر ان الانسان لفي خسر إلا الذين أمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر» .

قال الشافعي رضي الله عنه : لو فكر الناس كلهم في هذه السورة لكفتهم .

وبيان ذلك ان المراتب أربعة وباستكمالها يحصل للشخص غاية كماله.:

احداهما : معرفة الحق .
الثانية : عمله به .
الثالثة : تعليمه من لا يحسنه .
الرابعة : صبره على تعلمه والعمل به وتعليمه. فذكر تعالى المراتب الأربعة في هذه السورة وأقسم سبحانه في هذه السورة بالعصر ان كل احد في خسر الا الذين امنوا وعملوا الصالحات. وهم الذين عرفوا الحق وصدقوا به فهذه مرتبة .

وعملوا الصالحات وهم الذين عملوا بما علموه من الحق فهذه مرتبة اخرى .

وتواصوا بالحق وصى به بعضهم بعضا تعليما وإرشادا فهذه مرتبة ثالثة .

وتواصوا بالصبر، صبروا على الحق ووصى بعضهم بعضا بالصبر عليه والثبات فهذه مرتبة رابعة .

فهذه نهاية الكمال فان الكمال ان يكون الشخص كاملا في نفسه مكملا لغيره وكماله باصلاح قوتيه العلمية والعملية فصلاح القوة العلمية بالايمان وصلاح القوة العملية بعمل الصالحات وتكميله غيره بتعليمه إياه وصبره عليه وتوصيته بالصبر على العلم والعمل فهذه السورة على اختصارها هي من أجمع سور القرآن للخير بحذافيره .

والحمد لله الذي جعل كتابه كافيا عن كل ما سواه شافيا من كل داء هاديا إلى كل خير .

كنوز عظيمة ونعم كثيرة
نعم الله على خلقه لا تحصى

قال سبحانه : «وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها» :
وقال : «ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم»، وقال جل شأنه «وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمنه سبحانه وتعالى عما يشركون» .

حين يقرأ المسلم سورة من سور القرآن أو آية يجد نفسه مبهورا بما تتضمنه من آيات كونية تدل على مظاهر عظمة الله في الكون. من آيات النعم التي أنعم الله بها على الانسان. ولنبدأ بسورة منه وهي سورة النمل فنجد أنها حاوية جامعة لكثير من آيات الدالة على عظمته وقدرته فقد سخر لنا كل شيء وأمدنا بنعم كثيرة وعظيمة لا يمكن ان يحصيها قلم أو لسان ولو أن مافي الأرض من شجر والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما تنفذ كلمات الله .

فالله سبحانه وتعالي يلفت نظرنا في هذه السورة الكريمة إلى كثير من النعم التي اسبغها علينا. حيث سخر لنا ما في الأرض جميعا، كما سخر لنا الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم، وجعل

ذلك كله في خدمة البشر. لنمضي مع السورة الكريمة فيما تسوقه من ايات النعم، لنعرف فضل الله علينا في البر، والبحر، والجو، وانه أمدنا بكل ما تحتاج إليه حياتنا من ضروريات .

كنوز عظيمة يسديها ربنا علينا

منافع الأنعام وفوائدها :

يقول جل شأنه : «والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون، ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون، وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس. إن ربكم لرءوف رحيم. والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة. ويخلق ما لا تعلمون».

وقال في موضع اخر من هذه السورة الكريمة :
«والله جعل لكم من بيوتكم سكنا، وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم، ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا إلى حين» .

وقال جل جلاله أيضا «وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين» .

نعم الله علينا بما خلقه لنا من الأنعام وكثرة منتوجاتها وفوائدها العظيمة

هنا يبين لنا الله تبارك وتعالى الحكمة من خلق الأنعام. فهو لم يخلف الانسان ويتركه سدى، إنما خلق له ما يحتاج إليه في طعامه وغذائه وملبسه ومسكنه ومركبه .

فالأنعام يستفيد الانسان من لحمها ولبنها ومنتوجات اللبن كالسمن والجبن وما يدخل في كثير من أطعمة الانسان الآن، كما يستفيد من أصوافها وأوبارها وأشعارها في صنع ثياب له تقيه الحر والبرد. أما جلود الانعام فإنها تصنع منها الآن أشياء كثيرة مثل الأحذية والحقائب. ومختلف المنتوجات الجلدية التي تملأ الأسواق .

وإلى جانب هذه المنافع فان الانعام تحمل متاع الانسان في السفر وبخاصة اذا كان مسافر إلى بلد بعيد لا يبلغه إلا بشق الأنفس. وهي لا توفر عليه مجهوده العضلي فحسب، وانما يرى فيها جانبا جماليا يدخل البهجة على نفسه، حين يستريح من وعثاء السفر .

رزق الله وعطاءه متواصل لخلقه

وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها :

بعد هذا تنقلنا السورة إلى نعمة اخرى من نعم الله العديدة. وهي نعمة الزرع، فالله تبارك وتعالى يقول : «هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون. ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات. إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون» .

كنوز الأرض :

وقال في مكان آخر من هذه السورة :

«ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا إن في ذلك لآية لقوم يعقلون» .

ينبهنا الله سبحانه وتعالى إلى أن حياة الانسان تقوم على ما تنتجه الأرض أيضا من فواكه وبقوليات، وان الأرض لا يخرج زرعها ولا ثمرها إلا بالماء، ولهذا وفر الماء للأرض عن طريق السحاب، ليزجي الرزق للانسان الذي خلقه وتكفل برزقه. وفي السماء رزقكم وما توعدون .

فهذه المراعي والمروج الخضر إنما هي نعمة من نعم الله وأياديه على البشرية. وقد طلب الله منا ان نتفكر ونتأمل هذه النعم .

كنوز البحر وفوائده

وإذا كانت الأنعام نعمة، والماء نعمة فإن الله جعل لنا في البحر نعما كثيرة. يقول جل شأنه: «وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه حلما طريا، وتستخرجوا منه حليا تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه، ولتبتغوا من فضله، ولعلكم تشكرون» .

لقد شاء الله تبارك وتعالى ان يواجهنا بنعمه في كل مكان، فخلق السمك في البحر، لنتخذ منه طعاما. وخلق اللؤلؤ والياقوت وما أشبه لنتخذ منها حلية نتزين بها. ثم جعل السفن مركبا تحملنا في البحر، كما تحملنا الدواب في الأرض .

وليست هذه هي كل النعم التي منحها الله للانسان. فهناك نعم كثيرة ومنوعة زودنا الله منها بأكثر من احتياجاتنا في الحياة .

ولذلك قال الله تبارك وتعالى : «وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها» .

وبعد ان عرضت السورة هذه النعم جاءت نعمة عسل النحل فمن قرأ سورة النحل قراءة تدبر وإمعان وجدها تبسط في العقل والقلب والنفي أضواء ساطعة من الحكمة والمعرفة. فكل آية من آياتها إما أن تدل على نعمة من نعم الله التي لا تحصى، أو

تلفت العقل إلى ما في الكون من أسرار وعجائب، أو تعلم الانسان كيف يرى مظاهر عظمة الله في كل شيء .

والآن لندخل رويدا رويدا مملكة النحل، لنرى كيف يتضافر أفرادها في إنتاج أطيب وأنجع دواء للانسان .

عسل النحل شفاء من كل داء

سبق الاشارة إلى ان انتاج العسل من النحل على ثلاثة أنواع وقد ذكر الله في الآية الكريمة بقوله : «وأوحى ربك إلى النحل ان اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ما يعرشون» .

أنواع ما ينتجه النحل حسب ما تغذيه وأجوده ما كان يتغذى داخل الجبال. لأن أشجاره وزهوره وأنواع النبات والأعشاب ومن الشجر وجناته تزج وتغذي من ماء السماء وبنات الصائغ ولم يكن من نبات الانسان وماءه وضعه بل وان كان سقيا للجميع من ماء السماء وإخراج الصانع الذي أتقن كل شيء وأحسن كل شي خلقه. ماذا يعرف كل منا عن عسل النحل ؟

فهذا النوع من أجود أنواع العسل لكون النحل يتغذى به. أما النوع الثاني فهو من الأشجار والزهور حيث مخرجها الانسان ويسقيها بيده والنوع الثالث ما كان داخل البيوت فلا تخرج تشم

النسيم ونأكل من زهوره وأشجاره بل محبوسة في بيوت مما يعرشه للسكن ويكون تغذية على السكر فالانسان قد يكون ادراكه وعلمه مقتصر على أن عسل النحل حلو المذاق وفيه بعض الشفاء لبعض الناس يعرف انه طعام حلو لذيذ، وان فيه شفاء من أمراض المعدة وما يصيب الجهاز الهضمي من ادواء .

هذا الشراب الذي يخرجه النحل من بطونه تحمل مكوناته صيدلية كاملة من الأدوية. فقد ثبت ان له فوائد جمة ومنافع عديدة في الطب الوقائي والطب العلاجي. وانه كما يشفي المرضى، يحفظ الأصحاب من الاصابة بالمرض، فالعسل ليس عقار يداوي مرضا بذاته، وانما يضم طائفة من العقاقير تعالج مختلف الأمراض .

فاذا كنت مريضا فسوف تجد فيه الدواء الشافي .
واذا كنت صحيحا فسوف تجد فيه الوقاية من المرض .
واذا كنت شابا فسوف تجد فيه ما يطيل فترة شبابك .
واذا كنت شيخا فسوف تجد فيها ما يعيد إليك نضارة الشباب .

ان وجود كمية صغيرة من العسل في بيتك، يعادل وجود صيدلية كاملة، ويعادل مائدة فاخرة تضم كل أصناف الطعام التي تحمل البروتينات والفيتامينات والهورمونات ومنشطات الجسم .

فاذا كنت حريصا على أن تعيش حياتك سليما معافا قوي الفكر والبدن محتفظا بشبابك وعافيتك طيلة عمرك، فاختر اجود أنواعه مما يتربى في البراري والجبال وأمعن النظر، وفرغ الفكر عند رؤيتك لهذا الخلق العظيم والقدير الالاهي والطاف الرب، مما يدبره هذا الخلق صغير الحجم، تجد عند رؤيتك لحركاته وتدبيره، وما يوجد داخل بيوته من التدبير والحركات العظيمة والحرص والنظافة التامة، تندهش وتعلم سر هذا الخلق وما أودع فيه من الحكم والكنوز العظيمة، انه صنع ربنا وتدبيره، وخلقه الذي أحسن كل شيء خلقه فتبارك الله أحسن الخالقين .

انك ستزداد ايمانا بعظمة الله حين تتعرف على اسرار مملكة النحل، وكيف الهم الله النحل ان يدير مملكته بنظام عجيب، حتى أصبح للنحل علم مستقل به، ومناهج دراسية متخصصة في الاكاديميات العالمية .

العسل علاج لكل داء ومرض

انك ستظفر بحصيلة هامة من المعلومات عن فوائد عسل النحل، ومنها انه ممكن التداوي به في علاج القروح والجروح وقرحة المعدة والزكام، ونزلات البرد والسعال الديكي وضيق التنفس، كما أن

عسل النحل يعالج مرض الكبد والقلب وهبوط الضغط والتهاب جفون العيون، ويسكن الآم المفاصل، وتقلص العضلات، وأكثر من هذا اكتشف العلماء حديثا انه يعالج مرضى السرطان، وهذا الداء الخبيث الذي حير البشرية حتى الآن. وهناك أمراض اخرى يعالجها عسل النحل .

تأملات وعظات وحكم وفوائد
من هذا الخلق صغير الحجم عظيم القدر

خذ جولة داخل مملكة النحل لنرى كيف تجري الأمور داخل هذه المملكة، وكيف يصنع النحل العسل ومنتوجاته، وما هي المزايا والخصائص التي يتمتع به النحل. حتى ان الله تعالى سمى سورة بأسمه في القرآن الكريم، وذكر ان في الشراب الذي يخرجه من بطون النحل شفاء للناس .

ان هذه المملكة تضم اسرار عجيبة لا يملك العقل حين يفكر فيها الا ان يسجد خاشعا لعظمة الله عز وجل .

ماذا يدور داخل مملكة النحل

ان مفتاح دخولنا إلى مملكة النحل هو قول الله تبارك وتعالى :
«وأوحى ربك إلى النحل ان اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون. ثم كلي من كل الثمرات، فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه، فيه شفاء للناس، ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون» .

قدرة الله وعظمته

حين نتأمل هاتين الآيتين نجد ان النحل يتحرك في مملكته بالهام من الله، وأن التنظيم الدقيق لهذه المملكة، هو مظهر من مظاهر قرة الله في ابداع خلقه، وانه سبحانه قادر على ان يجعل هذه الحشرة تتصرف في شئونها، وفي إدارة مملكتها بما يجعل العقل البشري في حيرة ودهشة مما تملكه النحلة من مزايا وخصائص في فن الادارة، قبل ان تبلغ البشرية مرحلة النضج العلمي، وتعرف فن الادارة وقواعده العلمية الدقيقة .

كما أن التأمل في هاتين الآيتين الكريمتين يرينا ان الله سبحانه وتعالى لم يذكر النحل في موقف مشابه لتلك المواقف التي ذكر فيها بعض الطيور والحيوانات .

حيث ذكر الهدهد في مجال اكتشاف مملكة بلقيس التي يسجد أهلها للشمس من دون الله، وذكر النملة في مجال تحذير أمة النمل من الهلاك تحت أقدام نبي الله سليمان وجنوده، وذكر حمار عزير في مجال التدليل على قدرة الله على البعث، وذكر الفيل في مجال حفظ الله وحمايته لبيته الحرام من ان تمسه يد سوء .

لم يرد ذكر النحل في القرآن الكريم في مجال مماثل لهذه المجالات. وانما ورد في مجال اظهار نعمة من نعم الله الكبرى على الانسانية، حيث انه جعل من هذه الحشرة الصغيرة مصنعا لانتاج احلى الأغذية وانجح الأدوية. مع انها لا تكلف الناس شيئا، ولا تتطلب منهم غذاء ولا دواء .

بيوت النحل وغذائها

وقد دلنا الله تبارك وتعالى على انه الهم النحل ان يتخذ من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون الناس. ومعنى هذا ان مملكة النحل لها ثلاثة أنواع من البيوت : ـــ نوعان منها في مغارات الجبال وتجاويف جذوع الأشجار : والنوع الثالث أما خلايا طينية أو خشبية من صنع الناس كما نرى في المناحل .

وحي الله بالهام النحل بما تقوم به من حركات وأعمال عظيمة القدر :

ولكن كيف يعيش النحل، وكيف يصنع منتوجاته، وفي مقدمتها العسل؟

اننا نقف خاشعين امام عظمة الله، ونحن نرى عجائب مملكة النحل .. فهو يعيش في مستعمراته بأسلوب اداري دقيق، يعجز الانسان المتحضر أن يمارس حياته بنفس الأسلوب المحكم .

فالنحل يقوم بعمل المهندس المعماري، والمهندس التنفيذي، والمهندس الكهربائي في تصنيع مملكته بوحي من الله، وكفى بالله هاديا ومرشدا، فهو لم يتلق كالبشر علما في مدرسة أو كلية. ولم يكن له اساتذه متخصصون، ولم يمضي سنوان في التدريب والمران، وانما الهمه الخالق الأعلى أن يمتص الرحيق من الأزهار، ويجمع حبوب اللقاح منها، ويصنع من الرحيق والحبوب خبزا يقوته، ويغنيه عمن يجلب له الخبز .

قدرة النحل على قطع المسافات البعيدة وادراكها الكامل في التغلب على معرفة الأشياء وتفريقها بين النافع والضار بما ادوع فيها من الالهام الالاهي :

والنحلة تستطيع بواسطة قرني الاستشعار الموجودين في رأسها ان تشم رائحة الازهار على مسافة بعيدة .

وتستطيع بواسطة عينيها الحادتين أن تميز بين الألوان، ما عدا اللون الأحمر، فانه يلتبس مع اللون الأسود .

وعينا النحلة في الابصار أشبه بعدسة التلسكوب، تحددان كل ما تقعان عليه جيدا. ولذلك فأن النحل لا يضل طريقه إلى الخلية وكأنما هو يحمل خريطة بالسبل المؤدية إليها .

وللنحل قدرة عجيبة على امتصاص الرحيق من الأزهار. فهو يشكل من قرني استشعاره ولسانه ما يشبه الأنبوبة التي يستخدمها في جمع الرحيق .

ومن خصائص النحل انه يستطيع تحريك اجنحته بسرعة تماثل سرعة لفات المحرك الكهربائي في أقصى حركة له، وهذه الميزة التي تنفرد بها النحلة تمكنها من الطيران أكثر من ثمانية أميال، دون أن تحس تعبا أو لغوبا .

وقد ميز الله النحل أيضا بأن جعل له حوصلة اساسية، وحوصلة إضافية، يجمع فيها الرحيق الذي يمتصه من الأزهار، وهاتان الحوصلتان تمكنانه من الحصول على على حمل مزدوج من الرحيق .. فكأن ساعات العمل عند النحل مضاعفة، لأن كل نحلة تأتي بحوصلتين متخمتين بشراب العسل .

بيوت النحل محكمة لا يدخلها عدو ولا غريب عنها :

وحاسة الشم عند النحل ليست وظيفتها التعرف على رائحة الازهار في الحقول فحسب، ولكن لها وظيفة اخري هي التمييز بين النحل الغريب، ونحل الخلية فإذا اراد نحل غريب ان يتسلل إلى خلية يقطنها نحل آخر، تصدى له نحل الخلية الحارس، وقامه بسلاحه الحاد وهذا السلاح هو الزباني الذي يقع في الطرف الأسفل من النحلة .

وقد تقع معركة بين النحل الحارس والنحل الغريب، لا يلبث النحل الحارس أن ينتصر فيها ويقتل النحل الواغل، ويسحبه بعيدا عن أرض المعركة حتى لا يتعفن أمامها ويصيب الخلية بأضرار .

وكما يقاوم النحل الحارس النحل الواغل، ويتخلص منه اما بالقتل واما بالطرد، فكذلك يفعل مع اعدائه جميعا، ومنها الفئرا فيتسلط عليها باللدغ حتي تموت .

وهكذا يتحقق الأمن والآمان للنحل .. فلا يستطيع أي طامع في العسل ان يقترب من الخلية لأن هناك حراسة مشددة عليها، وأسلحة الهية خلقها الله في هذه الحشرة الصغيرة، لتدفع عن نفسها، وتعيش آمنة مطمئنة .

ومملكة النحل فيها كل الاختصاصات اللازمة لحفظ الحياة فيها وجعلها حياة هانئة سعيدة .

فالنحل يوزع الاختصاصات على أفراده بدقة واتقان .. فكما خصص فريقا للحراسة والأمن ومقاومة الأعداء، كذلك خصص فريقا لتلطيف الجو، وتخفيف الحرارة، حتى تكون الحياة طيبة داخل الخلية .

وهذا الفريق يقوم بعمله نهارا حين تشتد الحرارة وتتوقف اجنحة النسيم عن العمل .. فأمام الخلية تقف مجموعتان من النحل. احداهما وجهها إلى الخلية، والثانية وجهها إلى الخارج. في حركة منسقة جميلة رائعة تحرك المجموعتان أجنحتها، فينبعث الهواء لطيفا رطبا داخل الخلية وخارجها ..

واذ يحس النحل بالجو المنعش داخل الخلية، فان العسل يتماسك ويصبح صالحا للتخزين .

فلو لم يقم النحل بعملية التبريد هذه، كان علينا ان نقوم بها نحن .. فأي تكلفة لنا سنتكبدها في هذا المجال، لأنها تحتاج إلى أجهزة مروحية وعمال فنيين، ونفقات كبيرة ..

التفكر في النحل وما يقوم به من أعمال يوجب الايمان بخالقها ـ كما يحثه على العمل والسعي في طلب الرزق :

وهذا ما يجعلنا نمعن الفكر في قوله تعالى : « ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون» .

فالفكر في بديع صنع الله من الايمان .. فهو الذي الهم هذه الحشرة الصغيرة ان تصنع لها مملكة متكاملة تدار بالجهود الذاتية، ولا تحتاج إلى عون خارجي، ولا مساعدة أجنبية ..

بل انها تقدم للانسان المغرور بعمله وعقله غذاءه وشفاءه، وما يحميه من الالام والجوع والأضرار ..

كما انها تعلم الانسان لو تأمل وتفكر وتدبر كيف يعمل ويكدح، ولا ليعيش فحسب، انما لكي يجعل غيره يعيش من ثمرة عمله وكدحه .

بيوت النحل محكم ومنظم ولا يحتاج عمالة كغيرها بل يقوم بنفسه بإلهام من اللطيف الخبير :

وتعالوا نفكر معا فيما تقوم به النحلة من أعمال، لنرى كيف يتعاون مجتمع النحل على الخير والبر والمعروف .

وكلنا يعلم ان النظافة من الايمان وان من علامات المؤمن ان يكون طاهرا ونظيفا .

وكلنا يعلم أن حظائر الدجاج والماشية لابد أن يقوم بتنظيفها عمال مخصصون لأعمال النظافة وازالة ما فيها من اقذار ج

فهل مجتمع النحل بحاجة إلى عمال نظافة؟ أم انه يتولى بنفسه تنظيف بيوته وخلاياه؟ على عكس ما يحدث في الحيوانات والطيور التي نربيها .

ان القاء نظرة واحدة على بيوت النحل وخلاياه يكشف لنا عن خصيصة رائعة من خصائص النحل .

فهو يقوم بتنظيف بيوته وخلاياه من أي شائبة أو قذى .. ولذلك فإن مربي النحل لا يستخدمون عمالا للنظافة، لأن النحل كفاهم هذه المهمة. فإذا حدث ان تسلل حيوان إلى داخل الخلية، وتآزر النحل الحارس على قتله، فماذا يحدث ؟

يحدث شيء غريب لا يخطر بخلد انسان .. يجر النحل الحارس جثة هذا القتيل بفكوكه خارج الخلية، ثم يغطي مكان قتله بالشمع والصمغ الذي يجلبه من الأشجار والنباتات ليقضي على أي رائحة بالخلية ..

وبمناسبة ذكر الصمغ، وهو ما يسمى بالراتنج، فإن النحل يتجشم المشاق في احضاره، لكي يسد به أي ثغرة في الخلية يمكن ان يتسلل منها حيوان إلى الداخل ..

كنوز عظيمة فيها شفاء لأمراض الناس

فوائد العسل ومنافعه - أحكام وحكم :

تأمل أحوال النحل وما فيها من العبر والآيات فأنظر إليها وإلى اجتهادها في صنع العسل وبنائها البيوت المسدسة التي هي من أتم الأشكال وأحسنها استدارة وأحكمها صنعا فإذا انضم بعضها إلى بعض لم يكن بينها فرجة ولا خلل كل هذا بغير مقياس ولا آلة ولا بيكار وتلك من أثر صنع الله والهامه إياها، وإيحائه إليها .

بيوت النحل ومرماها وغذائها :

قال تعلاى : «وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا إلى قوله : لآيات لقوم يتفكرون» .

فتأمل كمال طاعتها وحسن ائتمارها لأمر ربها اتخذت بيوتها في هذه الأمكنة الثلاثة في الجبال الشقفان، وفي الشجر وفي بيوت الناس حيث يعرشون ـــ أي يبنون العرش ـــ وهي البيوت فلا يرى النحل بيت غير هذه الثلاثة البته .

وتأمل كيف أكثر بيوتها في الجبال والشقفان، وهو البيت المقدم في الآية ثم في الأشجار وهي من أكثر بيوتها وبما يعرش الناس وأقل بيوتها بينهم، حيث يعرشون وأما ما في الجبال والشجر بيوت عظيمة، يؤخذ منها من العسل الكثير جدا وتأمل كيف أداها حسن الامتثال إلى أن اتخذت البيوت أولا فإذا استقر لها بيت خرجت منه فرعت، وأكلت من الثمار ثم أوت إلى بيوتها لأن ربها سبحانه امرها باتخاذ البيوت أولا ثم الأكل.

ألطاف وحكم وأحكام النحل تحت تدبير ملكته وأميرها ذهابا وإيابا :

وبعد ذلك ، ثم اذا سلكت سبل ربها مذللة لا يستوعز عليها شيء ترعا ثم تعود، ومن عجيب شأنها أن لها أمير يسمى اليعسوب، لا يتم لها رواح ولا أياب ولا عمل ولا مرعى إلا به فهي مؤتمرة لأمره سامعة له مطيعة له، وله عليها تكليف وأمر ونهي وهي رعية له منقادة لأمره متبعة لرأية يدبرها كما يدبر الملك أمر رعيته حتى انها اذا آوت إلى بيوتها وقف على باب البيت فلا يدع واحدة تزاحم الأخرى ولا تتقدم عليها في العبور بل تعبر بيوتها واحدة، بعد واحدة بغير تزاحم ولا تصادم ولا تراكم كما يفعل أميرها إذا انتهى بعسكره إلى معبر ضيق لا يجوزه إلا واحد، ومن تدبر أحوالها وسياستها وهدايتها واجتماع شملها وانتظام أمرها وتدبير ملكها وتفويض كل عمل إلى واحد منها، تتعجب منها كل العجب ويعلم ان هذا ليس في مقدورها ولا هو من ذاتها فان هذه أعمال محكمة متقنة في غاية الأحكام والاتقان، فإذا نظرت إلى العامل رأيته من أضعف خلق الله، وأجهله بنفسه وبحاله وأعجزه عن القيام بمصلحته، فضلا عما يصدر عنه من الأمور العجيبة .

ألطاف وأسرار وحكم :

ومن عجيب أمرها : أنه لا يكون فيها أميران يجتمعان في بيت واحد ولا يتأمران على جمع واحد بل اذا اجتمع منها جندان وأميران، قتلوا احد الأميرين وقطعوه واتفقوا على الأمير الواحد من غير معادة بينهم، ولا أذى من بعضهم لبعض بل يصيرون يدا واحدة وجندا واحد .

إعتبار وتفكر ــ الوحي الالاهي والالطاف الربانية في انتاج النحل :

ومن أعجب أمرها ما لا يهتدي إليه أكثر الناس، ولا يعرفونه وهو النتاج الذي يكون لها، هل هو على وجه الولادة التوالد أو الاستحالة، فقل من يعرف ذلك أو يفطن له وليس نتاجها على واحد من هذين الوجهين، وإنما نتاجها بأمر من أعجب العجيب فإنها إذا ذهبت إلى المرعى أخذت تلك الأجزاء الصافية التي على الورق من الورود، والزهر، والحشيش، وغيره وهي الطل فتمصها وذلك مادة العسل، ثم انها تكبس الأجزاء المعقدة على وجه الورقة وتعقدها على رجلها كالعدسة فتملاء بها المسدسات الفارغة من العسل، ثم يقوم يعسوبها على بيته مبتدئا منه، ينفخ فيه، ثم يطوف على تلك البيوت بيتا بيتا، وينفخ فيها كلها وتدب فيها الحياة، بأذن

الله عز وجل فتحرك وتخرج طيورا بأذن الله، وتلك احدى الآيات والعجائب التي قل ما يفطن لها، وهذا كله من ثمرة ذلك الوحي الالهي، أفادها واكسبها هذا التدبير، والسفر، والمعاش، والبناء، والنتاج .

الوقوف والتفكر في حركة النحل وسيرها يوجب الايمان بالله وشكر نعمه :

من الذي أوحي إليها امرها، وجعل ما جعل في طباعها، ومن الذي سهل لها سبله ذللا منقادة لا تستعصي عليه ولا تستوعرها، ولا تضل عنها على بعدها، ومن الذي هداها لشأنها ومن الذي انزل لها من الطل، فاذا جنته ردته عسلا صافيا مختلفا الوانه، في غاية الحلاوة واللذاذة والمنفعة، من بين أبيض يرى فيه الوجه أعظم من رؤيته في المرآة، وسمه له من جاء به وقال هذا أفخر ما يعرف الناس من العسل وأصفاه وأطيبه فإذا طعمه ألذ شي، يكون من الحلوى ومن بين أحمر وأخضر، ومورد وأسود، وأشقر غير ذلك من الألوان، والطعوم المختلفة فيه، بحسب مادتها.

العسل من أقوى الأدوية لاخراج الداء من الجسد :

وإذا تأملت ما فيه من المنافع والشفاء ودخوله في غالب الأدوية، حتى كان المتقدمون لا يعرفون السكر، ولا هو مذكور في كتبهم أصلا، وإنما كان الذي يستعملونه في الأدوية هو العسل وهو المذكور في كتب القوم، ولعمر الله انه لا نفع من السكر واجدى وأجلى للاخلاط وأقمع لها وأذهب لضررها وأقوى للمعدة وأشد تفريحا للنفس وتقوية للأرواح وتنفيذا للدواء، وإعانة له على استخراج الداء من أعماق البدن .

القرآن والصلاة والذكر والاقبال على الله والعسل شفاء للقلوب والابدان :

وأما الشفاء الحاصل من العسل فقد حرمه كثيرا من الناس حتى صاروا يذمونه ويخشون غائلته من حرارته وحدته، ولا ريب ان كونه انه شفاء، وكون القرآن شفاء، والصلاة شفاء .

وذكر الله والاقبال عليه شفاء امر لا يعم الطبائع والانفس، فهذا كتاب الله هو الشفاء النافع وهو أعظم الشفاء وما أقل المستشفين به بل لا يزيد الطبائع الرديئة الارادة ولا يزيد الظالمين إلا خسارا .

وكذلك ذكر الله والاقبال عليه والانابة إليه والفزع إلى الصلاة كم قد شفى به من عليل، وكم قد عوفي به من مريض، وكم قام مقام كثير من الأدوية التي لا تبلغ قريبا من مبلغه في الشفاء .

وأنت ترى كثير من الناس بل أكثرهم لا نصيب لهم من الشفاء بذلك أصلا وقد ذكر في بعض كتب الأطباء المسلمين في ذكر الأدوية المفردة ذكر الصلاة، ذكرها في باب الصاد، وذكر من منافعها في البدن التي توجب الشفاء وجوها عديدة ومن منافعها في الروح والقلب .

الذكر ومذاكرة العلم تساعد على دفع الداء ـــ وكلام شيخ الاسلام ابن تيمية في ذلك :

يقول بن القيم رحمه الله سمعت شيخنا ابا العباس بن تيمية رحمه الله يقول :
وقد عرض عليه بعض الآلم فقال له الطبيب اضر ما عليك الكلام في العلم والفكر فيه والتوجه والذكر. فقال : الستم تزعمون ان النفس إذا قويت وفرحت أوجب لها قوة تعين بها الطبيعة على دفع العارض، فإنه عدوها، فإذا قويت عليه قهرته فقال له الطبيب بلى فقال : اذا اشتغلت نفسا بالتوجه والذكر والكلام في العلم وظفرت

بما يشكل عليها منه فرحت به وقويت وأوجب ذلك دفع العارض هذا أو نحوه من الكلام. والمقصود ان ترك كثير من الناس الاستشفاء بالعسل لا يخرجه عن كونه شفاء .

القرآن والعسل شفاء للقلوب والأبدان ولاينتفع بهما إلا المؤمنين:

ترك اكثر الناس الاستشفاء بالقرآن من أمراض القلوب لا يخرجه عن كونه شفاء لها وهو شفاء لما في الصدور وان لم يستشف به أكثر المرضى كما قال تعالى (يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدي ورحمة للمؤمنين) .

فعم بالموعظة والشفاء وخص بالهدي والمعرفة فهو نفسه شفاء. استشفى به أو لم يستشف به ولم يصف الله في كتابه بالشفاء الا القرآن والعسل، فهما الشفاء ان هذا شفاء القلوب من امراض غيها وضلالها وادواء شبهاتها وشهواتها وهذا شفاء للأبدان من كثير من اسقامها واخلاطها وافاتها .

العسل وماء زمزم شفاءان من السقم :

قال شمس الدين ابن القيم رحمه الله :

وقد اصابني ايام مقامي بمكة اسقام مختلفة ولا طبيب هناك ولا أدوية كما في غيرها من المدن فكنت استشفى بالعسل وماء زمزم ورأيت فيهما من الشفاء امرا عجيبا .

القرآن شفاء من كل داء :

قال سبحانه «ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين» وقال تعالى «يا أيها الناس قد جاءكم العسل فيه شفاء للناس» وما كان نفسه شفاء أبلغ مما جعل فيه شفاء .

فهرس الجزء الثاني من الألطاف الربانية وهو مشتمل على أربع رسائل من صفحة ١ إلى صفحة ٣١ : الرسالة الأولى ـــ الدعاء والذكر وما ورد فيهما من النصوص .

من صفحة ٣٢ إلى صفحة ٥٠ : الرسالة الثانية : الفرج بعد الشدة وما ورد فيه من النصوص من الكتاب والسنة وأقوال السلف والخلف من هذه الأمة من الأئمة والرجال الصالحين .

من صفحة ٥١ إلى صفحة ٦١ : الرسالة الثالثة ـــ الطب وما ورد فيه من نصوص القرآن والسنة وأقوال علماء هذه الأمة

المحمدية من السلف والخلف الصالح، وأن الشفاء والعلاج مأخوذ من كتاب الله ومن هدي المصطفى ﷺ فأن العلاج بهما قطعي لا ظني أو قياسي .

ومن صفحة ٧٥ إلى ص ٨٩ : الرسالة الرابعة العلم وفضله وفضل أهله على غيرهم .

من صفحة ٦٢ إلى صفحة ٦٥ : ملحق أول ـــ كنوز عظيمة فيها إيضاح وبيان أن الخلق مسافرون إلى ربهم ومدة سفرهم هي أعمارهم، وتابع لهذا الملحق مرثية للشيخ سعد بن حمد بن عتيق شيخ المشايخ، ومن تلامذته الشيخ محمد بن ابراهيم مفتي الديار السعودية رحم الله الجميع رحمة واسعة وكذلك مرثية الشيخ محمد العجيري رثاهما شاعر نجد الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله وجميعهم الراثي والمرثي من سكان حوطة بني تميم رحمهم الله رحمة واسعة .

من صفحة ٦٦ إلى صفحة ٧٠ : ملحق ثاني ـــ عظيم الفائدة وجليل القدر بعض معجزات وكرامات سيد البشر ﷺ وكرامات امته .

ومن صفحة ٧١ إلى نهاية الجزء ملحق ثالث ـــ فوائد جليلة وبعدها فضل العلم وأهله وبيان شرفهم العظيم وامتياز أهل العلم عن

غيرهم، بما أكرمهم الله من النور الالاهي والألطاف الربانية.

وبعدها ملحق تابع للرسالة الثالثة فيها تكملة بحوث وفوائد العسل وأن الشفاء هو مأخوذ منه ومن القرآن العظيم وقد ذكر ان ما ينتجه النحل فيه شفاء للناس فالقرآن والذكر والعسل شفاء للقلوب والأبدان وهو لمن آمن به .

وقد وضحنا مراجع هذه الأجزاء والرسائل بالجزء الأول المسمى بالألطاف الربانية في اذكار الحج الروحانية .

سائلا المولى جل وعلا عموم الفائدة والقبول لنا ولمن قراءه أو سمعه أو شارك فيه وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم وأن يبارك لنا فيه بمنه وكرمه وصلى لله على محمد وعلى آله وسلم تسليما كثيرا .

وقد تم الانتهاء من هذا الجزء في اليوم الخامس من محرم لعام ١٤١٣هـ .

ويليه ان شاء الله الجزء الثالث ويشتمل على ستة أجزاء وموضوعها الخطب المنبرية، حكم وفوائد على حسب المناسبات والوقائع .

ترجمة العلامة الشيخ

محمد بن عمر بن عبد العزيز بن عبد الله بن صالح بن محمد بن سليم، تقدم نسبه في ترجمة الشيخ محمد بن عبد الله بن سليم .

ولد رحمه الله بمدينة بريدة عام ١٢٤٥هـ، وتوفي عام ١٣٠٨هـ بمدينة بريدة، وصادف يوم وفاته اجتماع أهالي القصيم بالمليدا لملاقاة محمد بن رشيد في وقعة المليدا الشهيرة، وقد جمع الشيخ محمد بن سليمان العمري الناس للصلاة عليه صلاة الغائب في المليدا وأم المصلين عليه لأنه إمام ومفتي حسن المهنا، فصلوا عليه ودعوا له، وحضر الصلاة عليه الأمير حسين بن مهنا والأمير زامل بن سليم .

ولد رحمه الله في بيت علم وورع وتقوى، فقد كان والده عمر رحمه الله طالب علم ويحفظ القرآن عن ظهر قلب وله اطلاع على العلوم الدينية لكنه لم يتولي شيئا من المناصب. كان الشيخ محمد كريم النفس سخيا متواضعا يقصد أهل المدن والقرى عنده وقت طلبهم العلم فيكرمهم ويعتني بهم، وكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر على علم وبصيرة، فكان له بذلك أثر كبير على المجتمع في القصيم عامة وفي بريدة خاصة.

وهو إلى اللين أقرب منه إلى الشدة من غير ضعف، لكنه يستعمل الشدة عند الحاجة مع المعاندين والمجاهرين أو عند محاولة أحد من الناس اضاعة الحق، فقد حدث أن اعتدى رجل على آخر وكان المعتدي من المقربين إلى الأمير حسن المهنا، فأمر الأمير حسن المهنا بضرب المستضعف منهما، فلما مر الشيخ رحمه الله وجد الجريد الأخضر معدا لضرب المستضعف بعد الصلاة، فسأل عنه لمن أعد هذا الجريد قيل : له لفلان، فأرسل إلى الأمير حسن المهنا وقال هل : الجريد الذي وضع يضرب به فلان ولا يضرب به الذي وضع من أجله، فما كان من الأمير حسن إلا أن أجاب طلب الشيخ وحول القضية على الخصم ذي الواسطة، وليست هذه القضية فريدة فلها نظائر كثيرة لكنها تكفي للتدليل على قوته رحمه الله وعلى بصيرة .

وعندما أراد أهالي القصيم اداء صلاة الاستسقاء طلب من حسن المهنا ان يوزع بعض موجودات بيت المال على الفقراء فوافقه على ذلك .

وقد حصل على يده قصة عجيبة وهي : انه لما كان اليوم الأول من رمضان دخل عليه رجل وهو ممسك بيد ابنه العاقل البالغ وفي الرجل ظرف وخفة روح فقال له : يا شيخ محمد خذ هذا

الولد وأذبحه أو اجدعه مع المنارة، مبالغة بالتشهير بعمل ابنه الشنيع، فسأله الشيخ رحمه الله وما السبب ؟ فقال : لقد جامع زوجته في رمضان. فقال له الشيخ : يصوم شهرين متتابعين. قال الرجل : يا شيخ لم يصبر يوما واحدا فكيف يصبر شهرين متتابعين. فقال الشيخ : يطعم ستين مسكينا فقال الرجل : والله ما عندنا عشاء لعيالنا هذا اليوم .

وإذا احد خدم الشيخ قد اتى بحمل من تمر فقال الشيخ : خذا هذا وتصدق به فقال الرجل بلهجته العامية (تكفي يا شيخ والله ما هنا احوج منا له) فقال الشيخ : تصدق به على نفسك وعيالك .

طلبه العلم

تتلمذ رحمه الله على مشائخ الشيخ محمد بن عبد الله بن سليم، ولازم احدهما الاخر في السفر والحضر، وسافرا معا لطلب العلم في الرياض على الشيخ عبد الرحمن بن جسن آل الشيخ ثم سافرا من الرياض إلى شقراء لطلب العلم على الشيخ عبد الله أبي بطين. قال لي حفيد الشيخ عبد الله بن ابراهيم بن سليم حدثني أبي عن والده انه رأى الشيخ عبد الله ابي بطين في المنام. فسأله العلم

الذي حصل عليه فقال : يا بني انفتح لي من نور الله مثل ثقب الابرة. قال : واستيقظ الشيخ محمد بعد ذلك .

ولما سافرا الشيخان محمد بن عبد الله ومحمد بن سليم من عند الشيخ عبد الرحمن بن حسن قال الشيخ عبد الرحمن كلمته المشهورة «أخذ العلم اثنان : الشيخ محمد بن عبد الله بن سليم بصدره، والشيخ محمد بن عمر بن سليم بصدره وقلمه» إذ ان الشيخ محمد بن عمر جيد الخط سريع الكتابة، فكان ينسخ بقلمه كل ما يحصل عليه من كتب العلم المتداولة في ذلك الوقت، وقد كتب بخطة عشرات الكتب ولا يزال بعضها عند حفيده الشيخ عبد الله بن ابراهيم آل سليم، كما أن له تعليقات جيدة على كثير من الكتب المخطوطة بخط يده رحمه الله، وقد حدث بذلك غير واحد منهم الشيخ عبد الله بن ابراهيم ال سليم ــ رحمه الله ــ وقد اطلع على بعض الحواشي بخط يده على بعض المخطوطات .

مشـــايخـــه

أخذ العلم عن الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ وابنه الشيخ عبد اللطيف، كما اخذ عن الشيخ سليمان بن علي القبل الذي اخذ العلم عن مفتي الحنابلة بدمشق في وقته، الشيخ

حسن الشطي وأخذ عن الشيخ قرناس، واستفاد وافاد من الشيخ محمد بن عبد الله بن سليم في البحث والمذاكرة المستمرة عشرات السنين، وكان هو والشيخ محمد بن عبد الله بن سليم كفرسي رهان في العلم والفضل والتعليم، ولا يوجد طالب علم اخذ عن احدهما الا وأخذ عن الاخر حتى توفي الشيخ محمد بن عمر عام ١٣٠٨هـ، فالذين اخذوا العلم عن الشيخ محمد بن عبد الله بعد وفاة الشيخ محمد بن عمر، هم الذين لم يشملهم الاخذ عن الشيخ محمد بن عمر .

نشــره للعــلم

كان رحمه الله صبورا على نشر العلم وتعليمه، فكان له عدة مجالس يوميا بعد صلاة الصبح، وبعد طلوع الشمس، إلى ان ينتهي الطلبة جميعهم من القراءة، ثم يذهب إلى منزله ويذهب معه بعض الغرباء من الطلاب والمحتاجين فيقدم لهم الغداء، ويستمر البحث إلى قرب الظهيرة .

كما أنه يجلس بعد الظهر وبعد العصر وبعد المغرب للتعليم في المسجد الذي يؤم فيه، وهو المسجد الذي خلفه عليه الشيخ عبد الله بن محمد بن سليم ثم خلفه عليه الشيخ ابراهيم بن الشيخ محمد

بن عمر بن سليم ثم خلفه عليه الشيخ ابراهيم بن الشيخ محمد بن عمر بن سليم، وخلفه عليه إبنه الشيخ عبد الله بن ابراهيم بن سليم، وخلفه عليه الشيخ عبد العزيز بن صالح بن سليم، وخلفه عليه الشيخ محمد بن سليمان بن عبد الرحمن بن سليم، فيكون قد تعاقب على هذا المسجد ستة من آل سليم خلال قرن تقريبا. وكان رحمه الله لين الجانب متواضعا يتودد للطلاب والفقراء ويمنحهم ما يستطيع بذله من المال.

قال الشيخ عبد العزيز بن رشيد : حدثني شيخي، الشيخ ابراهيم بن ضويان، ان الشيخ محمد بن عمر متواضع جدا مما يسهل الاستفادة منه.

وكان رحمه الله كثير المناصحة للطلاب بالحث لهم على الاستقامة والتقوى ومما يقول لهم .

(طالب العلم كالثوب الأبيض النظيف فعليه المحافظة على هذه النظافة لأنه أي دنس يؤثر فيه) .

رفضـه للقضـاء

عرض عليه القضاء أكثر من مرة فكان لا يقبل الا بالنيابة المؤقتة حلا لمشكلة مؤقتة، وقد ناب عن قاضي بريدة الشيخ

سليمان العلي المقبل، كما ناب عن الشيخ محمد بن عبد الله بن سليم عدة مرات، في قضاء بريدة وفي احدى نيابته في القضاء رغب التخلص من النيابة، فأمسك بالأمير حسن بالمجد الجامع الكبير ببريدة أمام الناس وقال له : لن أطلقك حتى تعفيني فأعفاه والناس ينظرون إليهما ويعجبون ولا يستطيع أحد من هيبته منعه من الامساك بالأمير حسن، وكانت له فراسة عظيمة، قل ان تخطيء رحمه الله وعفا عنه .

وقد رثاه العلماء والشعراء بالقصائد والرسائل الخاصة ومن ذلك ما رثاه به الشيخ ناصر بن سعود بن عيسى بهذه القصيدة .

أعيني بالدمع الملت الأهملي
وان تنزفن الماء فالدم اسبل

على العالم البحر الخضم اخي العلا
ومدرهنا المصقاع في كل معضل

ابي عمر الشهم الأديب محمد
ضجيع الندى والحزم ليس بز

تجرع من كأس المنون غداته
فأمسى رهين القبر غير مؤمل

فما ثاكل شمطاء لوعها الأسى

ولا ام شعب قد احتلت بهوجل

بأوجد مني يوم قال نعيه

مضى الحبر شمس الدين جم التفضيل

لقد عشت ميمون النقية ماجدا

إلى الله تهدى بالكتاب المنزل

وقد كنت زينا للبلاد ومفخرا

وعضا على الأعداء للهمام مجتل

وقد كنت مساكا لسنة احمد

لها ناشدا في كل جمع ومحفل

فتدفع عنها كل ما كان باطلا

حريصا على احيائها غير مؤتل

يظل بك التوحيد يبرق وجهه

ويبسم منه الثغر بسمة مجدل

جزاك الكريم الله أحسن ما جزا

وبوءك الفردوس أطيب منزل

مع الانبياء والصالحين مخلدا

وتنظر وجها من كريم التفضيل

اقوال ودمع العين يهمى كأنه

فرائد خانتها سلوك المفصل

الا ذهب الحبر الامام الذي علا
على النجم جودا لا يزال إلى العلى
وما بصرت عيناي مثل محمد
أبر وأوفى ذمة فيء تجمل
وأوصل للقربى على كل حالة
وأخصب للعافين في كل محل
صدوع بأمر الله ليس بخائف
ملامة ذي لوم ولا متنقل
صدوق سليم القلب لو ان حلمه
يحمل سلمى طيء لم تحمل
على وجهه القى البهاء رداءه
وعن روعة الاحسان لم يتحول
سقى الله قبرا حل فيه محمد
من العفو الرحمات جم التهطل
وصل الهي كل حين على الذي
بعثت بدين الحق افضل مرسل
وأصحابه والتابعين على الهدى
عصابة دين الله من كل أفضل

١ ــ الشيخ محمد بن عبد الله بن سليم ونسبه

هو العلامة والبحر والحبر الفهامة، الإمام الكبير والبحر الزاخر الغزير، شيخ المشائخ الكبار، ومفتي المدن والقرى والأمصار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن حمد بن محمد بن صالح[1] بن حمد بن محمد بن سليم .

ويلتقي مع الشيخ محمد بن عمر في صالح بن حمد .

إنتقالهم من الدرعية إلى القصيم :

بعد نكبة الدرعية بجيش الترك بقيادة إبراهيم باشا ودمارها تفرق سكان الدرعية إلى البلدان، وقد انتقل آل سليم من الدرعية إلى بريدة .

ولادتـه :

ولد الشيخ محمد رحمه الله في عام ١٢٤٠هـ على أصح الأقوال بمدينة بريدة، ونشأ نشأة صالحة في أحضان والده الذي كان من خيار أهل زمانه صلاحاً وتقوى .

وقد حفظ القرآن عن ظهر قلب في وقت مبكر، ثم أكب على الدرس والتحصيل من علماء القصيم، فقرأ على العالم الشهير

---

(١) صالح هذا هو الذي كان يذهب برسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى البلدان لقراءتها عليهم ودعوتهم لقبول دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

الشيخ قرناس بن عبد الرحمن قاضي القصيم في زمنه، ثم على الشيخ سليمان بن علي المقبل، ثم على الشيخ عبد الله أبي بطين .

رحيله إلى الرياض لطلب العلم :

وعندما أخذ عن علماء القصيم وأدرك رأى أن يلتحق بعلامة زمانه الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ في الرياض، فرحل إليه ولازمه مدة أثنى عشر عاماً كاملة لم يعد خلالها لزيارة أهله وذويه حتى صار آية في الحفظ والعلم، وحتى انتهت إليه الفتيا

والرئاسة العلمية في القصيم وما جاورها من البلدان، فكان مضرب المثل في ذلك، كما ضربت آباط الإبل إليه من جميع أطراف الجزيرة العربية للاستفادة من علمه، ومن علم ابن عمه الشيخ محمد بن عمر بن سليم. وصارت له منزلة عظيمة في نفوس الناس، فصارت بريدة مقصداً لطلبة العلم من جميع البلدان، كما كانت من بعده في زمن ابنته الشيخ عبد الوهاب والشيخ عمر رحمهما الله تعالى .

ولما حصل الخلاف بينه وبين أمير القصيم حسن بن مهنا ـــ لرأي الشيخ بالتمسك ببيعة أهل القصيم للإمام عبد الله بن فيصل

وهذا معناه إبطال إمارة حسن المهنا ـــ إرتحل إلى عنيزة وتبعه خلق كثير من طلبة العلم من جميع بلدان القصيم وغيرها

مدة إقامته التي بلغت نحو خمس سنوات. وقد عمرت مجالسه في التدريس فكان ينفق على ما يزيد على ثلاثين من طلبة العلم مدة إقامته في عنيزة وهم الذين لحقوا به في عنيزة، وكان قاضي عنيزة الشيخ علي المحمد آل راشد يرجع إليه فيما يشكل عليه .

وكان رحمه الله سخياً متواضعاً يلين جانبه لطلبة العلم والفقراء، مع هيبته العظيمة لدى الملوك والأمراء والكبار، وله شجاعة وقوة في كلمة الحق : والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والعدل بين الناس، لا تأخذه في الله لومة لائم، ولا يفرق بين الغني والفقير، والكبير والصغير، والقريب والبعيد، والعدو والصديق وكان في بريدة ينزل بعض الطلبة في بيوت خاصة، ويتفقد أحوالهم ويساعد المحتاج منهم مثل آل مانع وآل القاضي وغيرهم .

ومن الطريف أن رجلا إذا خاصم عنده يحكم عليه، فحصل بينه وبين رجل خصومة عند الشيخ، فصار الحكم لصالحه فخرج من عند الشيخ متعجباً وهو يقول : «قطعها ولد سليم وإذا مقطه أبيض» يقصد أنه بت في المسألة وقطعها قطعاً جيداً أي

حسمها وهي من تعابير العامة كناية عن القوة في الأمر والعزيمة في الحق .

رغبته في العلم :

ولما عاد من الرياض مر بالشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين بشقراء، فأقام عنده سنتين أو أكثر وهذه هي القراءة الثانية على الشيخ عبد الله فكان الشيخ عبد الله يكرمه ويبره. وقد حدثني الجد الشيخ عمر بن محمد بن سليم رحمه الله قال : لما كان الوالد الشيخ محمد بن عبد الله بن سليم والشيخ محمد بن عمر بن سليم عند الشيخ عبد الله أبي بطين في شقراء، ودخل شهر رمضان صار الشيخ عبد الله أبو بطين يأتيهما بالسحور بنفسه. فقالا له : أيها الشيخ إذا أردت أن تعطينا شيئاً فأخبرنا نأتي لأخذه ولا تكلف نفسك. إحتراماً منهما له، وتوقيراً لعلمه، فرد عليهما بقوله : يا أبنائي لا تحرماني الأجر ؟!.

وهكذا نرى الرابطة القوية والتعاطف وحب الخير في علمائنا السابقين رحمهم الله جميعاً .

وحدثني الشيخ عبد الله بن ابراهيم بن عبد اللطيف بحمد الله قال : لما سافر الشيخ محمد بن عبد الله بن سليم والشيخ محمد بن عمر بن سليم من الرياض إلى بريدة بعد انتهاء دراستهما على

العلامة الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن لجلسائه : أخذ العلم اثنان!.

الشيخ محمد بن عبد الله بن سليم بصدره والشيخ محمد بن عمر بن سليم بقلمه وصدره وكان الشيخ محمد بن عبد الله سريع الحفظ قوي الذاكرة ويقال بأن الشيخ عبد الرحمن بن حسن قال : إن الله قد جعل بين عيني الشيخ محمد بن عبد الله بن سليم، كما كان الشيخ محمد بن عمر جيد الخط سريع الكتابة حتى أنه لم يترك كتاباً كان يمكن نسخه إلا ونسخه خلال إقامته بالرياض .

وقد أحضر معه من الرياض مجموعة من كتب الفقه بخطه رحمه الله، ولقد كان الشيخ محمد بن عبد الله يقرأ درسة عشر مرات قبل أن يقرأه على الشيخ عبد الرحمن بن حسن ومما يروى عن الشيخ محمد بن عبد الله بن سليم ورغبته بالعلم أنه حال كونه يقرأ في الرياض على الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ هو والشيخ محمد بن عمر أحضر لهما طعام العشاء عصراً فقالا نأكله بعد المغرب، فصليا المغرب ولم يفرغا لأكله، لأنهما في مذاكرة وبحث في بعض المسائل، وصليا العشاء واستمرا في المذاكرة ولم يأكلاه حتى طلع الفجر وقد بلغني أنه رحمه الله كان مكباً على المطالعة وكان المصباح من الودك ذي الفتيلة المكشوفة وأن لهب السراج أحرق غترته التي على رأسه ولم يشعر إلا بحر النار !!.

ومما يذكر أيضاً عن الشيخ محمد بن عبد الله أن تزوج ولما كان في الليلة الثانية من زواجه ــ وكان من عادة المتزوجين الذهاب بعد صلاة العشاء مباشرة إلى زوجاتهم ــ لم يذهب إلى زوجته بل ذهب إلى حجرته في المسجد التي فيها كتبه وأشعل المصباح واستمر في المطالعة حتى جاء المؤذن للأذان الأول للفجر، فوجد الشيخ في حجرته فظنه في باديء الأمر قد جاء لصلاة الفجر، ولكنه ما لبث أن فهم أن الشيخ لم يخرج منذ أن صلى العشاء!!.

تألفه للناس :

وقد حثنى أحد أحفاده الشيخ عبد العزيز بن عبد الرحمن بن سليم وسمعتها من غيره أن الشيخ رأى رجلا من خدم الأمير حسن المهنا مطيلا شواربه خيلاء لأنه كان من الفرسان الشجعان المقدمين لدى الأمير وكانت هذه هيئة بعضهم، فكان ذلك الرجل واسمه محمد بن فهد بن سليمان الصقعبي، ربما مر من عند حلقة تدريس الشيخ في المسجد الجامع، وهو في طريقه إلى قصر الامارة، فيدخل المسجد ويصلى ركعتين، ويستمع قليلا للقراءة ويخرج، والشيخ في كل مرة يلاحظه. فلما جاء في إحدى المرات وصلى ركعتين وجلس ثم هم بالخروج أتبعه الشيخ أحد أبنائه وقال له «يقول لك الوالد نبي نطعمه من غدائنا» فلم يسعه إلا تلبية طلب

الشيخ فانتظر وخرج مع الشيخ إلى منزله بعد إنتهاء الدرس، ولما قدم الغداء وأكلوا رحب به الشيخ وهو لا يدري لماذا طلبه الشيخ ورغب إليه أن يشاركه طعام الغداء وبعد الانتهاء من الغداء قال له الشيخ : «يا محمد الأولاد يبون يطعمونك من عشاهم» فوافق الرجل وحضر العشا .

ولما كان في الغد قص الرجل شاربه وأخذ سلاحه وسلمه للأمير حسن المهنا معتذراً بأنه لا يرغب في خدمته. وكان هو وكيل خيل الأمير حسن المهنا عارفاً بأحوالها وأمورها ومعالجتها كما كان من كبار رجال الأمير حسن.

ويقال بأن الأمير حسن سأل إن كان قد مر بالشيخ محمد؟ قيل له : نعم فقال : غيره علينا .

ثم أن الرجل لازم الشيخ في جميع مجالسه العلمية كما لازم من بعده إبنيه الشيخين عبد الله وعمر. إلى أن توفاه الله على أحسن حال، وكان من العباد الصلحاء رحمه الله تعالى وقد أدركت ذلك الرجل وعرفت سيرته الحسنة واحترام العلماء له رحمه الله .

هربه إلى عنيزة :

لما اشتد الخلاف بينه وبين الأمير حسن المهنا أمير القصيم في زمنه جاءه من أنذره أن الأمير وأعوانه سيفتكون به أو يقتلوه،

وكان ذلك في شدة الحر في يوم قائض، فهرب رحمه الله واختفى بالنخيل وشجر الأثل المتصل من طرف بريدة الغربي المعروف بالبوطة، متجهاً مع بطانة الصباخ[1]، ومشى معها إلى أن وصل منتهاها من جهة عنيزة متجهاً إلى عنيزة .

ولما أقبل على الوادي قابلة حمّال يدعى عبد العزيز بن حسون، فلما رأى الشيخ وحده يمشي راجلا في الرمضاء وشدة الحر انزعج، وأناخ راحلته، وقال للشيخ : تفضل إركب وسأعود معك. فقال له الشيخ : هل معك ماء ؟ قال : نعم وكان العطش قد بلغ منه مبلغاً فسقاه من الماء الذي معه، ثم قال له الشيخ : يا بني ما رأيتك ولا رأيتني. «أي لا تخبر عني أحداً ولن أخبر عنك أحداً بأنك سقيتني أو رأيتني، لأن الأمير لو علم أن الجمّال قد رآه فتك به» .

ولما سار الشيخ متجها إلى الوادي، وذهب الجمال متجها إلى بريدة، قابل الجمال فارس يدعى الغلث من خدم حسن المهنا، كان لاحقاً بالشيخ يريد الفتك به، فسأل الفارس الجمال : هل رأيت الشيخ محمد بن سليم؟ فقال الجمال نعم رأيته. قال: أين

(١) طريق معروف عند أهل بريده غرب نخيل الصباخ .

رأيته؟ قال : رأيته يدخل عنيزة والآن يمكن أنه قد شرب عشر قهاوي عند أهل عنيزة. قصده بذلك صده عن اللحاق بالشيخ ولفت نظره إلى تطلع أهل عنيزة لمجيئه وفرحهم به فما كان من الفارس إلا أن صدق كلام الجمال وعاد من حيث أتى وأعمى الله بصيرته. وإلا فليس بينه وبين الشيخ شيء .

ولما إنحدر الشيخ إلى الوادي اتجه نحو مزارع الروغاني التابعة لعنيزة فوجد أن جماعة المسجد قد صلوا الظهر، فقصد بركة الماء في بستان عبد الله بن يحيى وتوضأ وصلى الظهر فرآه عبد الله بن يحيى من بعد وهو جالس في مصلاه فلم يعرفه لبعده عنه، ولأنه لا يخطر بباله أن الشيخ يأتي في مثل هذا الوقت راجلا وحده، فقال ابن يحيى لأحد عماله : إذهب إلى ذلك الرجل، وادعه إلى منزلنا لتناول القهوة إكراماً منه لرجل عابر سبيل ولم يكن قد عرفه وابن يحيى رجل كريم مضياف يكرم كل من يمر به، كعادة كرماء أهل الجزيرة العربية، فلما قرب العامل من الشيخ عرفه، فعاد مسرعاً إلى عبد الله بن يحيى ولم يخاطب الشيخ فقال : هذا الشيخ محمد بن سليم فاذهب إليه أنت فأنكر عليه ابن يحيى قوله وقال : هل يعقل بأن الشيخ محمد يأتي راجلا وحده في هذه القائلة وشدة الحر؟ فما كان من العامل إلا أن حلف بأنه الشيخ محمد وأنه يعرفه معرفة تامة، وقد سبق أن خاصم عنده في بريده فصدقه بن يحيى وذهب

إلى الشيخ بنفسه، وظن ابن يحيى أن مجيء الشخي بهذه الصفة وراءة أمر فلما وصل إلى الشيخ عانقه معانقة حارة وبادره بقوله : سلمت وخاب طلابك. ثم دعاه إلى منزله وأكرمه غاية الاكرام، ثم إنه أمر أهله بالاستعداد لعلم وليمة كبيرة للشيخ، وكان عنده عدد من العمال والخدم فأمر بعضهم بذبح الغنم التي أمر بها وأمر أحدهم أن يركب حصاناً كان عنده في البستان، ويذهب إلى أمير عنيزة في وقته زامل السليم وأعيان عنيزة، وعلى رأسهم الوجيه محمد العبد الرحمن البسام الذي يلقب عم العمومة، كما أمره بأن يذهب إلى قاضي عنيزة الشيخ علي بن محمد آل راشد وكبار طلبة العلم فيها .

ويدعو الجميع للحضور إلى بستانه للسلام على الشيخ وتناول طعام العشاء معه على المائدة الكبيرة التي أعدها في الحال، فما كان منهم جميعاً إلا أن لبوا الطلب وحضروا بمن فيهم الأمير زامل ومحمد ابن بسام والقاضي الشيخ علي المحمد آل راشد وكانت لابن بسام، كلمته النافذة بين جميع أهالي عنيزة، فطلب من عبد الله بن يحيى أن يسمح له بأن يكون الشيخ في ضيافته، ولما كان الشيخ في حاجة إلى الحماية ولما يعرفه من مكانة ابن بسام وأنه لن ينال بسوء ما دام في ضيافته فقد اتفق مع عبد الله بن يحيى بعد إقناع بن يحيى بأن يكون في ضيافة ابن بسام، ولما انتهى الجميع من

تناول طعام العشاء على مائدة بن يحيى توجهوا جميعاً إلى عنيزة فجمع ابن بسام وجهاء أهالي عنيزة وطلبة العلم فيها، وقال : هذا الشيخ محمد بن سليم قد جاء إليكم هارباً من بلده ولاجئاً عندكم فاحرصوا على إكرامه .

وقد بقي رحمه الله مدة تقارب الخمس سنوات، وهو مكرم معزز في عنيزة من الجميع، وقد توافد عليه طلبة العلم من جميع أطراف القصيم، وعمرت مجالسه بالعلم في عنيزة ليلا ونهاراً، ونفع الله به خلقاً كثيراً، وقد بلغني أنه تمضى السنة وهو في دعوات مستمرة للعشاء والغداء عند أهالي عنيزة فجزاهم الله خير الجزاء على ما صنعوه معه .

وفي عنيزة تزوج أم ولده بعد الرحمن. والذي بقي من ذريته في عنيزة إلى لآن، ومنهم إبراهيم بن عبد الرحمن ومحمد الذي انتقل فيما بعد إلى بريدة وعبد الله وسليمان الثاني وصالح، أما عبد العزيز وعبد الكريم وسليمان الأول فقد انتقلوا إلى بريدة عند أعمامهم المشائخ وبقوا فيها، ولا زال حتى الآن في عنيزة بقية من ذرية عبد الرحمن بن الشيخ محمد .

عودته إلى بريدة :

بعد أن قضى الشيخ قرابة خمس سنوات في عنيزة لم يستقر

القضاء خلالها في بريدة على رجل معين، فكلما عينوا قاضياً لم يوفق، وتعب واستقال.

ثم إن الأمير حسن المهنا جمع أعيان بريدة واستشارهم فيمن يصلح للقضاء فكل أبدى رأيا ولكنه لم يقبل احداً ممن رشحوا حتى قال علي الرشودي والد فهد العلي أيها الأمير أعرف لك شيخاً ممتازاً قال الأمير : ومن هو ؟ قال الرشودي : الشيخ فلان في بغداد. فلما سمع الأمير كلام الرشودي بكى وقال يا الرشودي تبيني أغير عقائد أهل القصيم بشيخ أجيبه من بغداد على شان هوى نفسي ؟؟ شيخكم الشيخ محمد بن عبد الله بن سليم. لكن غداً يركب خمسة عشر نفر من أعيان الجماعة وخمسة عشر نفر من آل أبي الخيل الأمراء ويذهبون للشيخ محمد بن سليم في عنيزة ويقنعونه بالعودة إلى بريدة، فذهبوا ونزلوا على الشيخ في عنيزة وسلموه رسالة من الأمير حسن يستضيه فيها، ويطلب منه العودة فقال الشيخ محمد أن ضيف مكرم عند أهل عنيزة ولا يمكن السفر من عنيزة إلا إذا سمحوا لي بذلك. ثم إنه ذهب إلى الأمير زامل ومحمد بن بسام وأخبرهما، بكتاب حسن فسمحا له بالسفر، فجزى الله كل من أكرم الشيخ محمداً خير الجزاء، وبارك الله في عقبهم ووفقهم لكل خير .

واستئذن الشيخ محمد لأمير عنيزة وجماعته بالعودة لبريدة

هو من باب المجاملة، ولا كما ظن من توهم بأنه يرغب تولي قضاء عنيزة .

ولما عاد إلى بريدة استمر في القضاء وبقي مكرماً عند حسن المهنا حتى انتهت إمارة حسن عام ١٣٠٨هـ .

وفي ولاية محمد العبد الله بن رشيد حصل للشيخ أذى كثير من بعض الأعداء، ووشوا به إلى محمد بن رشيد، وقد استدعاه إلى حائل بقصد تأنيبه وإهانته، ولكن الله الذي ينصر أولياءه جعل تلك الدعوة بعكس ما أراد محمد بن رشيد وأعداء الشيخ، فإنه لما دعى بالشيخ ركب معه ما يقرب من ثلاثين رجلا من كبار طلبة العلم والعلماء في بريدة ووجهائها، ولما صار على بعد ساعة للراكب عن حائل نزل للراحة والمبيت حيث يتمكن في الصباح الباكر من النزول في ضيافة الأمير محمد بن رشد على أو جلسته كعادة حكام ذلك الوقت الذين يستقبلون الوفود في أول الصباح، وقد جلس الشيخ في وسط الطلبة كالقمر تحيط به الهالة وأخذوا يقرؤون وهو يشرح لهم مما وهبه الله من العلم، فحصل آية عجيبة وحكاية غريبة، فإن أحد المقدمين عند الأمير محمد بن رشيد من ندمائه ويدعى فجحان الفراوي، كان له ناقة مع الرعية التي تسرح، ولما جاءت الرعية التي تغدو صباحاً وتعود مساء، حضر لتسليم ناقته

فلم يجدها مع الإبل. فسأل الراعي عنها فقال : هي مغ الإبل، فبحثوا عنها فلم يجدوها مع الابل. فقال فجحان : للراعي : ما آخر عهدك بها؟ قال : في مكان كذا ووصف له نفس المكان الذي نزل فيه الشيخ محمد ورفقته فما كان من فجحان إلا أن ركب مطية وأسرع للبحث عن ناقته، فلما قرب من الشيخ ورفقته أناخ راحلته وعقلها، وأتى إليهم ليسألهم عن ناقته، ولم يعرفهم. ولما سلم وجلس وسمع الدرسَ وكلام الشيخ نسي ناقته وأمرها، ولأن قلبه لما سمع من القرآن والحديث والتفسير وشرح الشيخ، وغربت الشمس وأراد الانصراف ، فطلب منه الشيخ أن يتناول معهم طعام العشاء فوافق، ولما انتهى من ذلك عاد إلى حائل دون البحث عن ناقته، وكأن الله قد ساقه لمصلحة الشيخ ورفقته نصرة لهم، ولما وصل إلى حائل قصد قصر الأمير محمد بن رشيد، وكان مقدماً عنده، فطلب مقابلته فقيل له إنه قد دخل عند النساء فقال لا بد من مقابلته لأمر هام فأخبر الخدم الأمير بإلحاحه فظن في الأمر شيئاً مهماً، فدعا به ولما رآه قال فجحان : بصوت عال : الله وامانه ما تضر الشيخ ابن سليم والخطباء الذين معه يقوم لك سعد. فقال الأمير ماذا تقول : فأعاد عليه ما قال أولا. فقال الأمير : من أي جئت؟ قال : جئت من عندهم وهم في مكان كذا، ووالله إن هؤلاء لا يريدون الدنيا، وإنما يريدون الآخرة، فإياك وأذاهم، فما

كان من الأمير إلا أن تغير موقفه نحو الشيخ ورفقته، فلما أصبح دعى برئيس الحاشية وأمره أن يخبره إذا وصل الشيخ كما أمره أن يهيىء له سكناً فسيحاً وفرشاً طيبة وأن يكرمه غاية الإكرام، وكانت التعليمات السابقة بخلاف هذا فلما وصل الشيخ قابلة الأمير في منتصف الطريق بين المجلس والباب، واستقبله استقبالا طيباً خلاف ما كان يظن الناس، فعجب من ذلك الأمراء والحاشية، لأنهم كانوا ينتظرون من الأمير الفتك بالشيخ فما الذي غير موقفه! وفي الحقيقة أنه تأثر بكلام فجحان الفراوي ــ فجزاه الله خيراً ــ ولما جلس الشيخ في مجلس الأمير عن يمينه حضر أحد كبار طلبة العلم في حائل ويدعى الشيخ عبد الله الجباره وهو من المحبين لآل سليم، فسلم على الأمير واستأذنه بالسلام على الشيخ، فأذن له ثم قال بصوت عال : أرجوك تسمح لي بدعوة الشيخ محمد بن سليم لتناول طعام العشاء. فقال ابن رشيد : أنت تبي تعزم الشيخ محمد؟ ــ كالمحتقر له ــ قال عبد الله الجباره : نعم أبي أعزم ضيفك الشيخ محمد بن سليم وقالها بصوت عال يسمعه كل من في المجلس، فردها الأمير مرة ثانية، وكررها عبد الله الجبارة فقال الأمير الشيخ اليوم عندي وباكر عند عبد العزيز المتعب ــ ولي عهده ــ وبعده عند حمو د العبيد، وهو من كبارهم وبعده عند فلان وبعده عند فلان حتى عد ستة أو سبعة من كبار الرشد ثم قال اليوم الفلاني عندك

يا عبد الله، فشكر له عبد الله الجبارة استجابته لدعوته الشيخ وخرج، أما الذي وشى بالشيخ عند محمد بن رشيد فقد بلغني أنه لما عاد من حائل لدغته حية فمات في الطريق قبل أن يصل أهله فسبحان الذي بيده تصريف الأمور يعز من يشاء ويذل من يشاء والعاقبة للمتقين .

وقد عاد الشيخ مكرماً معززاً بخلاف ما ظن أهل الأهواء والأغراض فلله الحمد والمنة على ذلك .

ومما قاله الشيخ صالح بن سليم يمتدحه في أبيات :

وجاء لنا نصر من الله بعدما
بدى الظن ظن السوء من كل ملحد
على يد مأمون السريرة من غدا
يسمى بشيخ المسلمين محمد
أخو الحلم والتقوى مع العلم والحجي
فلا زال يعلو سامياً فوق فرقد
يقضي بتدريس العلوم نهاره
مجداً ويحيى ليله بالتهجد
ويحمي حمى الإسلام جهراً وأهله
إذا سامهم خسفاً شديد التوعد

اليس الذي قد قام لله وانتضى
من العزم عضباً في زمان منكد
فقام قيام الليث في عزم باسل
يرى الموت فخراً في حسام مهند
ولم يثنه في الله لومة لائم
ولا وهنت منه القوى للتهدد
به أيد الله الهدى وانمحى الردى
وعاد العدى واهي ظهور واعضد

سفره إلى النبهانية :

بعد وقعة الصريف بين مجموعة الامام عبد الرحمن الفيصل، وهم مبارك بن صباح وآل مهنا وسعدون المنتفق وسلطان الدويش وبين عبد العزيز المتعب بن رشيد، وذلك عام ١٣١٨هـ استعاد عبد العزيز بن رشيد بريدة وسائر بلدان القصيم التي خرجت عن طاعته، وكان للشيخ محمد رحمه الله يد في خروج بريدة وبلدان القصيم عن طاعة عبد العزيز بن رشيد مناصرة للإمام عبد الرحمن الفيصل، وقد أخبر الوشاة ابن رشيد بذلك فحقد على الشيخ ورغب إبعاده عن بريدة، فخيره بين قصيباء أو النبهانية لوجود وباء الحمى في قصيبا، ولجفاء أهل النبهانية، فهم في ذلك الوقت في

جهل وقصده بذلك نكاية الشيخ وإهانته، وقد أراد الله سعادة أهل النبهانية، فرغبها الشيخ وكانوا يزرعون الدخان ولا يعرفون من أمور الدين إلا القليل، ولكن لحسن حظهم ولما أراده الله لهم من التوفيق والهداية على يد هذا الشيخ اختار السفر إلى النبهانية.

ولما أراد السفر إليها وعلم الناس بذلك صحبه عدد من أهالي بريدة، وكان من بينهم إثنا عشر فارساً من آل الصقعبي الشجعان المغاوير على رأسهم حامل علم بريدة فهد السليمان الصقعبي وعدد من أولاده وأحفاده. وكان لا يمر بقرية إلا وخرج إليه أهلها يستقبلونه ويسلمون عليه ويكرمونه ويرحبون به، وقد مر فيما مر به من البلدان بقصر ابن عقيل فأكرموه. وأحسنوا ضيافته وقال له الأمير محمد ابن عقيل : إصبر أيها الشيخ فرد عليه الشيخ قائلا سنصبر ولكن نهاية حكم آل رشيد قريبة لأن أعمالهم السيئة وظلمهم للناس ستكون سبباً في زوال ملكهم، فكان الأمر كما قال رحمه الله .

وللشيخ محمد بن سليم رحمه الله أسوة بالامام أحمد بن حنبل والإمام الشافعي. وشيخ الاسلام أحمد بن تيمية، وتلميذه ابن القيم، وشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب وغيرهم من أكابر العلماء الذين أوذوا في الله فنصرهم الله على أعدائهم رحمه الله تعالى، والموعد عند الله سبحانه وتعالى يوم القيامة .

ومن أكثر ما أخذ عليه عبد العزيز بن رشيد وسبب إبعاده عن بريدة مسقط رأسه إلى النبهانية إقامته وليمة كبيرة للإمام عبد الرحمن الفيصل حين وصوله بريدة مع صالح الحسن المهنا ومبارك الصباح وسعدون المنتفق عام ١٣١٨هـ سنة الصريف. ولما وصل إلى النبهانية استقبله أهلها استقبالا عظيماً ورحبوا به ترحيباً منقطع النظير، وكان على رأسهم الأمير الجليل أمير النبهانية يحيى المحمد اليحيى فقد جمع الأمير يحيى المحمد اليحيى جماعته وقال لهم : هذا الشيخ محمد بن سليم وقد بعثه ابن رشيد إليكم بقصد إهانته، ولكنني أخبركم أنه من أسمع الشيخ كلمة سوء أو عمل أي عمل يغضب الشيخ فإني سأنتقم منه. فهداهم الله واستقامت أحوالهم، وصاروا يحضرون مجالس الشيخ ويستمعون لوعظه وإرشاده، حتى صاروا من أحسن أهل بلدان القصيم هداية وتقوى، وتركوا جميع العادات السيئة التي كانت قد تفشت بينهم بسبب الجهل، وصار منهم طلبة علم كبار ولازموا مجالس الشيخ وانتفعوا بها وأكرموه إكراماً تاماً .

ومن أشهر الأسر التي أكرمته الأمراء آل يحيى وعلى رأسهم الأمير يحيى المحمد وابنه عبد الله اليحيى وآل طاسان وعلى رأسهم صالح البراهيم الطاسان وآل جارد وآل حمدان وآل سعيد وآل كريديس وغيرهم فجزاهم الله خير الجزاء وبارك في عقبهم .

ولقد جاءت امرأة من أهل النبهانية فقال : ليس عندي ما أكرم به الشيخ، ولكني سأكنس طريقه من بيته إلى المسجد، فكانت تقمه كل يوم فجزاها لله أحسن الجزاء وأثابها على إكرامها لهذا العالم، فمن كان مع الله كان الله معه، وإلا فكيف يعامل منفي بهذه المعاملة الحسنة، مع خوف الأهالي من بطش ابن رشيد بهم !! ولا شك أن العالم كالغيث حيث نزل بأرض ازدهرت وأنبتت .

ولما استقر في النبهانية تبعه عدد من طلبة العلم والمحبين للانتفاع بعلمه وزيارته وإيناسه، فكان أول من وصل إليه بعد إبنه الشيخ عمر وسليمان الوهيبي، الشيخ عبد العزيز بن الشيخ عبد الله بن فدا، ولما طرق عليه الباب وقال السلام عليكم، ورد الشيخ ــ رحمه الله ــ عليه السلام وهو لا يعلم من هو. قال الشيخ : أنًا بأرضك السلام. لأن أهل النبهانية لم يكونوا يعرفون هذه الطريقة في الاستئذان ولكنهم عرفوها فيما بعد ببركة الشيخ وعلمه. ثم قال الشيخ لأبنه الشيخ عمر : قم يا عمر فافتح، هذا أحد الإخوان قد لحق بنا، ولما فتح ودخل الشيخ عبد العزيز رحب به الشيخ محمد أشد ترحيب، وفرح به لأنه أول وافد، ثم قال الشيخ لابنه عمر : إذهب إلى الأمير يحيى المحمد اليحيى وقل له : يقول لك الوالد عندنا ضيف عزيز، ونريد له ذبيحة فجاء الأمير إلى الشيخ

بنفسه وقال : يا شيخ ليس في النبهانية ذبائح. قال له الشيخ إبحث لنا فإن لم تجد فإبحث لنا عن صيد .

فما كان من الأمير إلا أن أمر خادمه بأن يأخذ بندقيته، وكان ماهراً في الرماية والصيد بقصد البحث عن صيد سمين يصلح لهذه المناسبة .

ولما خرج من منزل الشيخ متجها نحو الوادي الذي في الجنوب الغربي من النبهانية على بعد نصف كيلو من منزل الشيخ إذا هو باثنين من البدن ممسك قرن أحدهما بقرن الآخر وهي المعروفة بالوعل أو الوضيحي عند العامة، وكل واحد منها يجر الآخر لا يستطيع الخلاص منه ويبدو أن أحدهما أراد أن يحتك بالآخر فاشتبكا لما أراده الله رزقاً وكرامة لهذا الشيخ في وقت الحاجة. فذبحهما جميعاً وحمل أحدهما إلى منزل الشيخ ولما جاء مسرعاً قال له الشيخ : يالله قسمة خير كأنك أسرعت ظننا من الشيخ أنه لم يحصل على شيء فقال الأمير للشيخ : أبشر بالخير أيها الشيخ وهذا رزق الله لك. صدنا بدنين كبيرين هذا أحدهما وسنحضر الآخر فقال الشيخ : يكفينا أحدهما واذهب بالآخر لأهلك.

ولا شك أن هذه كرامة أكرم الله بها هذا الشيخ وهو في أشد الحاجة.

وقد بقى الشيخ في النبهانية مكرماً معززاً من الجميع وخاصة الأمير يحيى المحمد وإبنه، وقد نال الأمير يحيى أذى من ابن رشيد بسبب إكرامه للشيخ، وكان الأمير يحيى وإبنه الأمير عبد الله بن يحيى يلازمان الشيخ في جميع أوقاته ولم يثنه أذى ابن رشيد عن إكرام الشيخ، فبارك الله في عمره رحمه الله فقد عمر عبد الله بن يحيى زمناً طويلاً.

ولما استقر الشيخ في النبهانية صار يزور بعض الجهات القريبة من النبهانية وخاصة قصر ابن عقيل لأن آل عقيل أهل محبة وولاء للشيخ فهم يكرمونه ويرغبون في زيارته لهم، وقد انتفعوا بعلمه وكافة القرى المجاورة للنبهانية، وفي النبهانية تفرغ لتعليم إبنه الشيخ عمر فنفعه الله به نفعاً عظيماً وقد بقي الشيخ في النبهانية حتى دخل الملك عبد العزيز بريدة عام ١٣٢٢هـ والأمير يحيى أمير النبهانية حين نفي اليها الشيخ محمد هو جد الأمير الحالي للنبهانية محمد بن عبد الله بن يحيى، وهو أمير شهم كريم النفس سخي، يحب الخير لبلده، فقد زرت النبهانية عدة مرات عندما كنت مسئولا عن التعليم في القصيم، فكان يهتم بشؤون المدرسة والمدرسين ومصالح بلده، وهو رجل صالح في نفسه ولا شك أن دعوة الشيخ محمد لوالده وجده أدركته، بارك الله فيه ووفقه ورحم جده ووالده على إكرامهما للشيخ .

ومن محبة الناس للشيخ محمد وأبنائه نذكر قصة ندلل بها على ذلك حدثني الأخ في الله حمد العلي المقبل إمام أحد مساجد البدائع الوسطى والمدرس بمدرستها قال :

لما سافر الشيخ محمد بن سليم من بريدة إلى النبهانية تبعه إبنه الشيخ عمر وبرفقته سليمان العبد الله الوهيبي مؤذن مسجد الشيخ عمر الذي هو مسجد عودة في بريدة، وقد سارا مختفيين عن أعين أعوان ابن رشيد وسارا على أقدامهما من قرية إلى قرية مساء ثم أدركهما الليل وقد وصلا البدائع ليلاً فنزل مطر في ليلة باردة وهما يسيران، فما كان منهما إلا أن طرق باب أحد القصور في البدائع، فقال لهما صاحب القصر : أنا لا أعرفكما وعلينا خوف من اللصوص فلم يفتح لهما .

ثم طرقا قصراً آخر فقال لهما مثل ما قال الأول، ثم طرقا قصراً ثالثاً فاعتذر عن إدخالهما، ولكنه دلهما على قصر من سيفتح لهما، فقال لهما : ذلك قصر أبي يوسف العريني فاقصداه فربما يعرفكما ويفتح لكما. فقصداه وكان يوسف من تلامذة الشيخ محمد ومن المحبين له ووالده أبو يوسف من المحبين للشيخ محمد ويوسف يعرف صوت الشيخ عمر فطرقا عليه الباب، فتكلم وقال : من طارق الليل ؟

فقال سليمان الوهيبي : هذا الشيخ عمر بن سليم ورفيقه سليمان الوهيبي : فقال يوسف العريني : خل الشيخ عمر يتكلم لأني أعرف صوته فلما تكلم الشيخ عمر عرف صوته، ففتح لهما وبادر بإشعال النار لتدفئتهما، وأخذ ملابسهما التي قد بللت من المطر وجففها على النار وعمل لهما القهوة والحليب والشاي، وقدم لهما ما تيسر من الطعام الحاضر، ولما كان بعد قليل حضر أبو يوسف لصلاة التهجد ليلا كعادته رحمه الله، وكان إبنه قد دخل للبيت لإحضار شيء منه، فوجد أبو يوسف الشيخ ورفيقه، وسلما عليه ولكنه مع الظلام لم يعرفها وهما لم يقدما له أنفسهما، فلما حضر إبنه يوسف قال : يا والدي أرأيت هذه الليلة المباركة التي جاء فيها الشيخ عمر ورفيقه؟ فقال أبو يوسف : الشيخ عمر؟ ـــ كالمستفهم ـــ أين هو؟ قال إبنه : هو هذا الذي بجانبك. فقام أبو يوسف فزعاً وعانق الشيخ عمر معانقة حارة، وصار يبكي ويضمه إلى صدره ويقبله، ثم أجلسه في مكانه وكان أبو يوسف يكبر الشيخ بما يزيد عن ثلاثين سنة ولكنه «تقديراً للعلم والعلماء وإكرامهم ممن يعرف لهم ذلك فجزاه الله أحسن الجزاء وبارك في عقبه» .

وكانوا من الخوف قبل أمن البلاد يصلون الفجر داخل قصورهم، فلما حضرت صلاة الصبح قدموا الشيخ عمر ليصلي

بهم إعترافاً بمكانته العلمية وتقديراً له ولوالده الشيخ محمد، ولما صلوا الصبح وقدموا لهم الفطور من أطيب الطعام وألذه، قال الشيخ : يا أبا يوسف نستأذن قبل أن يرانا أحد عندكم فيلحقكم أذى بسببنا. فقال أبو يوسف : إنتظر نحضر لكم الدواب ونرسل الأولاد معكم إلى النبهانية. فأصر الشيخ عمر على عدم تكليفهم وخوفاً من أن ينالهم بسببه أذى فقال أبو يوسف : إسمع يا شيخ عمر والله لو يطلع ابن رشيد مع هذا الوادي ويقطع نخلي ويدفن بيري ما تروح من عندي راجلاً ..

فأحضر لهما الدواب وأرسل أبناءه برفقتهم إلى النبهانية فجزاه الله خير الجزاء. إنتهى، وهكذا نرى تقدير العلماء في مثل هذه الظروف الحالكة الشديدة، فوالده منفي وهو وإخوانه مضطهدون من ابن رشيد وأعوانه، ويعامل بمثل هذه المعاملة من عارفي فضله! والحمد لله على إعلاء كلمة الحق وأهلها.

ومع مكانة الشيخ محمد العلمية والاجتماعية والسياسية فقد تعرض لكثير من الأذى، ولكنه قد صبر في ذات لله تعالى، حتى أعاد الله هذه الدولة العادلة المحكمة لشريعة الله وسنة رسوله، وكل هدف الشيخ وقصده من المطالبة بقيام الدولة السعودية أملا في أن تقيم حدود الله وتحكم شريعته على طريقة أسلافها، ووفاء لهذا البيت

السعودي الكريم الذي ناصر دعوة الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، وتضامناً مع مشائخه من أئمة الدعوة، لإيمانه واعتقاده بأنهم خير من يحمل هذه الأمانة، والحمد لله الذي أقر عينه بولاية الملك عبد العزيز التي أدركها بضع سنوات ورأى فيها العدل وتحكيم الشرع وإزاله المنكرات التي كانت قد تفشت قبل ولاية الملك عبد العزيز، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يبارك في عقب الملك عبد العزيز وأن يولي على هذه الأمة خيارهم، وأن يوفقهم للسير على نهج الآباء والأجداد، الذين نصروا راية الإسلام، وحكموا شريعة نبيه، وأعزوا العلماء ووقروهم .

إكرام الملك عبد العزيز للشيخ محمد :

كان الملك عبد العزيز رحمه الله يكرمه ويجله ويأخذ برأيه، ولم يعين قاضياً في القصيم أو يعزله إلا بعد أخذ رأي الشيخ محمد رحمه الله حتى توفي الشيخ محمد .

كما كان الملك عبد العزيز إذا قدم بريدة يذهب إليه بعد صلاة الجمعة مباشرة في منزله ويأمر أمراءه بالاستمرار بزيارة الشيخ محمد في منزله إذا غاب كل جمعة على الأقل .

وبعد وفاة الشيخ محمد استمرت الزيارة لمنزل الشيخ عمر من الملك عبد العزيز وأمرائه في بريدة بعد صلاة الجمعة إلى أن

توفى الشيخ عمر رحمه الله، وعندما كبر الشيخ محمد شعر الملك عبد العزيز رحمه الله بأن بعض الأهالي يريدون أن يطلبوا منه إعفاءه عن القضاء لكبر سنه، فلما حضروا في مجلس الملك عبد العزيز في بريدة سبقهم في الكلام وقال :

والله يا أهل بريدة إني لأغبطكم على شجرتين أود لو أنهما عندي في الرياض قالوا : وما هما ؟ قال : الأولى شجرة آل سليم والثانية شجرة شقراء مبارك وهي من أجود النخل تمراً في القصيم فسكتوا عن موضوع الشيخ وعرفوا أنه لا يريد بحثه وأنه لن يلبي طلبهم .

طلبة العلم ومشايخه :

سبق أن ذكرنا أنه أخذ العلم رحمه الله عن أجلة من العلماء ومنهم الشيخ قرناس بن عبد الرحمن الذي كان قاضياً في بريدة وعن الشيخ سليمان بن علي المقبل الذي أخذ العلم عن الشيخ حسن الشطي مفتي الحنابلة بدمشق كما أخذ العلم عن الشيخ العلامة مفتي الديار النجدية في زمنه الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبي بطين، أخذ عنه في القصيم وفي شقراء، ثم إنه رحل إلى الرياض وانقطع لطلب العلم على علامة زمانه الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، وهو الذي قال عن الشيخ محمد العبد الله بن سليم

والشيخ محمد بن عمر بن سليم أخذ العلم اثنان .. الخ. وقد سبق ذكر ذلك في هذا الكتاب[1].

كما أخذ عن الشيخ حمد بن عتيق ولما قدم الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن من مصر أخذ عنه، وكان مشايخه يكرمونه ويحترمونه، لما عرفوا فيه من الفهم والصلاح والمستقبل الزاهر في العلم، فصدقت فراستهم فيه وتحقق ظنهم، وكان موضع تجلتهم واحترامهم، كما كان موضع احترام جميع المنصفين. وكان رحمه الله سيفاً مسلولاً على أهل البغي والظلم والعدوان فكان لكلمته وقع السيف عليهم. وقد حدثني بعض أهل العلم أن الشيخ محمداً رحمه الله إذا تكلم في موضوع بهر السامعين بكلامه حتى لقد سأله بعض خواصه هل هو يحضر مثل هذا البحث قبل الشروع به فقال للسائل : إنه إلهام من الله يحضر في وقت الكلام على الموضوع. وحدثني بذلك الشيخ سليمان العلي المقبل .

وفاؤه لمشايخه :

ومن وفائه لمشايخه أنه أشركهم بثواب ما أوصى به بعد وفاته رحمهم الله تعالى. كما أنه كان كثير الدعاء لهم في كل وقت ومناسبة

---

(١) أنظر ص (٢٢)

شأنه بذلك شأن السلف الصالح، وكان يراسلهم ويحمل السلام لهم مع كل مسافر في حياتهم ويدعو لهم بعد وفاتهم .

عبــادته :

كان رحمه الله يقضي ليله ونهاره إلا قليلاً للراحة بالتعليم وتلاوة القرآن والعبادة حتى لقد قال لي من أدركه من أقربائه وتلامذته إنه ليس في جامع بريدة بقعة لم يصل فيها الشيخ محمد. وكان إذا فرغ من صلاة العشاء الآخرة يصلي ركعتين في أول سارية تلي مكان مصلاه، ثم يستمر يخطو إلى السارية التي تليها، فيصلي فيها ركعتين ثم يخرج من الباب الغربي للمسجد الجامع إلى منزله. وكان كثير التهجد في الليل فلا ينام إلا قليلاً، ثم يخرج إلى المسجد يتهجد إلى قرب طلوع الفجر، فإذا قرب الفجر أوتر، ثم إذا طلع الفجر صلى ركعتي الفجر، فإذا اجتمع الناس أمر بإقامة صلاة الفجر ولا يخرج من المسجد حتى تطلع الشمس ويصلي ركعتين .

كراماتـه :

وله كرامات كثيرة أكرمه الله بها :

فمنها أنه قد ترصد له بعض الأعداء عدة مرات فيمر بهم وهم ينتظرونه للفتك به فإذا مر بهم استمر يقرأ القرآن كعادته أو

يذكر الله فيرجف بهم ويرتبكون فلا ينالونه بسوء وربما فطن لهم فسلم عليهم، وهو في طريقه فلا يزيدهم ذلك إلا إضطراباً وخوفاً منه وليس بيده سلاح .

كما حدثني بعض أهل بيته أنه كان عندهم قطة إذا تأخر أحد منهم عن القيام في الليل كالعادة صارت تهمزه بيدها لتوقظه وكانوا يطلقون عليها الهمازه لعملها هذا ولا شك أن ذلك كرامة لأهل هذا البيت الصلحاء ويقول بعض أهل هذا البيت إنه إذا تأخر عن موعد قيامه في آخر الليل يسمع أحداً يوقظه ويناديه باسمه حتى يستيقظ .

استمر رحمه الله على هذه الحال حتى توفي رحمه الله في آخر شهر القعدة عام ١٣٢٦هـ وقد ذكر بعض المؤرخين أن وفاته عام ١٣٢٤هـ ولست أرجح ذلك، لأن أبناءه لم يسموا أبناءهم عليه إلا بعد هذا التاريخ فابراهيم العبد الرحمن وابراهيم الصالح قد ولدا بعد عام ١٣٢٤هـ وهذا من الأدلة الواضحة على وفاته بعد هذا التاريخ وقد سمي كل من صالح وعبد الرحمن أبناءهم محمد بن صالح ومحمد بن عبد الرحمن بعد وفاته حرصاً منهما على التسمية عليه. كما أن هناك أمور قد جرت في بريدة وقد حضرها بعد هذا التاريخ ولأن هذا هو المشهور عند أحفاده وأسرته .

خلف رحمه الله عدة أولاد أشهرهم العلامة الشيخ عبد الله بن محمد بن سليم ثم العلامة الشيخ عمر بن سليم ثم الشيخ صالح ثم عبد الرحمن ولكل منهم أبناء وأحفاد أما الشيخ عبد الله فقد انقطعت ذريته الذكور بوافاة ابنه محمد رحمهم الله جميعا وبارك في عقبهم .

٣ - الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الله بن سليم

العالم العلامة والحبر البحر الفهامة شيخ المشايخ والعلماء وقدوة الزهاد والفضلاء هو أبو محمد الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الله بن حمد بن محمد بن صالح بن حمد بن محمد بن سليم. وقد تقدم نسبه في نسب والده .

ولد عام ١٢٨٥هـ وتربى بين أحضان والده العلامة الشيخ محمد بن عبد الله بن سليم، وتخلق بأخلاقه ولازمه في جميع أوقاته ورافقه عندما ذهب إلى عنيزة، وانتفع به كثيراً. كما لازم خاله العلامة الشيخ محمد بن عمر بن سليم وأخذ عنه وخلفه على مسجده لما توفي، وجلس للتدريس في مسجد خاله الشيخ محمد بن عمر بعد وفاته، مع ملازمته لوالده حتى برع في جميع العلوم، وصار إماماً .

كما أخذ عن العلامة الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف بالرياض. وكان آية في الفهم والحفظ والورع والتقوى والعبادة، ولم يكن ميالاً إلى الشهرة والرئاسة غير أنها كانت تلاحقه رغم ابتعاده عنها وهروبه منها، فقد عين قاضياً في البكيرية وما حولها من البلدان في حياة والده في حوالي ١٣٢٢هـ، وجلس للتدريس في جامعها والتف عليه خلق كثير من جميع بلدان القصيم نحو عشر سنوات، ثم عينه الملك عبد العزيز رئيساً لقضاة القصيم وقاضياً لمدينة بريدة، وكان الملك يأخذ برأيه ويستشيره فيما يتعلق بقضاة وأمراء القصيم كما كان يستشير الشيخ عمر بن محمد بن سليم، وربما استشارهما جميعاً في مجلس واحد أو بخطاب مشترك، ولم يعين قاضياً في القصيم أو يعزله دون أخذ رأيهما أو أحدهما ابتداء من عام ١٣٣١هـ مدة حياتهما .

صفته وشيء من أخلاقه :

كان رحمه الله متوسط القامة عليه الوقار، وله هيبة عظيمة مع تواضعه الشديد، فهو يتواضع للكبير والصغير والمرأة والطفل، ويلاطف الأقرباء ويتحدث معهم ويسألهم عن أحوالهم ويستقصي في ذلك فإذا علم على أحد منهم حاجة إلى شيء بادر في قضائها بقدر إمكانه .

كان رحمه الله قليل الأكل والشرب إلا ما يقيم أوده وكثيراً لذكر لله والتفكر، معرضاً عن أمور الناس وأحوالهم فيما لا يعنيه، قنوعاً بما رزقه الله لا يطلب الدنيا وإن أتته راغمة فرقها .

فقد حدثني فضيلة الشيخ عبد الله بن عبد العزيز بن عبدان رئيس محكمة عنيزة وأحد تلامذة الشيخ عبد الله، قال : كنت يوماً عند الشيخ عبد الله، فدخل عليه رسول من الملك عبد العزيز يحمل كيساً من النقود الفضية فيه ألفا ريال، ووضعه بين يدي الشيخ في منزله، وأخبره بأنه مرسل له من الملك عبد العزيز له شخصياً .

قال الشيخ عبد الله بن عبدان فأمرني الشيخ عبد الله بن سليم بالذهاب إلى عدد من طلبة العلم أدعوهم فحضروا، فكان يعطي الواحد منهم من دون عد بالتقدير، فإذا أعطاه قال له إدع فلاناً وفلاناً، وهكذا استمر يدعو طلبة العلم حتى لم يبق في الكيس إلا قليل وأنا عنده أنظر ماذا يصنع، ثم لف الكيس على ما بقي به ورما به إلي وقال : خذ هذا يا عبد الله. وليست هذه هي الأولى ولا الأخيرة من عمله هذا وإنما ضربنا بها المثل على كرمه وعفته وزهده بالدنيا. وعدم ميله إليها، علماً بأن الألفي ريال في ذلك الوقت تعادل الملايين اليوم، ومع ذلك لم يبق لنفسه منها قليلا

أو كثيراً، وهي إنما بعثت له، ولكنه رأى أن هؤلاء الطلبة أحق منه بها .

ودخلت عليه مرة إمرأة قريبة له ومعها أطفالها فكأنه لاحظ عليها وعلى أطفالها رقة الحال، فما كان منه إلا أن ذهب بنفسه إلى السوق، وأحضر قماشاً للأولاد وقماشاً للمرأة والبنات وأتى به وهو مثقله لضعف قوته رحمه الله. وأخذ شيأً من النقود وسلم الجميع لتلك المرأة وهو يهش ويبش لها خوفاً من أن تجد بذلك حرجاً لأنها لم تعتد ذلك لحسن حالها سابقاً، غير أنها أصابتها حاجة أدركها رحمه الله من نفسه دون أن يقال له ذلك .

وقد شاهدته بنفسي يحمل القماش ويسلمه لها مع النقود وهو يبش لها. ومن تواضعه رحمه الله أن رجلا كان قليل الفهم قد نام في سطح منزله، فنظر إلى القمر وسط الغيم وكأنه يتحرك لسير السحاب، فما كان من الرجل إلا أن ذهب إلى الشيخ في الليل وطرق عليه الباب، فاعتقد الشيخ رحمه الله أن طارق الليل بهذا الوقت له حاجة ملحة ففتح له الباب، ولما رآه قال له ما جاء بك هذا الوقت؟ قال : يا شيخ القمر يسير في السماء بسرعة وقا جئت أخبرك. وكان الرجل منفعلا فقال له الشيخ : يا ابني إذهب إلى فراشك ونم وغط رأسك فإذا قمت من نومك فلن تجده يتحرك بسرعة إن شاء الله .

وكان المرأة توقفه في الشارع فتسأله عما تريد فيقف حتى يرشدها إلى ما سألت عنه .

ومن تواضعه أنه كان كثيراً ما يقول لوالدي : يا سليمان من عدم الرجال صرنا رجالاً كالمستكثر على نفسه أن يكون قاضياً أو مدرساً مع ما هو عليه رحمه الله من العلم والورع والتقوى والعفة، وقد رافق والده إلى عنيزة عندما أقام بها الشيخ محمد في إمارة حسن المهنا، وانتفع بذلك نفعاً عظيماً، وكان جيد الخط وقد كتب بخطه الجميل الشرح الكبير في الفقه، والذي طبع في تسع مجلدات، وحضرت بعض مجالس الشيخ عمر رحمه الله وعدد من الطلبة يقرأون في الشرح الكبير من النسخ المطبوعة، ويقابلونها على نسخة الشيخ عبد الله التي بخطه، وأذكر أن تلك النسخة صارت عند إبنه المرحوم الشيخ محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن سليم، ولا أدري أين ذهبت بعد وفاته إلا أنني أعتقد أنها عند أحد أسباط الشيخ عبد الله بعد وفاة إبنه الشيخ محمد .

مجالسه العلمية :

قلنا فيما سبق أنه جلس للتدريس في مسجد خاله الشيخ محمد بن عمر بعد وفاته، في حياة والده الشيخ محمد بن عبد الله، ثم لما عين قاضياً في البكيرية نحو عشر سنوات قرأ عليه عدد من

أهالي البكيرية والرس والخبراء والبدائع ورياض الخبراء والهلالية والشماسية وبعض أهالي قرى القصيم الأخرى، ولا زالت آثاره في البكيرية حتى الآن، فهناك علماء لا زالوا على قيد الحياة من تلامذته، وهناك عدد كبير من تلاميذ تلامذته في البكيرية وغيرها من البلدان المحيطة بها .

وكان له عدة مجالس للتدريس، أهمها مجلس بعد طلوع الشمس يستمر ثلاث أو أربع ساعات يحضره ما لا يقل عن أربعمائة ما بين طالب ومستمع، وكذلك مجلس بعد الظهر وكلها في الجامع الكبير، إلى أن مرض وعجز عن الجلوس للتدريس والصلاة في المسجد، وكان يوضح للطلاب والمستعمين ما يحتاج إلى شرح وإيضاح، وربما انتهز الفرصة فصار يعلق على قراءة أحد الطلبة أو جملة منها الساعة والساعتين، وربما استمر حتى المجلس وهو يتكلم على تلك الجملة ويشرح معانيها ويغوص في بحورها ولججها مستخرجاً منها كنوز المعاني وثمرات العلم .

وكان في بعض الأحيان إذا صلى المغرب قرأ آية أو حديثاً وتكلم عليه، فربما أذن للعشاء وهو مستمر في كلامه وكأنه يعد الكلام عداً من فصاحته، وطلاقة لسانه، وعذوبة صوته، وكان محبوباً عند الخاص والعام والجميع يحترمونه ويجلونه، لأنهم لا يجدون عليه

مأخذاً يأخذونه عليه، فان حضر عنده الخصمان أنصف بينهما على علم وبصيرة، وإن لقيه أحد ربما سبقه بالسلام عليه وسؤاله عن حاله مع العفة والزهد والورع والتواضع، وربما لقيه الخصمان وهو يمشي في الشارع فيجلس في الشارع على التراب يقضي بينهما .

وقد حصل مرة أن أحد حجاج العراق قتل صاحباً له، فأحضر القاتل وولي المقتول عند الشيخ عبد الله، وكان جالساً على الأرض في أحد الأسواق يقضي بين الناس، والعراقي يظن أنه ذاهب إلى محكمة عليها أبواب وحراس ولها مكاتب وفرش وكتاب، فعندما أجلسهما خادم الإمارة عنده وسألهما عن قضيتهما وحكم بينهما عجب العراقيون من ذلك، وقال أحدهم : هذه القضية تنتهي بدقائق إنها تحتاج عندنا إلى سنة أو سنوات ومحامين ومرافعات ثم التفت العراقي إلى بعض من حوله من السعوديين فقال : «حرام عليكم تخلوا هذا يجلس على الأرض» .

فراسته وعدله :

وكانت له فراسة عظيمة قل أن تخطيء، حدثني والدي رحمه الله قال : كنت عنده يوماً في منزله، فدخل عليه أمير القصيم في زمنه الأمير مبارك بن مبيريك، ولم دخل وسلم عليه جلس بجنب

الشيخ كالعادة، ثم ناول الشيخ خطاباً من الملك عبد العزيز. فلما قرأه الشيخ قال له : تريد تخاصم ؟ قال : نعم. ثم قال للأمير : قم فاجلس مع خصمك وخصمه بدوي من بدو الصحراء قد أضاع بعيراً له ووجد مع إبل الملك عبد العزيز فعرفه وادعاه، فكتب الملك إلى الأمير مبارك أن يجلس مع فلان البدوي عند الشيخ عبد الله بن سليم بخصوص البعير ولا ينفذ ما يحكم به الشيخ لنا أو علينا .

وقد أدعى أمير القصيم أن البعير عليه وسم الملك عبد العزيز وأنه تابع لإبله، وادعي البدوي أنه بعيره لم يهبه لأحد ولم يبعه، وقال الأمير للشيخ : يجب على البدوي إحضار شهود أنه بعيره. فقال الشيخ عبد الله البعير بعير البدوي. قال الأمير : إنه لم يحضر شهوداً! قال الشيخ : يا مبارك مخاطباً أمير القسيم إن عبد العزيز ــ يقصد الملك ــ ولم يأمرك بالحضور مع البدوي من أجل البعير وإنما أمرك بالحضور من أجل أن يعلم الخاص والعام أن عبد العزيز يحكم الشرع على نفسه وماله، ولا يتكبر عنه، ولا يأخذ أموال الناس بغير حق. ولو القصد البعير لأعطاه له دون مخاصمة فافهم ذلك وسلم البعير للبدوي، وأخبر الإمام بما حكمنا به، فعجب الحاضرون من ذلك وصارت حديث المجتمع وهذا ما قصده الملك عبد العزيز رحمه الله .

ولما أخبر الشيخ الأمير مباركاً بالحكم قال له : تعال هنا الآن بجانبي، لأنه وإن كان أمير القصيم لم يسمح له بالجلوس إلا حيث يجلس خصمه .

مكانته عند الملك عبد العزيز :

كانت له مكانة ومنزلة عند الملك عبد العزيز لم تكن لغيره، لأنه يثق به ثقة تامة، ويعرف إخلاصه وحرصه على أمور المسلمين عامة، وإخلاصه له بصفة خاصة، فقد بعثه الملك عبد العزيز هو والشيخ عمر إلى أمراء الاخوان الدويش وابن حميد ومن معهم عام ١٣٤٦هـ وقت خروجهم عن الطاعة للإصلاح بينهم وبينه، ولما وصلا إليهم وأطلعا على رأيهم رجعا بعد أن اقتنعا بعدم جدوى المفاهمة والصلح معهم وأن لهم نزعات يريدون تحقيقها وأشار على الملك عبد العزيز بما رأيا من حالهم .

قوة شخصيته واحترام الملك عبد العزيز له :

حدثني الشيخ سليمان العلي المقبل في بريدة قال : كنت أتجر بالطعام، فأرسل لي أمين مالية بريدة في وقته الشيخ سليمان العبد الكريم الجربوع يطلب مني بعث خمسمائة كيس أرز إلى مكان خارج مدينة بريدة بنحو ثلاث كيلوات يسمي «الشمد»،

وهو مورد معروف فقلت له : لماذا؟ قال : إن الملك عبد العزيز قد واعد الاخوان يطلع لهم هناك وهذا لعشاهم، فعلم الشيخ عبد الله وشقيقه الشيخ عمر بذلك، فذهبا إلى الملك عبد العزيز بقصر بريدة، فتكلم الشيخ عبد الله مع الملك عبد العزيز في الموضوع وألح عليه بعدم الخروج لهم وقال هم يحضرون هنا عندك في القصر ولا تخرج إليهم أنت بنفسك .

وذلك خوفاً من غدرهم بالملك ومما قال الشيخ عبد الله للملك عبد العزيز : أنت لست لنفسك وإنما أنت لجميع المسلمين ولا نقبل منك هذا التفريط بنفسك، فما كان من الملك عبد العزيز إلا أن وافق على رأي الشيخ وعدل عن الخروج .

مرضه ووفاته :

في آخر حياته لازمه المرض وانقطع فترة عن التدريس وربما تخلف عن الصلاة في المسجد، ولكنه إذا أحس من نفسه القدرة خرج للصلاة بالمسجد إلى أن أعجزه المرض، وقد توفي رحمه الله ضحى اليوم الحادي عشر من شهر محرم عام ١٣٥١هـ وخلف إبناً ذكراً هو الشيخ محمد بن عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الله سليم. وقد أفردنا له ترجمة خاصة ولم يقرأ على والده لصغر سنه عند وفاة والده، وقد توفي إبنه الشيخ محمد ولم يخلف ذكوراً، وبوفاة إبنه

محمد انقطعت ذرية الشيخ عبد الله من الذكور وللشيخ عبد الله بنات له منهن أسباط .

كما خلف إبنه الشيخ محمد بنتين له منهن أسباط رحمهما الله وقد حزن الناس لوفاته ولم يتخلف أحد من أهل بريدة وما حولها ممن بلغه خبر وفاته عن الحضور للصلاة عليه وصلى عليه الرجال والنساء والأطفال وصارت بريدة في مأتم عدة أيام رحمه الله وعفى عنه .

وقد رثاه تلميذه الشيخ عبد المحسن بن عبيد بن عبد المحسن بهذه الأبيات :

أعيني جوداً بالدموع الهواطل
ولا تعدا وعد العذول المماطل

فسحا بدمع العين بالله وابكيا
بدمع غزير عاجل غير آجل

على شيخنا شمس البلاد وبدرها
ونجم الهدى السامي جميل الشمائل

هو الشيخ عبد الله نجل محمد
إمام همام فاضل وابن فاضل

فوا أسفا من فقده وفراقه

فمن مثله في الخلق بين القبائل

لقد كان طوداً للعلوم وفاضلا

فثلمته كبرى لدى كل عاقل

فتباً لعين لا تجود بدمعها

على مثل شيخ المسلمين الأماثل

لقد ريعت الأنام طراً بموته

وسالت جفون بالدموع الهواطل

وطارت قلوب المسلمين لفقده

لدى غيبوا في القبر فرد الفضائل

فكلا ترى يبكي وتهمى دموعه

لما حل فيهم من عظيم البلابل

وصلى عليه المسلمون جميعهم

بكل ربا نجد بكل المحافل

سرى نعشه فوق الأنامل مسرعاً

تؤم به الأقوام نحو الجنادل

إلى الله نشكوا ما دهى من مصيبة

وما مسنا من فادحات النوازل

فحمداً على مر القضاء وحلوه

وشكراً لمولانا على كل نازل

صبرنا وسلمنا له الأمر كلـه
على كل حال في الرخا والنوازل
لقد عمنا كرب شديد ومفضع
وقدنا لنا رزء واحدى البلابل
سقى قبره ربي من الروح ديمة
مع العفو والرضوان هتان هاطل
وألحقـه بالسـالـفين على الهدى
على الشرعة الغرا بأعلى المنازل
لقد كان في الدنيا وحيد زمانه
يقيم منـارات الهدى بالدلائـل
مجالسه طابت فعادت بحكمة
مؤيـدة بالله عن كل باطـل
عليها البها والنور كالشمس ساطعاً
مسددة محروسة عن غوائـــل
يقص علينا من رقائق وعظه
كما الصيب الهطال يهمى بوابل
يقـرر توحيـد العبـادة معلنـــاً
ويشرحه بين الورى في المحافل
ويدعو إلى التوحيد لله مخلصاً

يريد الجزا يوم اللقا والتعامل
يدين بقال الله قال رسوله
وقول ذوي التحقيق من كل فاضل
على السنة الغرا يسير بعزمه
ولم يثنه في الله عذل العواذل
وما صده خوف من الخلق أو رجا
لما عندهم من تالد المال عاجل
له همة تأبى الدنية والردي
وتنأى عن الفحشا وقرب الرذائل
كساه البها مولاه أجمل حلة
له هيبة عند الملوك الأماثل
لقد كان بكاء وقد كان خائفاً
وقد كان مأمون الأذى والغوائل
مديماً على بذل النصيحة جهده
على كل حال في الضحى والأصائل
وقد كان في الدنيا لنا خير مؤنس
يرغب في الأخرى وحسن الشمائل
يقص علينا من كلام إلهنا
ومن سنة المختار أسنى الدلائل

يرغبنا قولا وفعلا بجهده
إلى السنة الغراء ورفض الرذائل
ويحكي لنا جل الطرائف آثراً
عن العلماء العاملين الأماثل
إذا قرر التوحيد أطرب من له
فؤاد سليم نوره كالمشاعل
له منطق عذب فصيح مهذب
فسبحان من قد خصه بالفضائل
وإن جاء في التزهيد أبكى بقوله
وزهد في الدنيا وإيثار آجل
وإن مازح الإخوان تقسم أنه
له أسوة بالمصطفى غير مائل
وإن أم في المحراب يتلو كلام من
تقدس عن مثل وعن كل باطل
عرفت يقيناً فضله ومحله
ورتبته في الفضل بين القبائل
له خلق سمح جميل مؤيد
من الله لا يصغى إلى كل عاذل
له سطوة بين الورى بلسانه

يسدده ربي بسرد الدلائـــــل

يعامله أهل الزيغ بالبعد والقلى

ويـرميهم شزراً بقـوس المسائـل

وما قصده جاه ولا مدحة الورى

وما صده ميل إلى كل باطل

شمائلـه جم فلست أعدهـــا

بكل القرى تسمع بها والقبائل

كذا الحضر تلقاها بكل محلة

كذا البدو ترويهاً بكل المحافل

عليـه سلام الله حيـاً وميتـاً

ورحمة ربي علاجلا غير آجل

مع العفو والغفران والفوز والرضا

كذا الروح والريحان يوم التعامل

لوما انقضى قولي توجهت مالكي

سميع الدعاء مسدي جميع الفضائل

يلم لشمل الدين فرعاً وأصله

ويبقى لنا بدر القرى والقبائل

سمى أبي حفص فللـه دره

لنا يشرح الغراء بغير تكاسل

يحل لإشكال المسائل جاهداً
بعزم وحزم مبرز للدلائل
لقد كان أستاذاً لنا ومعلماً
يعيد دروساً بالضحى والأصائل
ويحمي حما السمحاء عمن أرادها
بنقص وهضم من خبيث وجاهل
أعز به المولى لدين محمد
وأعلاه في الفردوس أعلى المنازل
وسدد اخوانا لنا طاب خيمهم
ووفقهم فهم الهدى والمسائل
وجنبهم ربي لكل مضلة
وطهرهم من ساقطات الرذائل
وصل الهي مع سلام مضاعف
على المصطفى والآل مع كل فاضل
بعد الحصى والرمل والقطر كله
وما شاء ربي دقها والجلائل

وقال الأديب الشيخ صالح بن عبد العزيز العثيمين راثياً المترجم بهذه القصيدة العظيمة وهي من أعظم ما قيل فيه :-

إلى الله في كشف الملمات أفزع
فليس لما أرجو سواه وأضرع

ففي كل يوم للعباد رزية
وفي كل عام في خيارنا يشرع

وأعظم بهذا الرزء أي مصيبة
كهذا سوى أن قيل مات المشفع

لقد مات عبد الله نجل محمد
فتى نحوه الاعلام للرأس ترفع

به انكسفت شمس العلوم فبعده
فمن نحوه في العلم يرفع إصبع

به فقد الناس الدعاة إلى الهدى
فمن بعده داع إذا قال يسمع

به فقدوا فوق المنابر واعظاً
إذا يبد وعظاً في الخطابة مصقع

به فقدوا شيخاً فقيها مفقها
سيهجر إقناع ومغني ومقنع

به فقدوا من حين تقرأ فروعهم

تقول له تصنيفها إذ يفـرع

به فقدوا نحواً فماضيه قد مضى

وفي قبره أضحى المضارع يضرع

به فقدوا شيخ الفرائض بعده

فمن ذا سهام الإنصباء يوزع

إذا أشكلت طرق الصواب فقوله

لمسترشد الفتياء في الحق مقنع

به صار روض العلم والحق مزهراً

وأرواحنا عن جهلها فيه ترتع

ربي في تقى فينا وحسن عبادة

وما صده مال وما ضم برقع

إذا جئته جنح الدجاء وجدته

بمحرابه باب المهيمـن يقـرع

تلاوة آيـات الكتـاب شعـاره

فما انفك عنها غير ماحين يركع

يلاقي بترحيب وبشر ورقـــة

فلم تلقه إلا لذي الذل يخضع

وما نفسه يوماً أراد انتصارها

ولا عن ذوي الفقر اعتراه الترفع

ويمنع أهل الظلم أخذ مظالم
وعن ظلمهم لله قد كان يمنع
وعن ما أتى عن ربنا ورسوله
مشاغبُ أهل الزيغ قد كان يدفع
فأسيافه في البحث قاطعة الضبا
وجوهرها حد الصياقل يقطع
أبان عويصات المسائل كلها
وأوضح منها ما يسن ويشرع
إذا يتل تفسير الكتاب فقوله
على كل مقبول وما رد يطلع
تنزه عن دنيا فلم تستفزه
بزخرفها أو في خداعها يخدع
وما مد عيناً نحوه إذ تبرجت
بلى إنه في الهجر للكل مولع
لقد نال أسباب السماء بعلمه
ينادي لمن رام الصعود ألا ارجعوا
فقا أحمداً قولا وفعلا فلو رأى
شوافعهم ذا الشيخ لم يتشفعو
حوى العلم والعلياء والجود والتقى

وسار بهاتيك الفضائل يسرع

وليداً حوى تلك الخصال جميعها

إلى يومنا من درها وهو يرضع

ختام نقول إن افاد نقولها

وان يعزها في صدقه الكل أجمع

لقد حل في ذي العام مفقد عالم

به الكرب للإسلام قد حل مفضع

أتيناه قصد الدرس نجني فوائدا

محررة في الدرس حين يفرع

فقيل لنا نجم الهداية قد هوى

من الأفق قوموا أيها الخلق شيعوا

فبالحزن للأذقان خر جميعنا

وسالت لذاك الحزن في الخد أدمع

تنهد أبكار وصاح عجائـــز

وحوقل أشياخ وأدهش رضع

حيارى من الأدهاش جل مقالهم

إلهي بهذا الشيخ لا الخلق تفجع

إلهي قضيت الموت فادفع منيته

ومن شوقنا في رد روحه نطمع

فلما تيقنا الممات من الأسى
عليه قلوب الناس كادت تقطع
وقمت أنادي في الطلول وأدمعي
تروي الثرى إذ منه واراه بلقع
سأبكيه في نطقي ودمعي وأنه
إذا زفرت منها تكسر أضلع
أجاوب ورقاء الحمامة في البكا
ويغلبها صوتي أساً حين تسجع
فلم أنس إذا جفت به جملة الورى
كبدر به حف الكواكب طلع
ترنمت في امداحـــه بحياتــــه
فأطربت في إنشادها إذ أرجع
فلهفي إذا حولت تلك مراثياً
أطوف بها هل ذاك في الرزء ينفع
ولهفي على فقدان شيخ ذوي النهى
فقد كنت حيراناً فما ذاك أصنع
ولهفي فقد قل اصطباري فليتني
بردت غليلا إن جزعت فأجزع
أعـزي محاريب الـعلى بإمامهـا

فناظرها من فقده الدم يدمع

أعزي دروس الفقه بعد دروسها

فمقلتها من حزن فقده تهمع

تنكرت الدنيا ولكن تعرفت

بطيب ثنا أبقاه في الخلق يسطع

وأقلامنا شقت عليه تأسفاً

على فقد خد الطرس كم فيه ترصع

بريدة فابكي إن فخرك قد ثوى

بلحد ولن يرجى لبدرك مطلع

بريدة للحزن السواد الا البسي

فعنك بذا أمر الملامة يرفع

به صرت في الأمصار تاجاً بمفرق

فعادت تعزيك إذا التاج ينزع

جعلني له الأحداق موضع رجله

فكيف سمحت أن ببطنك يوضع

قفوا خبرونا هل بنا اليوم مثله

وهل صار في الماضي بمثله يسمع

قفوا خبرونا أي شيخ مهذب

يقوم مقام الشيخ إن ذاك تدعوا

قفوا خبرونا من يشابه شيخنا

ومن كان من علم الهدى متضلع

قفوا خبرونا من يمازح طفلنا

سواه وجلباب الحيا متذرع

أهلنا عليه التراب آهي ولوعتي

فهل فيكم مثلي فتى يتوجع

أهالت عليه الترب في القبر راحتي

فما راحتي يدري لها اليوم موضع

تركنا علوما في الثرى إذ ثوى به

وعدنا ببرق خلب حين يلمع

لقد مزج البحرين علما كذا ندى

فلهفي ضريح ماء بحرية يبلع

لئن نهبت أيدي المنون لجسمه

فذي سنة ما الموت في ذاك مبدع

فهذا طريق كلنا صائر له

فذاك مضى قدما وذا ذاك يتبع

تسير قفول العالمين جميعهم

لذاك وللأرواح في الخلد مجمع

وإني لأرجو أن يكون مقامه

بعدن إذا يبدو به يتشعشع

فيارب حقق ظن عبدك واقبلن

دعائي لذاك الشيخ فيها يمتع

والحق محبا قال ذاك بحبه

فعفوك من ذنبي وإن جل أوسع

لفقدان شيخي ليتني لم أكن

وإلا ففي لحد ثوى فيه أوضع

فيا نوم عيني لا تلم بمقلتي

فعينٌ كعيني بالكرى ليس تهجع

ويا صبر فارحل ليس قلبي فارغاً

أصيب بأحزان وحاشاه يقلع

ويا نار شوقي بالفراق تأججي

وعقربة قولي لها القلب تلسع

ويا نفس صبراً فالتأسي لائق

بموت الذي في كفه الماء ينبع

هو المصطفى زين النبيين أحمد

شفيع الورى يوم الصحائف ترفع

عليه صلاة الله ما هبت الصبا

وما هل ودق فيه رعد مقعقع

كذا الأهل والأصحاب أيضا وتابع
مضى على خلف وللأمر طيع
وأرخ لشهر في حبا من محرم
وللعام طاب القبر فيه السميدع

كما رثاه الأديب الشاعر تلميذه عبد العزيز بن صالح آل دامغ من أدباء عنيزة بهذه المرثية :

على الشيخ عبد الله نبكي ونندب
ويسود وجه المكرمات ويقطب
وتبكيه أجفان السيادة والعلا
ويبكيه ناد من علوم مخصب
وتبكيه أقوال له وفواضل
تنوف على عد الثرى حين تحسب
وتبكيه أبحاث دقاق وأوجه
تجلبب إلا عن ذكاه وتحجب
وتبكيه أقلام جرين بأمره
فها دمعها يجري عليه ويسكب
ويبكيه إسناد ويبكيه مسند
ويبكيه للتوحيد متن ومنكب

ويبكيه واد من أياديه سائل
ويبكيه ناد للمعالي ومنصب
وتهتز من حزن عليه معارف
هو البحر إلا أنه منه أعذب
فلا خد إلا فيه للدمع واكف
ولا قلب إلا فيه للرزء مقنب
بكيناه حتى ناوحتنا مكارم
لراحته كادت من النعي تنصب
فقد كان بحراً للعلوم خضارماً
على بحره الوراد يحلو ويعذب
وقد كان صدراً للمعارف مفرداً
ولكنه في مجمع البحر موكب
لحبر حوى كل العلوم بقلبه
فها هي ذا تنعى عليه وتندب
لئن ضمه قبر وواراه ملحد
فيا طالما عن علمه ضاق سبسب
فويح المنايا كيف تنشب سهمها
بنحر امريء ريح الهدى منه تنشب
ولو أن هذا الموت يفلت واحداً

لعاتبت حتى أنه لي يعتب

ولكنني أدري وأعلم أنه

لك الله ورد كلنا منه يشرب

فكم من عظيم قد تقلب في الثرى

وقد كان في لذاته يتقلب

فلولا التآسي كنت أول من قضى

عليه ولكن التآس أطيب

ويا معشر الأخوان صبراً فإنما

مضى لسبيل كلنا منه أقرب

تغمده رب العباد بفضله

وغاداه للرضوان والعفو صيب

وأسكنه بحبوحة الفوز والرضى

ولا زال بالرضوان فيها يقرب

فيا من هو العالي على كل خلقه

على العرش ما شيء من الخلق يعزب

ولا ذرة أو حبة في سمائه

وفي أرضه عن علمه تتغيب

بأسمائك الحسنى وأوصافك العلى

وألطافك اللاتي بها نتحبب

فنرجوك أن تبقى لنا قمر الدجى
بفضل وإسعاق به يتقلب
عنيت به شيخاً لنا يقتدى به
إلى المنهج الأسني الذي هو أعذب
هو شيخنا عمر ومن سار ذكره
من الأرض في شرقيها ثم مغرب
حليم رشيد يجلو الهم لفظه
يحل عويصاً للــــدروس يرتب
فلا زال في عز وطيد مؤثل
يلاحظه الاقبـال أيـان يذهـب
وما لي أنسى كيف أنسى إمامنا
أبا عابد الرحمن(١) من منه أشرب
فقد جاد صوب العلم روضه أصله
فطاب له في العلم فرع ومرتب
وصلى اله الخلق ما لاح بارق
على المصطفى ما ضاء نجم وكوكب
كذا الآل والأصحاب ما قال قائل
على الشيخ عبد الله نبكي ونندب

★★★

٤ – العلامة الشيخ عمر بن محمد بن سليم

رحمه الله تعالى، هو أبو محمد الشيخ الكبير والبحر الغزير عمر بن محمد بن عبد الله بن حمد بن صالح[١] بن حمد بن محمد بن سليم .

وقد تقدم في ترجمة والده أنهم من ولد سليم من حرب وشيخنا المترجم له يحتاج تاريخه إلى مجلدات ضخمة .

فهو شيخ المشايخ وقطب القصيم كما قال عنه مفتي المملكة العربية السعودية الشيخ محمد بن ابراهيم آل الشيخ رحمه الله :

إن المصيبة حقاً فقدنا عمراً
أعظم بميتته رزء بنا كبرا
قطب القصيم وما دون القصيم وما
خلف القصيم وما مجرى القصيم جرى
عليه دار الهدى والحق بينه

---

(١) صالح هذا هو الذي ناصر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

كان الحياة وكان السمع والبصرا

أرزقه يا ربنا عفواً ومغفرة

وأجبر مصيبتنا يا خير من جبرا

ولد رحمه الله عام ١٢٩٩هـ رأيت ذلك بخط والده الشيخ محمد بن عبد الله بن سليم رحمه الله على غلاف نسخة خطية «المنتقي» ونصه :

«ولدنا المولود المبارك عمر بن محمد بن سليم عام ١٢٩٩هـ انتهى» وقد ولد رحمه الله في بيت علم وتقوى وصلاح، ونشأ بين أحضان والديه، وتربى تربية دينية خالصة منذ صغره، وتفرس فيه والده النجابة وقت طفولته، فكان يوليه عناية خاصة ويهتم به اهتماماً بالغاً حدثنى والدي رحمه الله قال : ولما بلغ الشيخ عمر سن التمييز ودخل رمضان قال له والده الشيخ محمد يا عمر نريد منك أن تصلي التراويح بالجماعة. فقال : سمعاً وطاعة. قال والده : على شرط. قال : ما هو ؟ قال : تقرأ القرآن حفظا عن ظهر قلب. قال : إن شاء الله فقال له والده : إحفظ كل يوم جزء من القرآن واقرأه في التراويح فما كان منه إلا أن نفذ أمر والده ووفقه الله لحفظ القرآن عن ظهر قلب في شهر واحد هو شهر رمضان.

لازم والده وقرأ عليه منذ طفولته :

وما أن بلغ الثامنة عشرة حتى صار والده يحيل إليه بعض القضايا، ولما نفي والده إلى النبهانية لحق به وجلس معه ثلاث سنوات وتفرغ والده خلالها لتعليمه، فكان ملازماً له ليلا ونهاراً وكان كل وقته معه في العلم والبحث والمذاكرة مما كان له أكبر الأثر في تحصيله، لأنه في هذه الفترة قد أدرك ووصل إلى مرتبة المشيخة، كما ذكرنا أن والده يحيل إليه بعض القضايا ليحكم فيها قبل سفره للنبهانية. وكان والده واخوته يقلبونه بالشيخ وهو في هذه السن وناهيك بالشيخ محمد رحمه الله كيف يوليه الأحكام إلا عن قناعة بعلمه ومعرفته. كما كان الناس يلقبونه بالشيخ وهو دون العشرين وكان الطلبة يسألونه عما يشكل عليهم ويقرأون عليه في المجالس الخاصة وبعد انتهاء درس والده وهو دون العشرين .

أما مجلسه للتدريب فقد بدأ بعد وفاة والده مباشرة، وعمره نحو السابعة والعشرين، حيث أنه لما توفي والده اجتمع عليه تلامذة والده كبارهم وصغارهم وطلبوا منه الجلوس للتدريس، وقرءوا عليه، إذ كان شقيقه الأكبر الشيخ عبد الله إذ ذاك قاضياً في البكيرية. ولقد سافر بعد وفاة والده للرياض فترة قصيرة قرأ خلالها على الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف آل الشيخ، ولكن الشيخ عبد الله بن عبد

اللطيف عندما اجتمع به وبحث معه قال له : يا بني أنت يؤخذ عنك العلم. إذهب إلى بلدك واجلس في مكان والدك وانشر علمك هناك» وهكذا نرى كيف اعترف بعلمه أعلم أهل زمانه الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف رحمه الله .

ولقد لفت الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف نظر الملك عبد العزيز إلى الشيخ عمر ومكانته العلمية وأوصاه به خيراً .

وكان الملك عبد العزيز إذا أراد جمع العلماء لمهمة من المهام التي تحتاج إلى إجتماعهم يدعو الشيخ عمر معهم مع صغر سنه في ذلك الوقت، فكان يدعوه معهم قبل أن يبلغ الثلاثين من العمر، وذلك برغبة من الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف .

ولما جلس الشيخ عمر للتدريس في بريدة بعد وفاة والده أقبل عليه الطلبة الكبار والصغار من جميع النواحي والأقطار النجدية وغيرها. حتى اجتمع عليه خلق كثير لم يسبق لأحد قبله مثلهم حتى والده وشيخه الشيخ محمد بن عبد الله أو خاله الشيخ محمد بن عمر بن سليم لم يجتمع عندهما مثل ما اجتمع عنده من الطلبة ذكر ذلك الراوية الشيخ سليمان العلي المقبل، ويؤيد ذلك أننا وجدنا أسماء أكثر من خمسمائة طالب علم قد قرؤا عليه بينما لم نجد من تلامذة والده إلا أقل من النصف من هذا العدد، كما لم نجد

من تلامذة الشيخ محمد بن عمر بن سليم إلا ثلث هذا العدد أو أقل من ذلك، كما لم نجد من تلامذة الشيخ عبد الله بن محمد بن سليم إلا أكثر من نصف هذا العدد .

ويليه في كثر الطلبة من علماء بريدة إبن أخته الشيخ عبد العزيز العبادي، وذكر لي الشيخ سليمان العلي المقبل كما ذكر لي ذلك الوالد رحمه الله أنه قرأ عليه أكثر من خمسين من طلبة العلم كلهم في سن الشيخوخة وهو شاب .

وقد جعل الله في تعليمه البركة وجعل في نفوس الناس له القبول والإقبال، كما جعل الله له هيبة عظيمة لم أرها لأحد غيره ممن عرفت من العلماء وغيرهم .

حدثني قاضي الغطغط الشيخ وايل اليحيى الطريقي أحد تلامذة الشيخ عمر قال : كنت أمشي أنا ونفر معي من كبار طلبة العلم بالقرب من الجامع الكبير ببريدة، فقال أحدنا كلمة أعجبت الجميع فضحكنا، ولكننا فوجئنا بشيخنا الشيخ عمر يخرج من رأس الشارع دون علمنا، فرآنا نضحك فوقف ووقفنا مبهوتين لا نستطيع التحرك أو الكلام وقال معاتباً لنا : أهكذا سَمْتُ طلب العلم؟ فتمنينا أن الأرض ابتلعتنا تلك الساعة وأخذنا أياماً لا نستطيع النظر إليه أو مقابلته .

تعليمه للطلبة :

درس رحمه الله القرآن وتجويده وعلومه وتفسيره فقد درس جميع التفاسير المشهورة كابن كثير والبغوي وغيرها، والحديث وشروحه ومصطلحاته، ومن ذلك البخاري ومسلم وأبي داود والنسائي والمنتقى والترمذي وبلوغ المرام والمحرر وغيرها من كتب الحديث، ودرس الفقه ومصطلحاته، ومن ذلك الزاد وشرحه والمقنع والاقناع والمغني والشرح الكبير وغيرها ويدرس الفرائض بعد المغرب ويتوسع في حسابها في المناسخات وقسمة التركات حتى تبلغ الملايين ويعبر عن المليون بألف ألف ولا يذكر المليون وكان رحمه الله سريعاً في الحساب سرعة فائقة تعجب الطلبة والسامعين، ويدرس النحو وشروحه ومن ذلك الفيه بن مالك والقطر والملحة والآجرومية وشروحها .

كما كان يدرس التاريخ الإسلامي ومن ذلك سيرة ابن هشام والبداية والنهاية لابن كثير وغيرها ولم يدرس شيئاً من تواريخ المتأخرين، ومن الكتب التي ينصح الطلبة بحفظها ويقرأونها عليه : المنتقى في الحديث وبلوغ المرام وكان أحد دروسنا عليه حفظاً عن وفاته نحن ومجموعة من الطلبة وعمدة الأحكام والمحرر وفي الفقه زاد المستقنع وعمدة الفقه وغير ذلك .

ولما ابتدأ الملك عبد العزيز بتهجير البادية إلى أمهات الهجر كالأرطاوية ودخنة كان يبعثه إليهم، فيقيم في الهجرة الشهرين والثلاثة يذكرهم ويعلمهم وتعمر مجالس التدريس، وقد مر بكل من دخنة من بلاد حرب والفوارة من بلاد حرب والأرطاوية من بلاد مطير، وأكثر الإقامة في الأرطاوية بلدة فيصل الدويش من قبائل مطير، وكان يصحب معه من كبار الطلبة ما يقرب من ثلاثين طالباً، يتحمل نفقاتهم يواصلون قراءتهم عليه وينتفع به وبهم أهل تلك النواحي، وصار لذلك أثر كبير على أهل تلك النواحي، كما أنه إذا كان في الارطاوية يجتمع عليه عدد من أهل سدير والوشم وغيرهم، وقد أوردنا أسماء بعض من قرأوا عليه من أهل سدير والوشم وأبناء البادية الذين هاجروا ضمن تلامذته، وكان إذا سافر يخلف الشيخ محمد بن عبد العزيز العجاجي لتدريس طلبته في بريدة حتى يعود مدة حياة الشيخ محمد، واستمر سفرة للأرطاوية إلى عام ١٣٤٥هـ وإن من يشاهد عدد من يقرأ عليه وما يقوم به من أعمال قضائية وفتيا ليعجب كيف كان يعيش ذلك الانسان فوقته مملوء بالعمل للآخرة والنفع للمسلمين .

مجالسه وأوقاته :

كان رحمه الله يؤم في أحد المساجد في بريدة، فقد أم أول ما أم في مسجد عودة الرديني في بريدة، ثم أم بمسجد ناصر السيف، وقد عمر المسجدان في وقته وعمرت فيها الحجرات للطلبة المذاكرة، واتخذت فيها عدة مكتبات خاصة في وقته، واستمرا بعده مدة من الزمن فيهما الكتب والطلبة، فقد خلفه على مسجد عوده تلميذه الشيخ محمد بن صالح المطوع وعمر المسجد في زمنه وإلى وفاته، واستمر بعد الشيخ عمر في هذا المسجد المشائخ آل عبيد، الشيخ عبد المحسن رحمه الله والشيخ فهد آل عبيد والشيخ ابراهيم آل عبيد إضافة إلى الشيخ محمد المطوع وغيرهم من طلبة العلم والعلماء نعود إلى العمل اليومي للشيخ عمر رحمه الله .

كان إذا صلى الصبح جلس في مصلاه يورد ويذكر الله سراً ربما سمع من يكون قريباً منه بعض كلماته فإذا أتم ورده وحضر الطلبة وجلسوا حلقة حوله أذن لهم بالقراءة .

وكان إذنه لهم أن يقول للأول منهم «سم» فإذا انتهى القاريء أو أراد الشيخ منه أن يقف عند حد معين قال له : بركة. وهذا دعاء له من شيخه بأن يبارك الله له فيما قرأ وأذنٌ بقطع القراءة، فإذا انتهى الطلبة من القراءة وهذه تكون حفظاً عن ظهر

قلب وضح رحمة الله كل ما يحتاج إلى إيضاح وناقش الطلبة فيما يتعلق بالنحو بالاعراب وغيره .

فإذا طلعت الشمس أو كادت انتهى هذا الدرس، وهذا هو الدرس الأول من تدريسه اليومي، وهو يكون في موضوعين أحدهما النحو الثاني في التوحيد حفظاً وشرحاً، وربما كان درس النحو أحياناً لفئتين : فئة كبار الطلبة وفئة المتوسطين منهم. فالفئة الكبار يدرسون في ألفية بن مالك في النحو وشرحها لابن عقيل والفئة الثانية في الأجرومية أو ملحمة الاعراب. وكان يوضح ويناقش ما يحتاج إلى مناقشة وإيضاح .

فإذا انتهت الدروس يذهب إلى منزله، فيتبعه أكثر الطلبة ومن حضر من أهل الحاجة أو من القرى، وهذا بعد طلوع الشمس. فإذا دخل منزله وجلس أديرت القهوة والشاي والحليب في الشتاء على الحاضرين، وأمر أحد الطلبة بالقراءة التي غالباً ما تكون بالقرآن الكريم حفظاً، وربما قرأ أكثر من قاريء حيث يكون معه عدد من حفاظ القرآن، وبعد تناول القهوة والشاي وانتهاء القاريء ينظر إذا كان لأحد حاجة فيقضيها، أو يتكلم معه أحد : جاء من أجله، ولا مجال البتة في التحدث بأمور الدنيا أو فضول الكلام، فإنه رحمه الله لما أتاه الله من الهيبة لا يجرؤ أحد أن يتكلم

في مجلسه بأمور الدنيا أو في أحوال الناس، كما أنه هو لا يتكلم بذلك، وليس في وقته متسع لمثل ذلك، وربما سأل بعض القادمين من القرى والضواحي عن المطر في وقته أو عن صلاح الثمار في أوقاتها سؤالا مختصراً اهتماماً بأمور المسلمين .

وكان في الشتاء يصنع له ولمن حضر من الطلبة طعام الغداء من الحنيني أو خبز البر، وكان أكله خفيفاً قوتاً عبارة عن لقيمات يقمن صلبة، ولكنه يضع ذلك من أجل غيره. ثم ينهض فيجدد الوضوء ويخرج للدرس في المسجد الذي يؤم فيه، وقد أم في المسجد ودرّس أكثر من خمس وثلاثين سنة رحمه الله، فإذا خرج للدرس في المسجد فربما يجد في الطريق من ينتظره مستفتياً فيرشده، أو له حاجة فيقضيها له فإذا وصل المسجد صلى تحية المسجد ثم جلس للدرس فيقرأ أهل الحلقة الأولى ثم أهل الحلقة الثانية ثم أهل الحلقة الثالثة، وربما زادت عن ثلاث حلقات، وربما بلغ الطلبة المائتين في بعض الأحيان وخاصة في الصيف الذي يحضر فيه أهل القرى، ويقرأ بعضهم جماعات كل مجموعة في كتاب، فبعضهم في الزاد في الفقه، وبعضهم في المنتقى في الحديث، وبعضهم في بلوغ المرام في الحديث، وهكذا .

وكبار الطلبة يقرؤن جماعة في الشرح الكبير في الفقه بالتناوب، فإذا قارب الانتهاء يختم المجلس الشيخ عبد الله الفرج

قراءة ثانية بالتاريخ، وآخر ما قرأ في البداية والنهاية لابن كثير فإذا أذن للشيخ عبد الله الرشيد بالقراءة كف سائر الطلبة عن القراءة لأنه لا يأذن لأحد بالقراءة بعده .

مجلسه للقضاء :

لم يكن للقضاء عنده وقت معين أو محدد بدوام، فأي وقت يحضر الخصمان يحكم بينهما في أول الصباح أو العصر أو ما بين ذلك .

وقد بلغني أن جماعة حضروا ليلا من إحدى القرى فقال لهم في الصباح، فقال أحدهم : يا شيخ ليس لنا أحد بهذا وخلصنا الآن وأظنهم قد جاؤا من أجل مشكلة السيل فحكم بينهم وعادوا إلى قريتهم ليلا، وأحكامه على الطريقة الأولى من عهد السلف فلا تسجيل ولا تكرار جلسات، إلا إذا كان هناك بينه يطلب إحضارها فكثيراً ما تنتهي القضية بجلسة واحدة .

فبعد القراءة في الصباح يجلس على عتبة منزله في الشارع، فيحكم بين الناس وربما أنهى في أكثر من عشر قضايا في مجلس واحد، فإذا انتهى الخصماء ولم يبق أحد دخل إلى منزله، ولا يترا دعوى بدون سماعها، فلا مواعد تضرب ولا سجلات، بل في الحال تسمع الدعوى والاجابة ويبت فيها، فإذا كان لم يتناول طعاماً أول

الصباح الباكر قبل الدرس كما هو الحال في الشتاء قدم طعام الغداء، وقد يجمع من أطايب الطعام بلا إسراف لكنه رحمه الله يقدم الطعام، ويحرص عليه ليأكل غيره من الطلبة والأقارب ومن يحضر هذا الطعام من الموجودين وقت تقديمه، وربما حضر طعامه بعض الخصماء أو الشهود، وقد يعود إليه الخصماء فترة أخرى فإن بابه يظل مفتوحاً، والقضاء في منزله فلا محكمة ولا كتاب ضبط ولا سجلات، وقد يكتب الحكم بيده أو يكتبه له من يعتمد عليه من الطلبة، وأكثر الملازمين له هو الشيخ عبد العزيز الصالح بن سليم .

فإذا لم يحضر خصماء انعقدت جلسة للدرس يحضرها كبار الطلبة، وآخر ما كانوا يقرأون بالشرح الكبير في الفقه، فإذا بقي على أذان الظهر نحو ساعة أو أقل استراح في غرفته، ثم ينهض لصلاة الظهر فيصلي الراتبة قبل الظهر في منزله، ويبقى في مصلاه في منزله حتى يقارب وقت إقامة الصلاة فيخرج لها، وربما كان في انتظاره في الطريق إلى المسجد أحد من ذوي الحاجة من الرجال أو النساء، فيسألونه عما يريدون أو يستفتونه، فيفتيهم أو يرشدهم وهو في الطريق إلى المسجد، فإذا دخل المسجد فوجد الجماعة قد اكتملوا تقدم للصلاة فأقيمت، وإن وجد بهم قلة من العادة صار يخطو ويقف حتى يرى أنهم قد اكتملوا، ثم تقام الصلاة، فإذا صلى

الظهر صلى الراتبة، ثم جلس للطلبة إلى أن يذهب نصف أو ثلثا الوقت بين الظهر والعصر والطلبة يقرؤن وأول من يقرأ في الظهر الشيخ عبد الله الرشيد الفرج .

وبعد انتهاء الدرس يذهب ومعه كبار الطلبة ومن يرغب اللحاق به، من غير ذوي الحاجات إلى منزله، فتكون القهوة والشاي قد أعدا فيجلس في منزله، ثم يأمر أحد الحفاظ بقراءة القرآن، أو في بعض الكتب كأسد الغابة في أسماء الصحابة أو غيره، وبعد أن يتناول الجميع القهوة والشاي إذا كان لأحد حاجة تكلم معه بما أراد، ثم تفرق الحاضرون إلى منازلهم وصعد لمنزله وجدد الوضوء ونزل وصلى الراتبة قبل العصر في منزله، وجلس في مصلاه حتى يجب وقت إقامة الصلاة فيخرج لها، فإذا صلى العصر قرأ الشيخ عبد الله الرشيد الفرج بكتاب الترغيب والترهيب للمنذري، والذي كان الشيخ عمر رحمه الله يحفظه عن ظهر قلب ولا يزيد عن ثلاثة أحاديث أو أربعة، فيعيد الشيخ رحمه الله قرائتها حديثاً حديثاً، ثم يشرحها ويوضح ما يحتاج إلى إيضاح، ثم بعد ذلك يبدأ درس ما بعد العصر، وكان آخر حياته في بلوغ المرام حفظاً، ومصطلح الحديث تارة، وفي مصطلح الفقه تارة، وقد اشتركت في هذا الدرس ثلاث سنوات فقط، أما في الصباح والظهر فقد قرأت عليه رحمه الله ما يزيد عن عشر سنوات، وكنت ملازماً

له حتى توفي رحمه الله، كما كنت أقوم ببعض الخدمة له في منزله، وقد تهيأ لي من معرفة أحواله ما لم يتهيأ لغيري، حيث كنت أنام في منزله عدة سنوات، وذلك من أجل خدمته، وكان يجمع أئمة المساجد والمؤذنين والنواب «هيئة الآمرين» وطلبة العلم بين الحين والآخر فيعظم ويحثهم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما كان يتفقد الأئمة والمؤذنين بنفسه، فإذا سمع مؤذنا قد تأخر في الأذان عن موعده نبهه، وإذا سمع مؤذناً قد تقدم نبهه، وإذا علم بإمام يتقدم أو يتأخر في الصلاة نبهه على ذلك، ولذلك فان المساجد كانت تؤذن في أوقات متقاربة، وتصلي في أوقات متقاربة، وكان رحمه الله يستمع للمؤذنين بنفسه وخاصة أوقات الفجر فلم يكن في ذلك الوقت ضجيج للسيارات والمحركات تمنع الاستماع كما هو الحال الآن .

وإذا اجتمع العلماء عند الملك عبد العزيز أو غيره وحضر وقت الصلاة قدموه للصلاة فيهم، وكان رئيس القضاة الشيخ عبد الله بن سليمان بن بلهيد يلقبه بإمام العلماء، ويقدمه للإمامه وهو أسن منه، هذا وكان رحمه الله يجيب دعوة من يدعوه لمنزله لتناول القهوة بعد الظهر في الأسبوع أو نصف الشهر وهو لا يجيب دعوة من يبعد منزله عن مسجده بعد الظهر، وكان هذا دأبه قبل توليه القضاء واستمر عليه بعد توليه القضاء، وكان يقصد به تأليف

الناس واجتماع الطلبة في منزله الداعي وإزالة الفرقة بين الطلبة والعامة .

نعود إلى عمله اليومي :

وبعد إنتهاء دروس العصر المتقدم يخرج إلى منزله، فيجلس على عتبة منزله أو داخل المنزل، فيتبعه الخصماء فيقضي بينهم ولا يبقى دعوى دون سماع، ثم يكون طعام العشاء على عادة أهل القصيم قبل المغرب قد أعد فيدعو من حضر من الأقارب والأتباع أو غيرهم، ويأكل رحمه الله أكلا خفيفاً يعجب من رآه كيف يعيش على ذلك الأكل، ثم يتهيأ لصلاة المغرب وربما مشى إلى أحد البساتين القريبة من المسجد الذي يصلي فيه وتسمى الشقيري أو البوطة فيتوضأ هناك، وربما توضأ في المنزل وذهب هناك لتحريك قدميه ولكن هيهات أن تكون هذه الفترة خالية من العمل .

إنه يمشي في الطريق ويقرأ أو يفتي وهو يمشي، وربما لحق به خصمان فسمع دعواهما، وبت فيها وهو في الطريق وربما جلس لهما في الشارع.

ويعود قبل المغرب فيجلس في ناحية المسجد يذكر الله ويقرأ ورده إلى أن يؤذن للمغرب، وربما حضر إليه بعض ذوي الحاجة وهو

في انتظار الصلاة فقضا حاجتهم بفتيا أو مشورة أو غيرها ولكن لا مجال للكلام في أمور الدنيا .

فإذا صلى المغرب صلى الراتبة ثم جلس لكبار الطلبة في الفرائض حتى تكون الساعة الواحدة بعد المغرب، وكان آية في الفرائض وسرعة الحساب في المناسخات وغيرها .

فتبلغ السهام الملايين ويقسمها، ولكنه لا يذكر المليون، بل هو يعبر عنه بألف ألف على عادة الأقدمين كما ذكرنا سابقاً، فإذا انتهى درس الفرائض صلى الراتبة قبل العشاء، ثم جلس في المحراب وقرأ الشيخ علي العجاجي ببعض كتب الوعظ، فيعلق الشيخ بما يراه مناسباً لإفهام السامعين، فإذا أذن العشاء قرأ الشيخ عبد الله الرشيد الفرج بتفسير القرآن، بابن كثير تارة والبغوي تارة، وقد قرأهما عليه جمياً في هذا المجلس بكاملهما، وكلما أكل أحدهما أعادة أو أعاد الآخر حتى توفى الشيخ رحمه الله، وبعد صلاة العشاء يصلي ركعتين، ثم يذهب إلى منزل الشيخ عبد العزيز الحمود المشيقح، فيجلس فيه للطلبة ويحضر كبار الطلبة بما لا يزيد عن ثلاثين في أكثر الأحوال لأن هذه الجلسة مخصصة لكبار الطلبة، فيقرأون ما شاء الله ولا يمنع من يرغب السماع من الطلبة ومحبي الخير، ثم يذهب إلى منزله، ولكنه وهو في الطريق إلى منزله يقرأ سراً

أو يذكر الله، وربما سأل بعض مرافقيه من الطلبة عن مسألة علمية لمعرفة مدى حفظ الطالب وإدراكه وحثه على الإجابة في المسائل المفاجئة .

ولقد بقي يجلس في منزل الشيخ عبد العزيز الحمود المشيقح منذ وفاة والده إلى أن توفي رحمه الله، وذلك وفاء منه لعبد العزيز الحمود المشيقح، لأنه استقبله عندما كان محتاجاً له والمنزل واسع يجلس فيه للتدريس تتوفر فيه الإضاءة والخدمة وقت الدراسة ليلاً، ولما أغنى الله الشيخ وتوفرت لديه الإمكانيات، وأراد التدريس ليلا في منزله رجاه عبد العزيز على الاستمرار فوافق، وعند انتهاء الدرس يدخل منزله ويصلي ما شاء الله، ثم ينام ويستيقظ بعد منتصف الليل فيصلي ما شاء الله، ثم ينام فيستيقظ قبل الفجر فيصلي ما شاء الله، ثم يوتر ويبقى في مصلاه في بيته حتى يطلع الفجر فيصلي، ركعتي الصبح في منزله، ثم يخرج للصلاة بالجماعة في المسجد، وهذا دأبه طوال العام في الحضر .

أما في السفر فإنه يستمر أكثر وقته في التدريس حتى على الرواحل يكون معه القراء، يتعاقبون القراءة واحداً بعد الآخر، وبعد وجود السيارات كان معه من يقرأ باستمرار والسيارة تسير، وعند النزول تستمر القراءة في القرآن أو الكتب التي يحملها الطلبة معهم.

أما في رمضان فإنه رحمه الله يوقف التدريس فيما عدا تدريس القرآن، فهو يجلس لكبار الطلبة في تجويد القرآن صباحاً في المسجد، وبعد العشاء يجلس لتدريس القرآن بمنزل سليمان العلي اليحيى الذي استمر الشيخ في تدريس القرآن بمنزله قرابة ثلاثين سنة أو تزيد، وهي عادة قديمة استمر عليها الشيخ، فكما قلت إنه لم يكن لدى الشيخ في أول حياته العلمية إمكانيات، فصار يدرس بمنزل عبد العزيز الحمود المشيقح ليلا طوال السنة، عدا رمضان فهو بمنزل سليمان اليحيى، ولو أردنا ذكر صفاته وأحواله لاحتاج ذلك إلى مجلدات ضخمة ولا نستطيع ذلك، ولكن هذا بعض سيرته رحمه الله .

وكان ــ رحمه الله ــ يقضي نيابة عن أخيه الشيخ عبد الله، ولما توفي الشيخ عبد الله توقف عن القضاء فكلمه بذلك أمير القصيم وجماعة بريدة فقال لهم : أنا نائب للشيخ عبد الله وقد توفي وبوفاته بطلت وكالتي ونيابتي عنه، وما أن علم الملك عبد العزيز بوفاة الشيخ عبد الله حتى عينه قاضياً لبريدة ورئيساً لقضاة القصيم، وكان قبل تعيينه في القضاء يستشيره في تعيين القضاة في القصيم وغيرها، ويرغب في تعيين تلامذته، ولذلك فقد مرت أوقات لا يوجد في المملكة محكمة إلا وأكثر قضاتها من تلامذة الشيخ عمر بن سليم وأذكر من ذلك :

محكمة الرياض الكبرى وقد تولى القضاء فيها ورئاستها عدد من تلامذته، محكمة مكة المكرمة، محكمة المدينة المنورة، محاكم القصيم، بريدة، عنيزة، البكيرية، المذنب، الأسياح وغيرها .

محكمة جيزان، محكمة تبوك، محكمة الدمام، محكمة الجوف، محكمة الخبر، محكمة أبها، محكمة نجران، محكمة تربة، محكمة المجمعة، محكمة الزلفي، محكمة الأرطاوية، محكمة الغطغط، محكمة دخنة، محكمة الشبيكية، محكمة ضريه، محكمة رياض الخبراء، محكمة القريات، محكمة الحوطة، محكمة رابغ، محكمة بالجرش، محكمة الدلم، محكمة الخرج، محكمة الاحساء، محكمة طريف، محكمة الحفر، محكمة شقراء، محكمة الدوادمي، محكمة الأمية، محكمة الحريق، محكمة القطيف، محكمة القنفذة، محكمة صبيا، محكمة أبي عريش، محكمة سكاكا، محكمة الجبيل، وغيرها..

ومن يمعن النظر في أسماء تلامذته يعرف الأسماء لمن تولى القضاء والرئاسة في هذه المحاكم من تلامذة الشيخ عمر رحمه الله .

وأذكر أنه في آخر عام ١٣٥٣هـ توجه رحمه الله للحج ومعه قرابة ثلاثين من كبار طلبة العلم من تلامذته بناء على أمر مر الملك عبد العزيز رحمه الله وزعو على محاكم مدن وقرى المنطقه

الجنوبية الغربية إبتداء بجيزان وما حولها وانتهاء بأبها فمنهم من عين قاضياً ومنهم من عين أماماً ومعلماً ومفتياً بالنسبة للبلدان التي ليس فيها محاكم ومن أشهرهم الشيخ عبد الله بن عودة السعوي .

والشيخ عثمان المضيان، والشيخ ابراهيم الجمعي، والشيخ عبد الرحمن بن عقيل، والشيخ صالح السلطان العمرو، والشيخ عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل، والشيخ على الغضية، والشيخ صالح السليمان بن حميد، والشيخ محمد الحمد الراجحي، والشيخ محمد العبد الرحمن البليهي .

والشيخ عبد الله المحمد بن عامر، والشيخ عبد الرحمن بن محيمد، والشيخ عبد الرحمن بن طرباق وغيرهم .

ولم يكن يخلو منصب قاضي أو إمام هجرة إلا ويبعث الملك عبد العزيز للشيخ عمر يطلب منه ملأه بأحد تلامذته، وقل أن يعتذر، وقد جعل الله في تلامذته البركة فنفعوا بعلمهم في جميع أطراف المملكة ولا أظن أن تلامذة أحد من العلماء في زمنه انتشروا في البلاد مثل اما انتشر تلامذة الشيخ عمر رحمه الله ولا شك أن ذلك كله ببركة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأبنائه وأحفاده الذين أخذ عنهم آل سليم العلم، وقد خلفه على القضاء فترة غير طويلة الشيخ محمد بن عبد الله بن حسين كما خلفه على التدريس

بجامع بريدة العلامة الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد، ثم تولى القضاء بعد ذلك وبقي في هذا العمل إلى أن نقل للأشراف على المسجد الحرام .

قال الأديب الشاعر صالح بن عبد العزيز بن عثيمين مؤلف السابلة على ضرائح الحنابلة يمتدح بريدة ويذكر العلم فيها :

وسكناي في فيحاء بريدة من لها
ينادي جميع الشرق وسطك أرحب
لما ضم من أهل العلوم الذين هم
يزال عن الدين المشرف غيهب
فاكرم بها كم انتجت من مهذب
نجيب فتى من ذي النجابة انجب
فهذا بافتاء وهذاك واعظ
وذاك بأمر العرف يأتي ويذهب
وذاك بتدريس وذاك مصنف
بهدي بما يبدي لنا ويهذب
يقضي زماناً والأنامل دابها
تسير أقلاماً بذا وتبوب
فيارب حط سكانها وولاتها
وأرجاءها وما شان يعزب

مكانته العلمية في المجتمع :

فقد كان للشيخ عمر رحمه الله مكانة عظيمة في المجتمع وهيبة لا أعرف أنها صارت لأحد غيره في وقتنا فلا يتكلم أحد في مجلسه بما لا فائدة فيه، وإذا مشى سار الناس خلفه يسدون الطريق لكثرتهم. وكان إذا حضر عند الملك عبد العزيز أجلسه إلى جانبه الأيمن فلا يتحدث إلا إذا سئل أو في مصلحة عامة بكلام قليل، وقد قال الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع :

كنا عند الملك عبد العزيز والشيخ عمر إلى جانبه فلما قام الشيخ عمر قال الملك عبد العزيز : إني لأعجب من صمت الشيخ عمر وقلة كلامة. وكثيراً ما يكون في المجلس يذكر الله سراً أو يقرأ القرآن دون أن يشعر به أكثر من حوله ولكن من يكثر مجالسته يعرف ذلك. وقال عنه الملك عبد العزيز مرة عندما قام من مجلسه : إن هذا الرجل لم يطلب مني شيئاً لنفسه، وإنني أتمنى أن يطلب شيئاً. وعندما يزور الملك يكون ذلك بدعوة من الملك إلا الحج فإنه يستأذن الملك بذلك إذا لم يدعه حتى قبل أن يكون قاضياً، فإذا استأذن بعث له الملك بسيارتين لايصاله أحدهما صغيرة والأخرى كبيرة وربما بعث له بأكثر من ذلك خاصة في الحج وذلك عندما كانت السيارات نادرة الوجود وعزيزة في المملكة،

وقد منحه السيارة مراراً فيعتذر عن قبولها ويقول إذا إحتجناها طلبناها منكم .

وعندما يريد العودة يستأذن الملك بالسفر فيبعث له الملك أحد كتابه الخاصين فيسأله عن لوازمه فيشكره ويقول إنه لا لزوم لنا وربما عرض عليه حاجة لغيره من طلبة العلم أو غيرهم فيأمر الملك بتنفيذها، ثم يمنحه مثل ما أعطى أكبر المشايخ الوافدين معه أو يزيده عن ذلك وهو لا يرد ما يصل إليه من الملك ولكنه يفرق جزءً منه على الأقارب ويعطي طلبة العلم، وأذكر أنه رحمه الله في آخر حياته أتته منحة من الملك عبد العزيز بواسطة وزير المالية عبد الله بن سليمان الحمدان عبارة عن أربعة آلاف ريال فضة وكان لها شأن في ذلك الوقت فكان يأخذ منها ما يمكنه حمله، ثم يدور على أقاربه بنفسه فيوزع عليهم رجالهم ونساءهم، ولم أره أعطى أحداً من الطلبة ولكني اعتقد أنه لم يتركهم .

ومع انصرافه الكلي لعمل الآخرة فقد كانت الدنيا تأتيه راغمة، فقد كان يأمر أحد أتباعه بشراء بعض التمر من النخيل وجذه، وترك الناس يأكلون وقت الجذاذ ثم يجمعه لفترة غير طويلة، فيبيعه التابع دون أن يسأله الشيخ عن القيمة والمكسب، ولكنه لا بد وأن يحصل مع عمل الآخرة فيما يؤكل على مكسب وربح، كما

كان يشتري العقار من نخيل ومزارع وبيوت وأراضي وربما كسبت، ولكنه لا يتولى شيئاً من ذلك بل له وكلاء يتولونه يعطيهم عن أتعابهم كلا على قدر عمله أو يزيد، ولا يناقشهم في تصرفاتهم أو يسألهم عنها كما كان يسلف الفلاحين في التمر والبر بقيمة نقدية إلى الجذاذ أو الحصاد وكان يتسامح معهم إلى أبعد الحدود في السعر والاستيفاء فما أتوا به أخذه وما لم يأتوا به لا يسألهم عنه، وقد جاء إليه رجل مرة يريد نصحه عن إعطاء أحد الفلاحين ديناً وقال للشيخ : علمت أنك ستعطي فلاناً كذا وهو فقير فقال الشيخ رحمه الله : لو لم يكن فقيراً لما أعطيناه فما كان من الرجل إلا أن خجل ولم يكلم الشيخ ثانية في مثل هذه الأمور، وكان يظن أن إخبار الشيخ بفقر الرجل يرضيه فصار بخلافه ولم يكن رحمه الله يتولى بنفسه شيئاً من أمور بيته أو أعماله الخاصة فكان حوله عدد من الأقارب والأتباع يقومون بخدمته ويتولون شؤونه، ويمنحهم مقابل خدماتهم ويزيدهم على ذلك كما أنه يمنح بعض الأقارب والطلبة وغيرهم من الخواص ما يساعدهم على المؤنة ابتغاء وجه الله وإذا احتاج بيته إلى شيء فإن أهله يعمدون من يحضره، وخاصة ما يتعلق بالولائم التي تكون عنده في كل مناسبة فهو يدعو الملوك والأمراء والوافدين لبريدة من العلماء والرؤساء للعشاء والقهوة ولا يشغله ذلك عن عمله اليومي، فهناك من الأتباع والأقارب من يتولى

إحضار كل ما يلزم لمثل ذلك ولم يعرف عنه أنه ناقش أحداً من وكلائه أو أتباعه عن الحساب والقيمة بل كل من قال له أريد كذا أعطاه إياه دون مناقشة، وكان يحسن الظن بالناس، قال الشيخ سليمان العلي المقبل : وكلني مرة على قبض مبلغ فقبضته واشتريت به ذهباً فأخبرته وقلت له : إن الذهب قد كسب. فقال : المكسب لك لم نعمدك بذلك .

إهتمامه بالمساجد وبنائها وتوسعتها :

وقد قام رحمه الله بتجديد بناء جامع بريدة الذي قام والده ببنائه قبله، كما قام بتوسعته وأدخل معه وقف والده المجاور له وغيره من الأوقاف المجاورة التي كانت للجامع أو تحت نظارة القاضي، وقد أعانه الملك عبد العزيز على ذلك. كما قام ببناء مسجد يعرف باسمه الآن جنوبي بريدة فقد قام بتكاليف البناء والأرض من ماله الخاص. وقام ببناء مسجد العيد ببريدة، وقام رحمه الله بتوسعة مسجد الجردة على نفقة الشيخ فوزان السابق بمشورة من الشيخ وأدخل مع البيتين المجاورين له وكانت لدى الشيخ فوزان مكتبة قيمة تضم جميع أمهات الكتب المخطوطة والمطبوعة، فأشار عليه الشيخ بوضعها في الجامع، وبنى الشيخ عمر أول نواة لمكتبة بريدة العلمية بجامع بريدة، فوافق الشيخ فوزان السابق وضم إليها الشيخ عمر

كتب الشيخ عيسى بن رميح وبعض كتبه هو رحمه الله، ثم صار يغذيها بالكتب، وعمد الشيخ على العبد العزيز العجاجي بفتحها ومراقبتها، واستمر ذلك إلى أن توفى الشيخ عمر رحمه الله، وبعد وصول الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد بريدة وجد النواة للمكتبة فطورها ثم بنى لها مبنى أوسع ثم بنى آخر مسلحاً خارج المسجد، ثم ضمت المكتبة فيما بعد لوزارة المعارف بعد سفر الشيخ عبد الله بن حميد للحجاز ومما يدل على علو همته وبعد نظره أن مسجد العيد الذي بناه لم يمتليء إلا بعد عشرين سنة من بنائه أما الآن فقد صار في بريدة بضعة مساجد للعيد .

مرضه ووفاته رحمه الله :

سبق أن قلنا إنه قليل الأكل كثير العمل في الليل والنهار مما أضعف جسمه، وقد أحس رحمه الله في آخر حياته، فأراد العزلة عن الناس بمزرعة كانت له خارج بريدة تسمى النقرة غرب القصيعة، فاتخذ فيها منزلاً وقال للطلبة إنه سيبقى هناك فمن أراد طلب العلم فليلحق به هناك، واتخذ ما يلزم لإطعام الطلبة وسكناهم عنده، وبقي هناك فترة قصيرة عبارة عن عدة أيام، وأبرق للملك عبد العزيز يستعفيه من القضاء، فأصر الملك على عودته لبريدة وعدم إعفائه من القضاء، فامتثل مكرهاً وبقي على

ضعف جسمه بضعة شهور ولكنه كان يبدو عليه الاجهاد فيصبر احتساباً ولا يبين ذلك ولا يعرفه إلا بعض خواصه وأهل بيته، وفي شهر القعدة بدأ يزيد عليه المرض ولكنه لم يقفل بابه عن المراجعين والمستفتين والزوار، وقد حضر صلاة عيد الأضحى مأموماً على غير عادته، وحمل إلى المصلى على دابة وبعد العيد ثقل جسمه، وزاد عليه المرض، إلى أن وافاه الأجل في يوم الأثنين الموافق ١٦ من شهر الحجة عام ١٣٦٢هـ في حوالي الساعة السادسة غروبي مع أذان الظهر، وكان قبل خروج روحه بنحو نصف ساعة قد طلب زوجته وأدخلته مغتسلاً قريباً من فراشه فاغتسل وتوضأ ولبس ثوباً جديداً ثم عاد إلى فراشه متجهاً نحو القبلة. وأمر القارىء الشيخ عبد العزيز بن صالح بن سليم أن يقرأ القرآن وقد استمر الشيخ عبد العزيز يقرأ القرآن والشيخ عمر يسأل عن الأذان بين فترة وأخرى واستمر الشيخ عبد العزيز يقرأ وكنا مجموعة من أقاربه حوله وكان أعرفنا لهذا الأمر ابن اخيه عبد العزيز بن عبد الرحمن بن سليم فرأيناه يذكر الله ويغمض عيني الشيخ، فعرفنا أن روحه تخرج، وكان رحمه الله قبل خروج روحه بدقائق يسأل هل أذن الظهر وكأنه على موعد معه، ومن شب على شيء مات عليه فقد كان رحمه الله يختم القرآن في كل يوم مرة، وفي رمضان كل يوم وليلة مرتين فخرجت روحه والقاريء يقرأ عليه فرحمه الله رحمة الأبرار وإنا لله وإنا إليه راجعون .

وقد حزن على وفاته مجتمع المملكة قاطبة وصلى عليه في جميع أنحاء المملكة، وأصيب أهل بريدة خاصة وما حولها بالذهول، وقال الملك عبد العزيز في برقيته بالتعزية لآل سليم بوفاته :

«هذا ركن في الشمال انهدم ومصيبته علينا ونحن عوضكم فيه» .

خلف ولدين من الذكور وعدداً من البنات فأبناؤه الذكور هما عبد الله وإبراهيم ولعبد الله مكتب للاستشارات الشرعية وهو طالب علم قوي الفهم مدرك. أما ابراهيم فقد تخرج من كلية التجارة والتحق بالوظائف الحكومية وله من هذين الأثنين عدد من الأحفاد منهم طلبة علم فعمر بن عبد الله قد تخرج من كلية الشريعة ومحمد بن عبد الله طالب علم يؤم في أحد المساجد وهو موظف بهيئة الأمر بالمعروف وله عدد من الأسباط بارك الله في عقبه ولابراهيم أبناء يدرسون في المدارس إلى الآن .

وقد رثي بمرات كثيرة من القصيم والرياض والحجاز والجنوب وسائر مدن المملكة فمنها مرثية الشيخ إبراهيم بن عبيد بن عبد المحسن تسلية للنفس وتعزية للأخوان، ويسأل الله تعالى أن يرفع منازله في الجنان ويسكن روعه يوم نصب الميزان :

بكينا عويلاً بالدموع الهوامع
لخطب دهانا بالهموم القواطع
غداة اتانا من قصيم مخبر
وينبي باخبار تغم لسامع
اتانا باخبار عظيم خطوبها
بهد ونقص للعلى والمنافع
فيا صاحبي حقق كلاماً سمعته
رويداً فلا تعجل بنقل المذائع
لعل إله العرش يخلف ظنهم
فما زال منانا لطيفاً بخاضع
فما هذه الدنيا بدار اقامة
فتباً لهم كم آذنت بالفجائع
فلو أنها تصفو لصافت ملوكها
واحبارها أهل النهار والمرافع
ولكنها غداره في فعالها
كما غرغر في سراب البلاقع
فما نالنا في ذا الزمان مصيبة
ورزء دها من معضلات القوار_
غداة سمعنا بانهدام لعرشنا

وكسر لأهل الحق من كل سامع

وذاك لعمر الله موت محقق

حكيم بصير عامل بل وجامع

لأشتات علم طالما حار أهله

فأبدى مخبا معضلات البدائع

هو العلم المشهور في كل محفل

حليف العلى والفضل للشر قامع

تسلسل من قوم هداة أجلة

ذوي العلم والتحقيق أهل التواضع

عنيت به حبر البلاد وبدرها

فتى من سليم فائقاً في المجامع

وذا عمر قل لي هو ابن محمد

تقي نفي علمه خير نافع

امام همام المعي محقق

جري على قمع الردى والمخادع

حبيب منيب بالعبادة ناسك

مجالسه يسعى لها كل راتع

خبير بأصناف العلوم جميعها

مفيد لطلاب العلوم التوابع

فمن لعلوم الشرع يشرع أصلها
ويحمي حما الاسلام من كل قاطع
ومن لبحوث بعده من مجاهد
يقوم بنصر الحق من كل خادع
ومن لعلوم الأصل يشفي لسقمنا
ويهدي لحيران جهول وضائع
ومن لفنون الأرث يقسم بيننا
ومن لعلوم النحو يكفي لسامع
فيا لوعتي من فقده وفراقه
وثلمته في الخلق بين المجامع
ويا حزني من بعده في ضريحه
فمن مثله فينا لبذل المنافع
ويا جزعي من نزع شيخ مهذب
يعيد ويبدي ديننا غير نازع
ترى حوله الطلاب من كل وجهة
يؤمونه بالكتب كل مسارع
فيعطيهمو من كل فن لطالب
كما هل قطر بانصباب الهوامع
ولما فجعنا بالممات لحبرنا

وفقد نبيه القدر نافي المطامع

ترانــا بهم باهــتين لرزئـــه

وعبراتنـا تجري كخـد اللوامـع

وكل يبكـي بانـكسار خواطـر

لدى عمهم فقد الحبيب الممانع

وقـاض لاقـليم هداة فطينـــه

فاضحى طللولا طامسات بلاقع

يحق لها نرمي على الأرض خشعا

وننفي لذيذ النوم عند المضاجع

فلو كانت الأموال تفدي لشيخنا

لجدنا بها في فكه بالتسارع

ولكن حكم الله لا بد نافذ

وما قد الرحمن لا بد واقع

قضاء قضاه الله جل جلاله

وما أمره إلا على رغم جازع

صبرنا لحكم الله من غير سخطة

وكل إلى مولاه لا بد راجع

فقد جاء عن خير الهداة محمد

بنقص لأهل العلم من كل نافع

وهذا هو التصديق حقاً فانه

صحيح اتى بالنص خذه وراجع

فيا أيها الاخوان صبراً فانـه

مضى لطريق كلنا فيه واقع

وقومـوا جميعـاً بالسؤال لربكـم

يلم لشمل الدين عند الفجائع

فأحسن مولاي الجليـل عزاءكم

كذا جبر المصاب من كل رائع

ووفقكم ربي طريقـة شيخكـم

بجد وتشمير وكسب المنافـــع

لأن كان حبر الناس أمسى مفارقاً

سقاه الردى كأساً مرير المجارع

وكانوا بلا راع يلم لشملهـم

وخلفهم حقـاً كأغنـام رواتـع

فذي عادة الدنيا بخل وصاحب

وكم آذنت أهلا بتشتيت المجامع

فيا فارج الهم الشديد كروبه

ويا منجي الغرقا رءوفاً بخاضع

ويا سامع النجوي قريباً لمن دعا

مجيب دعاء من سؤول وطائع

تفضل بنصر عاجل غير آجل

ومن باسعاف على كل ضارع

وصل الهي كل حين وساعة

على خير مبعوث كذا خير شارع

محمد الهادي إلى خير شرعة

نبي اتى حقاً بخير الشرائع

وآل وأصحاب هداة أجلة

ينادون بالاخلاص فوق المجامع

وقال الشيخ حمد بن مزيد قاضي الرياض يرثي المترجم :

على العالم النحرير شمس المعالم

نريق دموعاً مثل صوب الغمائم

فما قد دهانا ساعة بمصيبة

ورزء فظيع مزعج للعوالم

بمثل مصاب قد دهانا بروعة

وشدة لوعات أتت بالعظائم

وغم واحزان وهم وكربة

وبؤس وتنكيد لحلو المطاعم

لدن قيل مات الشيخ قطب رحا الهدى
حليف التقى سامي الذرى والدعائم
واعني به بدر الدجى علم الهدى
وذا الفضل والاحسان وافي المكارم
هو ابن سليم واسمه عمر لقد
سمى ذكره فوق السهى والنعائم
لقد أظلمت أرض القصيم بموته
وعم الدجا في نجدها والتهائم
فاعظم به من فادح جل امره
وهد لركن الدين للقلب كالم
فيالك من رزء فظيع ومزعج
وخطب مهول قاطع الظهر قاصم
فمن مثله يرجى لحل مشاكل
اذا اعجزتنا مشكلات المخاصم
ومن مثله في بذل علم وحكمة
وارشاد طلاب ونصح لعـــالم
لقد كان ذا عقل وعلم وعفة
وقلب سليم من جميع المآثم
فلله من حبر جليل وضيغم

هزبر على الأعداء غيظ المراغم

حليم رحيم ألمعـــي مهـــذب

فصيح نصيح صادق القول حازم

تقـي نفـــي ناسك متـــورع

عفيف نظيف من جميع اللوائم

غيور لدين الله سيف مهند

على الضد لا يخشى ملامة لائم

وقد كان عدلاً في قضاياه منصفاً

وفي الحكم بين الناس احسن حاكم

ويقضي بعلم لا بجهل وعن هوى

وليس بطياش عجول وغـاشم

ونهمته في العلم مذ شب يافعاً

وما همه الدنيا وجمع الدراهم

له في فنون العلم باع طويلة

يقصر عن ادراكها كل عالم

يحل عويص المشكلات بفقهه

ووقـاد ذهـن للغـوامض فاهـم

يقضي بتـدريس العلـــوم نهاره

ويحيي الليالي قائماً غير نائم

فوالهفي واحر قلبي ومهجتي
على فقد بدر الدين زين العوالم
مجالسه للعلم عادت خواليا
وامست قفاراً دارسات المعالم
كأن لم تكن يوماً رياضاً انيقة
زهت بزهور مطربات نواعم
وان وفاة الشيخ ثلم بديننا
وهدم عظيم ماله من ملائم
فقل للذي يقليه أو مبغض له
هلموا فسدوا منه لو ثوقب خاتم
فما مبغض للشيخ غير منافق
خبيث الطوايا فاسد القلب آثم
فصبراً بني الاسلام صبراً لما دهى
من المعضلات المفظعات العظائم
فان إله الناس منفذ أمره
على كل أرض بالقضاء وراغم
ولو كتب الله خلود على امرء
لخلد خير الخلق صفوة هاشم
ولكن موت المرء حق محتم

وذو العرش رب الناس احكم حاكم

سلوا الله أن يوليه عفواً ورحمة

ويحظى بفوز خالد فيه دائم

ويخلفه فينا بخير وعصمه

من الفتن الدهيا وسوء الخواتم

ويبقى لنا اعلام دين محمد

مشائخنا الأخيار من كل عالم

ويحيى بهم ما مات من هدي أحمد

ويمحو بهم سبل الردى والمآثم

ويجعلهم في الدين والخير قادة

تحث على التقوى وترك المحارم

وامر بمعروف ونهي عن الردى

وارشاد جهال وردع المخاصم

ويبقى لنا بدر الدجا سامي الذرى

امام الهدى بحر الندى والمكارم

ويجعله للدين والشرع نصرة

ويردي به الأعداء من كل ظالم

ويحمي به الاسلام ممن يرومه

بسوء وشر من جميع العوالم

فاكرم به من ذي تقى وشهامة
وليث هزبر في الحروب وحازم
رحيم حليم عادل منـــــفضل
سجيتـه التقـوى وهجـر المآثم
لأهل الهدى ذي رحمة وتواضع
شديد على أهل الردى والجرائم
فلا زال اسعـاد الالـه يمده
واعداؤه في كبت ذل ملازم
ويبقى ولي العهد نصراً لديننا
وقمعاً لأهل الزيغ من كل ظالم
يشد به ازر الامام مساعداً
له في شؤون المسلمين اللوازم
لقد كان ذا عقل ورأي وسؤدد
لوالـــده بر مطيـــع وخـــادم
فطلعتـه ميمونـة خير طلعـــة
ومسعاه في كسب العلا والمكارم
فلا زال بالتوفيق والنصر مسعداً
وعـــز وتمكين من الله دائم
وازكى صلاة الله ثم سلامه

على السيد المختار من نسل آدم

كذا آله والصحب مع تابعيهمو
وتابعهم من عربها والاعاجم

بعد نبات الأرض والرمل والحصا
وما انهل من وبل السحاب السواجم

وما هبت النكبا وما ذر شارق
وما اطرب الاسماع نوح الحمائم

وقال السيد أحمد بن عبد الفتاح من علماء جيزان :

ما للمدامع كالطوفان تنحدر
والناس سكرى وايم الله ما سكروا

ماذا الذي طم فاستكت مسامعنا
وطاش من هو له الألباب والفكر

وزلزلت عنده الأقطار واضطربت
منه الأقاليم يا للناس فاعتبروا

هل هذه نفخة في الصور واجفة
اضحت تصيح لها الموتى فتنتشر

ماذا التحير والأحوال قارعة
من الحوادث يعمى عندها الخبر

بل هذه صدمة الأقدار وا أسفا

تكاد تفقد عين العلم والأثر

بموت حافظ هذا العصر ناشره

كذلك الموت لا يبقى ولا يذر

حبر العلوم كما دلت مرافقه

وجهبذاً نخبته الأعصر الاخر

فذ يعز على العلياء فرقته

فقد يطيب لها مع مثله السمر

شهم تجافى عن الدنيا وزخرفها

واختار داراً إليها ضمه السفر

دار الكرامة والاجلال حيث بها

حور الجنان إلى لقياه تبتدر

فيها تطوف به الأكواب داهقة

إذ يحتسبها ولا لغو ولا سكر

فيها يشاهد ما لا اعين نظرت

بين الحقائق يجري تحتها الزهر

حيث المواهب تعطى لا حساب بها

حيث الصفاء ولا هم ولا كدر

مع الأولى وحدوا الرحمن واجتهدوا

وقطعوا الليل بالنسيج وابتكروا

راضوا النفوس فخلناهم ملائكة

عند المناجات الا انهم بشر

الله أكبر إذ نادى مودعه

في رحمة الله والغفران يا عمر

فاض الدموع وفاض الشعر فاستبقا

وصرت انظم حين الدمع ينتثر

من غير سبك لأن الفكر مندهش

اما يحق لها ان تدهش الفكر

وقد قلبت نظام الشعر آونة

من محدثات امور كلها عبر

دع عنك ذكرى الذي كان اسكتني

في مثل موقفنا لا تذكر الفجر

وابك الفنون وقد مات ابن بجدتها

وزال عن طالبيها السمع والبصر

من للعويص اذا دجا دياجره

ولم يكن في علم منه ينتشر

من التلاميذ كالوراد من ظميء

لفيض بحر به الأمواج تزدخر

ظلوا حيارى غداة النعي فاجأهم
وبيتوا القول هلى يقضى لهم وطر
مات الذي غرست يمناه غرسهم
فمن يغذيه حتى يطلع الثمر
من للمواعـظ يمليها مرتلـة
من كل معنى لديه يخشع الحجر
وحسبنا الله هل يدري مشيعه
من غيبوه ومن في الترب قد قبروا
وانما الآية الـكبرى لمعـتبر
ان تحو بحراً عجاجاً هذه الحفر
وتهبط الشمس للبيدا فتسكنها
ويختفي اليوم في اطباقها القمر
اين الذين يصدر الفتوى مكللة
من الأدلـة بالبرهـان تزدهـر
أودى وغـادر اذهانـاً مشتتـة
من هول مصرعه قد حلها الخطر
لأن تغيب منه في الثرى جسد
فما تغيب منه الذكر والأثر
لم تتحد يعرب الا عليه أسا

ولم يضمهم في ذاك مؤتمر

فكل فرد من التبريح فيه حوى
قلباً ترامى به الأحزان والضجر

يا اهل نجد وقيتم كل كارثة
ونلتم اجر من عند البلا صبروا

ان المصاب ولو جلت فوادحه
يهون في مصرع المختار فاذكروا

واستشعروا الصبر وارتادوا العلوم ولا
تألوا اقتراباً إلى نهج الأولى غبروا

وامشوا على سنن الاسلاف حيث مشوا
مع الدليل وقد فازوا وقد ظفروا

وحبذوا فكر الطلاب واستبقوا
ونابذوا خطة العصري وانتهروا

بثوا النصائح واصلوا كل مبتدع
صواعقاً من سماء الشرع تنفجر

وثابروا وانشروا الدعوى تؤيدها
من المليك سيوف الهند والسمر

عبد العزيز أطال الله مدته
في نصرة الحق ان الحق منتصر

من اتعب النفس في تكميل راحتنا
حتى يلذ له في نومنا السهر
برا بأمته سهل الحجاب لهم
رمز التواضع ما في خده صعر
من وطد الأمن والدنيا مروعة
من المخاوف والهيجـاء تستعـر
لا هم ايده بالنصر المبين على
اعداء دينك من يحدوهم البطر
واشدد بانجاله من ازره وهم
اهل المعالي ونعم القادة الغرر
واسبل شآبيب رضوان ومغفرة
على الفقيد وعفو منك ينهمر
من مات في صفر[1] من صدر عام وقل
أمسيت دارك عليين ياعمـر

وممن رثاه تلميذه الوفي الشيخ عبد المحسن بن عبيد بهذه القصيدة :

(١) وفاته كانت في ذي الحجة لا في صفر كما ذكر الشاعر ولكن لقلة المواصلات في ذلك الوقت لم يعلم عنه إلا في صفر .

اشكو إلى الله علام الخفيات

مصيبة عظمت لا كالمصيبات

موت التقي الامام قدوتنا

الماهر البطل العالم السرات

محقق العصر مفتي الوقت عالمنا

فقيه نجد باطلاق البريات

محي العلوم وقاضي عصره عمر

ذو العقل والدين مع حسن السجيات

مفتي البلاد وحيد العصر فاضله

اخو المعارف فينا والسعادات

العالم الفاضل ابن الشيخ عالمنا

علامة الوقت مأمون السريرات

مصيبة الشيخ ليست كالمصيبات

لكن على ذي التقى من كل قنات

نجم هوى في الثرى فالله يجبرنا

على مصاب ثوى من بين أموات

رزء ثقيل على الاسلام قاطبة

والمسلمين كذا كل البريات

خطب جسيم على نجد وساكنها

اعظم به من خطوب الماجريات

ربعت له من ذوي التوحيد افئدة

فكم دموع جرت تتلو لعبرات

فيالعين بهطل الدمع قد بخلت

متى تهل مع العبرات قطرات

يا عين فابكي على شيخي ولا تهني

واهمي من المدع كرات عديدات

فالحمد الله لا نشكو إلى أحد

سوى العليم بأسرار الخفيات

حمداً كثيراً كما يرضاه فاطرنا

على القضاء كذا كل الذي يات

صبر جميل وتسليم لمالكنا

يارب لطفاً لدى كل المهمات

فقد عرتنا أمور انت تعلمها

يا عالم السر مع كل الجليات

فاجبر عزانا بلطف منك يا أملي

والمسلمين كذا كل البريات

واخلف لنا فاضلا يحيى مجالسه

يحيى من السنة الغرا لميتات

موفقـــاً مخلصاً لله همتـــــه
نصح الخلائق مع تصحيح نيات
اذا تذكـرت احـوالا لعالمنـــا
فاضت دموعي على خدي بعبرات

كم سنة شادها يومـاً بهمتـه
كم حجة صدرت منه وآيات
كم من نصائح سارت في الورى غرراً
بين الملاء وأربـاب الولايـــات
الله أكبر من ذا يحصي مناقبه
مع عد أحواله الغر السنيات
كانـت مجالسه بالعلـم عامـرة
يؤمهـا معشر القـــراء كرات
من كل قطر تراهم حوله زمراً
يا لهف نفسي عليه بين أموات
لو كان يقبل منا الموت فديته
كنا افتدينا أبا حفص بما يات
بالنفس والمال والأهلين كلهـم
طرا جميعاً كذا كل القرابات

لكنه الموت لا يبقى على احد
كل البرية تفنى بالمنيات
لا يسأم الدرس لا حضراً ولا سفراً
في كل حين يحيى وساعات
من للمجالس بعد الشيخ يعمرها
كأن مجلسه روضات جنات
من للتصانيف والاجزا يحللها
والمشكلات لدى هذي البريات
من للفرائض يبدي من غوامضها
من ذا يفيد لأرباب السؤالات
من يصطبر صبره للعلم محتسباً
يدعو إلى الله علام الخفيات
من مثله في علوم الشرع نقصده
إذا ادلهمت خطوب الماجريات
الحمد لله حمداً دائماً وكفى
حمداً كثيراً على كل الذي يأتي
يا رب نوب ضريحاً كان ساكنه
وحفه بالرضا مع محو زلات
واخلفه في آله والمسلمين معاً

يا رب فاسمع دعائي مع شكاياتي

آنس لوحدتـه وارحـم لغربتـه
واجعل ملاحده روضات جنات

يا رب صل وسلم على المختار سيدنا
محمد المصطفى من ذي البريات

والآل والصحب ما هب النسيم وما
كر الجديدان مع كل القرابات

وقال الشاعر الأديب الشيخ صالح بن عبد العزيز بن عثيمين راثياً شيخه الشيخ عمر بن محمد بن سليم قدس الله روحه:

مصاب عظيم حق فيه التلهف
وصارت به عيناي بالدمع تذرف

ولا بدع ان استبدل الدمع في دم
فما ناظر يبكي الدم الآن مسرف

فيا عين فابكي واحذري من تكاسل
وخل الهوينا ان صبري ليضعف

ويا موت زرلا خير لي بعد في البقا
اذا ارتحل الاخيار لم نتخلف

اذا انت أسرعت ارتحال خيارنا

وابقيت قوماً ليس في الخير تعرف

فمني على الدنيا السلام جميعها

ولست على أبنائها أتـــأسف

لقد حل في ذا العالم مفقد عالم

بمفقده شمس من العلم تكسف

لقد حل في ذا العام مفقد عالم

به حل في اطراف ارض تخوف

فقدنا بهذا العام نجل محمد

هو ابن سليم الزاهد المتصوف

فقدنا بهذا العام بدر هداية

فيا عمر من ذاك بعدك يخلف

فلو ان فيك الموت يقبل فدية

لكنت بهذا الأمر للروح اصرف

فيا عمر افديك روحي ومهجتي

فأفعالك الحسنى بنا لا تكيف

فأنت الذي في العلم مدت انامل

اليك فعادت بعد مد تكفكف

فحقاً وجوه الفقه زال جمالها

وعن جسمها طوى القميص المفوف

وحقاً فما للفقه بقى مفرع
واسماع طلاب له لا تشنف
وحقاً طريق المذهب الآن هابه
جسور بما ابداه احمد يكلف
وحقاً عويصات المسائل ابقيت
كآي صفات بالتلاوة تتحف
وحقاً بكى المغني وكافي وغناية
واقناعهم شرحا اراد المصنف
وحقاً فمغني النحو اصبح مشكلا
وكل غريب فيه ليس يعرف
وحقاً فجار الله(١) دق اعتزاله
وما دس في كشافه ليس يكشف

وحقاً فلن ينهى مراد نهاية
عليه غريب فهمه ستوقف
فسيافه في البحث قاطعة الضبا
بها امتاز ما قذ صححوا والمزيف

(١) يعني ان الزمخشري محمود المسمى جار الله دس في تفسيره المسمى الكشاف اموراً من الاعتزال وهي دقيقة لا يعرفها إلا ذو المعرفة من العلماء يشير بأن نقاد العقائد قليلون ومن يعرف الاعتزال بعد الشيخ عمر بن محمد بن سليم (بن عبيد) .

يقوم بايضاح المسائل جاهدا
واشتاتها بعد افتراق يؤلف
واقلامه فيه الاوابد لم تزل
بتقييد علم من مداده تغرف
له قدم في الفقه سابقة الخطى
كما في كمال الدين والعقل يوصف
فكم كان يحيى فيه ليلا كأنما
يصيد بفخ الفهم دار ويكتف
ابان الخفايا بل اذا لبيانه
اردت اختباراً سحر بابل يردف
مثقفة الفاظه عذبه الجنا
فما غير ذاك اللفظ قيل المثقف
طوى الموت حقاً حنبلي زمانه
طوى الموت حقاً من هو المتعفف
طوى الموت من في العلم اصبح ساعياً
بعزم صحيح مقدماً لا يسوف
قفوا خبرونا من يقوم مقامه
ومن ذا بمحراب الهداية يعكف
قفوا خبرونا من يوقف طالبا

على غامض الآيات لا يتكلف

قفوا خبرونا من اذا ولي القضا

فميزانه القسطاس ليس يطفف

ومن ذا تطيب النفس يوماً بقوله

سواه ومن ذا بعده قيل منصف

هو الجبل الراسي تهدم ركنه

قفوا نبكه يا أمة المصطفى قفوا

حوى من مواريث النبوة ارثه

وصارت به اعلام علم ترفرف

وفي موته الاعلام عادة إلى الثرى

ورد به الاعلام ما منه خلفوا

تنكر هذا العصر لكن فانه

بطيب ثنا ابقاه فينا معرف

وقد لبست نجد ثياب حدادها

على زوج فضل لا عن الحق ينكف

لأن مهد التمهيد مضجعة له

فكوكب ما ابقى من العلم مشرف

سأبكية بالدرين دمعي ومنطقي

بسلك تآبين عليه تؤلف

اجاوب ورقاء الحمام بشجوها
واغلبها في لوعتي حين اهتف
سأنشد قبراً حل فيه رثاءه
واعصى عذولا شاء عن ذاك يصدف
فلهفي لا مداحي عليه تحولت
رثاء بها تلك المدامع تنطف
ولكن فما بعد النبي محمد
رجاء بقا والخلد لا يتشوف
فما نحن الا ركب موت إلى البلا
صرفو الليالي للمنية تقذف
فهذا سبيل العالمين جميعهم
فذا لاحق هذا وهذاك يسلف
فيارب روى الروح في صوب رحمة
فقد كان في الدنيا بها يتعطف
وروحه بالريحان والروح والرضا
والحق به في الحشر من فيه يشغف
وارخ فقيه العصر حين رثائه
قضى عالم الدنيا لمولاي يأزف

وهذه مرثية للشيخ عبد العزيز بن الشيخ محمد بن ابراهيم آل الشيخ بالشيخ عمر بن سليم :

الدمع من عيني ذو هملان
والقلب مملوء بذي الأحزان
والجسم اصبح مستدقاً ناحلا
والنوم حارب مقلتي وجفاني
والليل طال وبدلت نعماؤنا
بؤساً لفقد العالم الرباني
عمر الذي عمر المجالس بالتقى
والدرس والتحقيق والعرفان
رب المعارف والحقائق والعلى
والحلم والارشاد والاحسان
ورث المكارم كابراً عن كابر
بنو سليم هم أولو الأتقان
يتقشفون على كثافة قدرهم
يتواضعون وهم عظيمو الشان
من للمجالس في بريدة بعده
من للعلوم وسنة العدنان

يا رب فارحمه واسق ضريحه
صوبا من الرضوان والغفران
مولاي ابق لنا امام الدين ذا الـ
ـتحقيق ناصر شرعة الرحمن
قمر الدجا رب العلى زين الملا
بحر العلوم وترجمان قرآن
شيخ المشائخ سيد العلماء في
هذا الزمان بلى وكل زمان
هو والدي والحق يشهد أنني
فيما أقول مقصر ببيان
يا رب فاحفظه ومتعنا به
يا دائم المعروف والاحسان
وامنن علي ببره ورضائه
وكذاك أولادي كذا اخوان
وأفض علينا منه علماً نافعاً
يا سيدي يا منزل الفرقان
وكذاك ابق لنا مشائخنا فهم
فينا البدور تضيء للعميان
واغرس لهذا الدين غرساً واحمه

من كيد كل ملدد شيطان

ثم الصلاة على الحبيب شفيعنا

والآل والأصحـــاب والأعـــوان

ماسح ودف أو تغني منشدا

الدمع من عيني ذو هملان

وهذه مرثية الشيخ الأديب محمد بن عبد العزيز بن هليل عضو ديوان المظالم وقاضي الدوادمي سابقاً بالشيخ عمر بن محمد بن سليم :

رضا وصبراً وحمداً ليس منحصراً

على قضاء مليك للورى فطرا

سبحانـه وتعـالى لا مرد لما

اراده لجميع الخلق قد قهـرا

إنّـا له وإليـه أمـر مرجعنـا

وكل شيء فمنه محكـم قدرا

مصارع الموت للألباب واعظة

في كل حين ترينا الهول والعبرا

لكننـا غلـــبت والله غفلتنـــا

نستغفر الله ربي خير من غفرا

فاليوم ظلت وقد جلت مصيبتنا
سحائب الدمع منا تقذف العبرا
على امـام همام عالم علـــم
حبر تقي قضى وقد قضى العمرا
في خدمة الدين والتوحيد مجتهداً
عن حسن قصد وقلب بالتقى عمرا
محارب عصب الاشرار قامعهم
وللمساجـد بالأذكار قد عمـرا
مجاهد ناسك إلى المناسك ذي
شوق متابعها حجا كذا عمرا
محقق فاضل بالعلم ذي عمل
موفق السعي اعني شيخنا عمرا
ابن سليم الذي لله قد سلمت
له العقيدة في الاسلام واشتهرا
الناشر العلـم بالتعـليم محتسبا
ملازماً حضرا لذاك أو سفرا
إليه تضرب اكباد المطى لاخـ
ـذ العلم عنه تجوب السهل والوعرا
القـائم الليـل للـرحمن نافلـــة

مرتلا خاشعا لربه السورا

ينهى عن المنكر والآثام بأم بالـ

معروف من بعد ما يفعله ائتمرا

وفقد أهل التقى والعلم سادتنا

رزية تورث النقصان والضررا

فنحن في زمن زادت مصائبه

والخير أصبح من تحت الثرى قبرا

فالعلم يرفع والجهل المضر طما

بحر له ظل فيه المرء منغمرا

ورفعه بممات الحاملين له

قد جاء ذلك فيما قد روى خبرا

عن النبي عليه الله خالقنا

صلى وسلم ما نجم بدا وسرا

والآل والصحب أهل الصدق اجمعهم

والتابعين ومن للدين قد نصرا

وقال السيد على السنوسي قاضي جيزان السابق هذه المرثية البديعة في شيخنا المترجم :

احقاً توفى في ربا النجد عالم

وضمته أقطار الثرى والمعالم

نعم عمر الفاروق ابن محمد
توفى فما حي سوى الحق دائم
فكم امم قد اصرع الموت قبله
فلم تغن عنهم دورهم والعواصم
وآثارهم ما بين شرق ومغرب
لنا عبرة منها حصيد وقائم
فكيف بقاء الفرع والأصل ذاهب
بما قد مضى من اعصر فهو داهم
ونعلم أن الموت حق وانما
لنا أمل في فسحة العمر هائم
ويغتر في غصن الشباب اخو الهوى
وينسى لما تجنى عليه الجرائم
ولا يرعوى فيما يرى من مصارع
لأقرانه حتى يفاجيه هاجم
فلا أسف ان مات يوماً فإنه
كما عاش في الدنيا تعيش البهائم
ولكن يموت العلم في موت أهله
ويقبض حتى يعوز الناس عالم

وما موت فاروق الزمان بعلمه
سوى فزع ترتج منه العواصم
ولما اتاني نعيه رجفت
بي الأرض وانسدت بقلبي المناسم
وأوجب لي فيه المصاب لدهشة
عرتني إنكاماتها(1) أنا واجم
فلا تعجبوا ان غاب فكري بمن
شط عني في رُبى النجد حائم
وصرت اذا ما رحت ارثيه حائرا
من المدمع السيال والطرف ساجم
وانفض كفي من تشوش فكرتي
أفي يقظة لم ادر أم أنا حالم
وتبت يدا موت رمته فأقصدت
على انه ابن العلا وهو حازم
بكى النجد من حزن عليه واغلقت
على موته اسواقه والمحاكم
وقد لبست ثوب الحداد تفجعا
عليه السما والأرض والجو قاتم
فمن للفتاوى بعده من محرر
لاقلامه فيها تسوح مراسم

(1) انكامها : مصائبها .

ويوردها في الحال دون توقف
على رقة تغتار منها النسائم

قضى العمر في نشر العلوم وحكمة
بديعيـة تهوى حلاها المبـاسم
وان رام اظهار الخمول ليتقي
به حاسداً تأبى عليه الشكائم
يفوح عبير المسك وهو مختم
ويسرى برياه الدجى وهو كاتم
وكان وقورا بالحلال اذا اجتنى
لفصل القضا لم يرفع الصوت ظالم
ويطرق كل رأسه في تأدب
بدون انقباض حوله وهو باسم
وكان على سمت الصلاح شعاره
بقلب حوى فيه التقى والقوادم
وقد فقدت في موته كوكب الهدى
عريب النقا يوم القضا والاعاجم
وجاوز اهل العلم والفضل والتقى

إلى رتبة قد اعجزت من يزاحم

وقد كان يقضي حيث يمضي محررا

لأحكامه لا يعتريه التساؤم

ويقضي على ما عنده غير باحث

بتفتيشه كتباً كمن هو واهم

ويوحي إليه القلب ما يستمده

لسان فصيح كلما سل صارم

وغالطنا هذا الزمان الذي به

تساوى اخو الجهل ومن هو عالم

فلم نر فرقاً بين قاض وغيره

وقد كثرت فوق الرؤوس العمائم

ولولا امام الحق عاهل يعرب

بتوفيق رب العرش بالحق قائم

لاصبح علم في الحضيض واهله

لكثرة من في صرحه اليوم هادم

وبث رجال العلم في كل بلدة

وقد نهضت بالنابغين العواصم

ولا سيما جازان مركز عدله

واتعامه فيمـــــن تضم التهائم

وكافأة الرحمن عنا بمثل ما
أجاز به من للنبيين خاتم

وايده في دولة عربية
قواعدها دين الهدى والدعائم

وانجاله والرافلين بظله
على نعم خطت ثراها المكارم

ومن مرثية الشيخ عمر بن صالح الوسدي في شيخه عمر رحمه الله :

فلا خير في الدنيا وهذه حالها
تقضت سريعاً آذنت بالتناقل

وهذا زمان قد أبيد خياره
كسلك نظام فاضلاً بعد فاضل

ومفضول هذا الناس اصبح فاضلا
وفاضلنا قد صار تحت الجنادل

هو الشيخ من سمى بفاروق وقتنا
سمي أبي حفص كثير الفضائل

سلالة آل من سليم اطاهر
تقياً نقيا ناسكا غير كاسل

تبحر في فن العلوم جميعها
يقررها في الناس بين المحافل
اصولا وفقها والفرائض بعدها
علوم الحديث عالم بالدلائل
كذلك نحو والحساب وغيره
خبير بتدقيقها والجلائل
فكم بدعة شنعا ازال ظلامها
وكم سنة احيا بها موت جاهل
مجالسه معمورة كل لحظة
بليل نهار في الضحى والأصائل
وينتابها الطلاب من كل وجهة
فكم باحث فيها وتال وسائل
فوالهف نفسي من رسوم قد انمحت
وأقفرت منا رياض المسائل
سفتها رياح للشمال وبعدها
رياح جنوب والصبا والمقابل
فواحر قلبي ويا عظم حسرتي
تفتت كبدي بل وهاجت بلابل
أقلب جسمي في الفراش كأنني

لديغ بسم من افاع قواتل

فكيف يطيب العيش من بعد شيخنا

وكيف لنا نستمتعن بالحلائل

فيا عين جودي من الدمع واسكبي

دموعاً غزاراً كالسحاب الهواطل

وبعد الدموع بالدماء فبادري

وبعد الدما نفس تفيض بعاجل

كذاك السما تبكي على كل مؤمن

برفع اعمال من صعود ونازل

حدث الشيخ ابراهيم بن محمد آل الشيخ وزير العدل سابقـاً قال لما توفي الشيخ عمر بن محمد بن سليم ورد على الشيخ محمد بن ابراهيم آل الشيخ خطاب تعزية من أحد المشايخ بالشيخ عمر وآخر معه فاسترجع الشيخ محمد وأمرني أن أكتب هذه الأبيات رثاء للشيخ عمر رحمه الله تعالى :

ان المصيبة حقاً فقدنا عمرا

اعظم بميتته رزء بنا كبرا

قطب القصيم وما دون القصيم وما

خلف القصيم وما مجرى القصيم جرا

عليه دار الهدى والحق بينه
كان الحياة وكان السمع والبصرا
ارزقه يا ربنا عفوا ومغفرة
واجبر مصيبتنا يا خير جابرا
ك

تلامذة الشيخ عمر بن محمد بن سليم :

١ - الشيخ العلامة محمد بن عبد العزيز العجاجي وهو في زمنه أشهر تلامذة الشيخ وكان يخلفه في التدريس إذا غاب الشيخ وقد افردنا له ترجمة خاصة .

٢ - شيخنا العلامة الشيخ عبد العزيز بن ابراهيم العبادي وهو من أشهر تلامذة خاله الشيخ عمر وقد افردنا له ترجمة خاصة .

٣ - العلامة الورع الزاهد الشيخ محمد بن مقبل العلي آل مقبل قاضي البكيرية وقد افردنا له ترجمة خاصة .

٤ - الشيخ محمد بن صالح المطوع خلف شيخه على أمامه مسجد عودة ببريدة وصلى فيه ودرس قرابة خمسين سنة أو تزيد وقد أفردنا له ترجمة خاصة .

٥ - شيخنا العلامة الشيخ محمد بن صالح بن سليم رئيس هيئة التمييز بالمنطقة الغربية وقد سبق له ذكر ضمن تلامذة الشيخ عبد الله بن محمد بن سليم .

٦ - العلامة الشيخ سليمان بن عبد الرحمن العمري الامام والمدرس بالمسجد النبوي والقاضي بالمدينة المنورة ثم رئيس محكمة الاحساء وقد افردنا له ترجمة خاصة .

٧ - الوالد الشيخ سليمان بن محمد بن سليمان العمري وقد افردنا له ترجمة خاصة .

٨ - الشيخ عبد العزيز بن صالح بن سليم وقد أفردنا له ترجمة خاصة .

٩ - الشيخ وايل اليحيا الطريقي قاضي الغطغط وقد تقلب في عدة وظائف دينية وقضائية خلال خمسين سنة أو تزيد وقد أفردنا له ترجمة خاصة .

١٠ - الشيخ صالح بن أحمد الخريصي رئيس محاكم القصيم .

ترجمة للشيخين الجليلين شيخ الاسلام شمس الدين بن تيمية وتلميذه شمس الدين ابن القيم رحمهما الله رحمة واسعة وغفر ا لنا ولهما وجميع المسلمين بمنه وكرمه واحسانه .

شيخ الاســلام
ابن تيمية
نشأته ــ عصره ــ دراسته ــ دفاعه عن الوطن

نشــأته

لم تكن نشأة هذا العالم الجليل تختلف عن نشأة علماء زمانه، ومفكري عصره من الفلاسفة والمناطقة المسلمين .

ولد ابن تيمية[1] بمدينة «حران»[2] يوم الأثنين في العاشر من ربيع الأول عام ٦٦١هـ، واسمه الكامل هو «تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية» .

---

(١) في تاريخ أربل : أن جده سئل عن اسم (تيمية) فأجاب : إنه عندما حج، كانت امرأته حاملاً، فلما كان بتيماء ــ بلدة قرب تبوك ــ رآى جارية حسنة الوجه وقد خرجت من خباء، فلما رجع وجد امرأته قد وضعت بجارية، فلما رفعوها إليه، قال ياتيمية، ياتيمية أي أنها تشبه التي رآها بتيماء، فسمى بها ..

(٢) حران : بلد موطن الصابئة بالشام، والصابئة طائفة اختلف المؤرخون في عقائدها قيل : إنها لم تكن تدين بدين سماوي، بل كانت باقية على فطرتها، وقيل : إنها كانت تدين بالتوحيد، وقيل : غير ذلك .. راجع : تفسير ابن كثير ج١ ص١٠٤ .

وكانت ولادته في أسرة دينية، عرفت بنزعتها إلى الورع والتقى، وحرصها على التزود من علوم الفقه والدين، وتتابع المعرفة الحقة، والعلم الصحيح، فأبوه هو شهاب الدين «عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن تيمية» نزيل دمشق، ولد بحران عام ٦٢٧هـ وسمع العلم من أبيه وغيره من العلماء، حتى إذا أتقن العلوم والفقه، وملك ناصية البيان، جلس للتدريس والافتاء، وصار شيخ البلد وخطيبه وحاكمه :

ويذكر الذهبي في تاريخه : إنه درس المذهب الحنبلي على أبيه حتى أتقنه فدرّس وأفتي وصنف، وكان إماماً محققاً غزير العلم جم المعرفة وكان ديناً متواضعاً حسن الأخلاق، وكان علماً على طريق الهدى، ونجماً في طريق الحق، كما كان جواداً كريماً بالحسنات في عصره .

ويقول البرزان عنه : إنه كان من أعيان الحنابلة، باشر بالشام دار الحديث، السكرية، وكان له كرسي بالجامع، يتكلم عليه أيام الجمع من حفظه(١).

ذلكم هو أبوه .. أما جده، فهو شيخ الاسلام، مجد الدين أبو البركات «عبد السلام بن عبد الله بن تيمية» الحراني، الفقيه،

---

(١) راجع : جلاء العينين لابن الألوسي البغدادي ص١٩، وراجع شذرات الذهب ج٥ ص٢٧٦ .

الحنبيل، الإمام، المقريء، المحدث، المفسر، الأصولي، النحوي، وأحد الحفاظ الأعلام .

ولد بحران عام ٥٩٠ هـ، وأجاد حفظ القرآن الكريم بها، وسمع من عمه الخطيب «فخر الدين» وغيره من العلماء الأجلاء، ثم رحل في طلب العلم إلى بغداد، وأقام ست سنوات، ينهل من موارد العلوم، وينابيع المعرفة .

ويروي ابن تيمية «الحفيد» عن جده، فيقول «كان جدنا عجباً في حفظ الأحاديث وسردها، وحفظ مذاهب الناس بلا كلفة»(١) .

ويروى غير حفيده عنه أيضاً فيقول «ألين للشيخ الجد الفقه، كما ألين الحديد لداود»(٢)

ويذكر الذهبي في تاريخه : إن الشيخ مجد الدين كان معدوم النظير في زمانه، رأساً في الفقه وأصوله، بارعاً في الحديث، له فيه اليد الطولى في معرفة القراءات، والتفسير، وكان فرد زمانه، مفرط الذكاء، متين الديانة، كبير الشأن .

(١) راجع : تذكرة الحفاظ للذهبي .
(٢) راجع المصدر السابق .

وإذا تجاوزنا أباه وجده، إلى غيرهما من أعضاء أسرة ابن تيمية «الحفيد»، نجد أن كثيرين منهم، كان له مقامه الجليل في ميادين العلم والمعرفة، وسيرهم مذكورة في كتب الرجال، ومعروفة في التاريخ لمن يريد أن يعرف ما كان لهم من عظيم الشأن، ورفيع المنزلة .

هذه هي اسرة شيخ الاسلام ابن تيمية ..

ولقد أكد العلم المعاصر ما سبق أن عرفه العرب القدامى من تأثير عاملي الوراثة والبيئة على نشأة الانسان وتربيته، ومن انتقال الاستعدادات العقلية والخلقية من جيل إلى جيل عن طريق الوراثة .. كما أكد العلم دور البيئة والأسرة في التمهيد لظهور استعدادات الشخص العقلية .

كان ابن تيمية من طراز هؤلاء الرجال الذين جمعوا بين أكثر من عامل للنبوع .. وحين جمع ابن تيمية بين هذه العوامل، جعلت منه شخصية عظيمة في الفقه، فريدة في العلم والمعرفة .

وتجلت هذه العوامل :

في اسرة ورث منها ما عرف عنها من النبوغ والتفوق والاحاطة .

وفي بيئة تمتاز بالصلاح، وتمتلىء حياتها بالعلم .

وفي ذهن صاف يحفظ ما يقرأ .

وفي عقل متزن يميز الطيب من الخبيث .

وفي حافظة قوية، تعي وتختزن ما تسمع وما تقرأ .
وفي ذاكرة رقيقة تستجيب له، وتعطيه كل ما يريد أن يفيض القول فيه .

هذه العوامل مجتمعة، توفرت للإمام ابن تيمية، فاتجه ــ منذ نعومة أظافره ــ اتجاه أسرته في البحث والشغف بعلوم الدين والفقه بها، حتى أصبحت القراءة والاطلاع، والتزود بالمعارف لديه أشبه بالشراب والطعام .

عاش الإمام أحمد بن تيمية في كنف أبيه، وتحت رعايته، ثم رحل عام ٦٦٧هـ مع أبيه وإخوته إلى دمشق، وكانت جيوش التتار قد قدمت إلى الشام، وكادت أسرة ابن تيمية أن تتعرض لخطر التتار الزاحف على الشام لولا عناية الله، فنجوا من بلاء التتار، وكان هذا تمهيداً لأن يأخذ ابن تيمية دوره في المجتمع آنذاك كمصلح اجتماعي عظيم، وكداعية لدعوة التوحيد، وكسلفي يريد أن يعيد للإسلام عقائده ومبادئه، وينشر أحكامه وشرعه، ويقضي على كل ما هو مخالف لدعوة التوحيد، وأمور الإسلام من الخرافات والبدع والأباطيل .

وفي دمشق ــ إحدى مراكز العلوم والمعارف الكبيرة في ذلك الوقت ــ نشأ أحمد بن تيمية، ونما ومضى في ركب العلم، فدرس، وأكب على تحصيل العلم، فحفظ القرآن والحديث، وعلوم

اللغة وآدابها ونحوها .. ثم اتجه إلى دراسة الأحكام الفقهية، والعلوم الدينية، عن طريق البحث والتنقيب، وكانت وجهته في ذلك علماء عصره، ومفكري زمانه، وكان أبوه أحد هؤلاء الذين ساهموا بتعليمه وتثقيفه .

كذلك استمع ابن تيمية إلى مناقشات العلماء، وآراء الأدباء، ومساجلات الفقهاء كما قرأ دواوين الاسلام الكبار، مثل : صحيحي البخاري ومسلم وغيرهما من كتب السنة الصحيحة والمؤلفات الفقهية .

وحين استوت قراءاته وبحوثه، وحين نضج فكره، وبلغ أشده، آتاه الله العلم والحكمة، وصار أحد الأئمة الأعلام، ومن كبار شيوخ الإسلام الذين خلد الزمن أسماءهم، وحفظ لهم التاريخ علمهم .. وحينئذ، دخلت حياته طوراً جديداً يختلف عن طور البحث والتحصيل، فأخذ يلاحظ قومه عن قرب، ويراقبهم عن كثب .

وقبل أن نتحدث عن جهاد ابن تيمية لقومه، ومكافحته لعوامل الفساد والخرافات والأباطيل التي زخر بها مجتمعه .. يحسن بنا أن نتحدث عن عصره لنبين مدى كثافة الجهل، وظلام الفكر في ذلك العصر، ومدى ما كان يلاقيه هذا الإمام المجاهد الصابر من صعاب، وما يصادفه من مشقة في سبيل إظهار عقيدته ومبدئه، وإيمانه .

عصـــره

عاش ابن تيمية في عصر حالك أسود متلاطم بأمواج من الضعف والفساد والانحراف في النواحي السياسية والاجتماعية والفكرية، والعقائدية ..

الناحية السياسية : المعروف أن الدولة الإسلامية العربية، حافظت على وحدتها في الشرق والغرب، طوال عهد الخلفاء الراشدين، والدولة الأموية وكان لهذه الدولة أهدافها المتمثلة في تحقيق سيادة الدستور الإسلامي للعالم، والحكم بما شرع الله، كما كان من سمات هذه الدولة، أن لها سياسة واحدة، ورأياً واحداً يضعها الخليفة .

ثم نشب صراع حزبي عنيف بين الأمويين والعباسيين، وانتهى هذا الصراع بقيام الدولة العباسية في الشرق، والدولة الأموية في الغرب في الأندلس .. كما انتهى أيضاً بإنشاء دول أخرى في شمال إفريقيا .

وبعد استقرار الأمر للأمويين بالمشرق، وازدهار دولتهم، حدثت الفتنة المدمرة بين الأمين والمأمون، وكان هذا إيذاناً بتمزق الوحدة الإسلامية، وتشتت كيانها .

ثم جدَّت أحداث أخرى ــ خلاف هذه الفتنة ــ زادت من رقعة التمزق في الكيان الإسلامي، وعملت على زيادة مساحة الضعف منها :

تفتت دولة الخلافة إلى دول صغيرة في أطراف البلاد، واستقلال حكام هذه الدول عن الخلافة مثل : الفاطمية والسامانية، والبويهية، والخوارزمية، وغيرهم من الدول التي نشأت بالمغرب.

وكان لاستقلال هذه الدول أثرها القوي في ضعف مركز الخلافة، وتقلص نفوذ الخلفاء .

ومنها : إعتماد الخلفاء العباسيين على الأتراك السلاجقة، واتخاذهم جنداً لهم بدلاً من العرب والموالي، ومن هنا أخذت مقاليد الأمور تفلت من يد الخلفاء العرب، وتنتقل بالتدريج إلى يد الدخلاء على الأمة الإسلامية، والطارئين على حكم بلادهم فكانت السيادة الأسمية والفعلية أحياناً للخلافة الإسلامية، وأغلب الأحيان كانت السيادة الفعلية وكان الحكم النافذ لهؤلاء الطارئين والدخلاء أمثال : بني بويه الديالمة الذين حكموا مصر من (٣٣٤-٤٤٧)هـ ثم الأتراك السلاجقة الذين حكموا من (٤٤٧-٥٩٠)هـ فعمل هؤلاء الأجانب على الاستئثار بالسلطة، حتى تحكموا في الخلافة

وأمورها، بل وفي حياة الخلفاء أنفسهم، حتى أصبح الخليفة لا يملك من أمره شيئاً، فكانت له السيادة الإسمية دون الفعلية .

وكان من نتائج هذا الضعف والتمزق أيضاً، أن تعرضت البلاد لحدثين عظيمين، عاصرهما الشيخ ابن تيمية، واستحوذ كل منهما على جانب كبير من جهاده الحربي والسياسي، كما كان لهذين الحدثين أثرهما الكبير في مصر والشام من الناحيتين السياسية والاجتماعية .

هذان الحدثان الخطيران هما : ظهور التتار، وزحفهم إلى الشام ومصر، وخطر زحف الفرنج إلى هذين الأقليمين .

ويقول ابن الأثير في الأحداث التي وقعت سنة ٦١٧هـ .

«لقد بلي الإسلام والمسلمون في هذه المدة بمصائب، لم يبتل بها أحد من الأمم، منها ظهور هؤلاء التتار ــ قبحهم الله ــ، أقبلوا على المشرق، ففعلوا الأفعال التي يستعظمها كل من سمع بها .

ومنها خروج الفرنج ــ لعنهم الله ــ من الغرب إلى الشام، وقصدهم ديار مصر وملكهم ثغر دمياط منها، وأشرفت ديار مصر والشام وغيرها على أن يملكوها، لولا لطف الله تعالى ونصره عليهم» .

نهاية أيَّامه

ثلاث جبهات :

كان الشيخ رحمه الله يحارب في ثلاث جبهات، **الجبهة الأولى** : كان فيها فارساً وبطلاً في ساحة الجهاد التي دخلها ضد التتار، لينقذ الدين والوطن من أيدي أعداء الإسلام والبشرية، فهو يلقي بنفسه في ساحة الوغى محارباً ومقاتلاً ومدافعاً .

وهو يخطب الناس يحثهم على القتال، وبذل النفس لحماية الوطن .

وهو يقنع الحكام والأمراء ليجعلهم يبذلون المال والعدة للمعركة .. لمعركة النصر والسيادة والسلطان للإسلام .

وهو في موقفه في الجبهة الأولى يصدق عليه قول الشاعر العربي إبراهيم طوقان في قصيدة له :

عبس الخطب فابتسم ... وطغى الهول فاقتحم
رابط الجأش والنهى ... ثابت القلب والقدم
لم يبال الأذى ولم ... يثنه طارىء الألم
نفسه طوع همه ... وجمت دونها الهمم
تلتقي في مزاجها ... بالأعاصير والحمم
تجمع الهائج الخضم ... إلى الراسخ الأشم

الجبهة الثانية : نراه فيها يحارب الظلم والطغيان والأهواء ويشد النكير على من يحكمون بخلاف ما أنزل الله، وبين رسوله ﷺ .. نراه يحارب كل ذلك بجهده وطاقته، ليسود المجتمع العدل والخير والأمن .

أما الجبهة الثالثة : فقد كان ميدانها مع خصومه من الفقهاء والمتصوفة .. كان الشيخ يحارب البدع والخرافات والشرك، ويعمل للقضاء على مظاهرها ليعود المسلمون إلى عقائد الإسلام ومبادئه في صفائها ونقائها وبساطتها وجمالها .

أنكر ابن تيمية على الفقهاء والصوفية ما يعيشون فيه من جمود وتبعية وتقاليد، فكان يعلن رأيه بصراحه في مسائل يعتبرها الخصوم من مقدسات ما ورثوه عن الآباء والأجداد والبيئة .

كانوا ينظرون إلى هذه الموروثات نظرة تقديس واحترام وتعظيم بحيث ينبغي أن تظل هكذا مقدسة محترمة معظمة أجيالاً متعاقبة دون مساس .

لهذا كان هجوم ابن تيمية لهذه الموروثات الباطلة سبباً فيما أصابه من محن وشدائد ومتاعب ختمت بها نهايته في الحياة، بالسجن عدة مرات .. ثم الموت .

لكن الشيخ ابن تيمية لم تخل حياته من أنصار ومحبين له وقفوا إلى جانبه أثناء محنه، يشدون أزره وقت الضيق .

فها هو ذا جمال الدين أبو الحجاج من العلماء الذين عاصروا ابن تيمية يقول «ما رأيت مثله أحداً أعلم بكتاب الله وسنة رسوله، ولا أتبع لهما منه» .

وقاضي القضاة أبو عبد الله ابن الحريري يقول إن لم يكن ابن تيمية شيخ الإسلام فمن هو ؟

والشيخ إبراهيم الرقي يقول الشيخ تقي الدين ابن تيمية يؤخذ عنه، فإن طال عمره ملأ الأرض علماً، وهو على الحق، ولا بد من أن يعاديه الناس، لأنه وارث علم النبوة .

وبشأن جهاد الشيخ مع خصومه، يذكر ابن رجب وهو ينقل عن الذهبي بعض ما كتبه عنه .. ولقد نصر السنة المحضة، والطريقة السلفية، واحتج لها ببراهين ومقدمات، وأمور لم يُسبق إليها، وأطلق عبارات أحجم عنها الأولون والآخرون، وهابوا وجسر هو عليها، حتى قام عليه خلق من علماء مصر والشام قياماً، لا مزيد عليه وبدعوه وناظروه وكابروه، وهو ثابت لا يداهن ولا يماري، بل يقول الحق المر الذي أداه إليه إجتهاده .. **فجرى — بينه وبينهم**

حملات ووقفات، وكم من نوبة قد رموه عن قوس واحد فينجيه الله، فان دائم الابتهال، كثير الاستغاثة والاستعانة به، قوي التوكل، ثابت الجأش.

هكذا شهد لابن تيمية ولعلمه وجرأته ودفاعه عن الحق بعض معاصريه من الفقهاء والأئمة الذي أحبوه وناصروه ووقفوا جانبه، وهي شهادة يكفي أنها تأتي من علماء وفقهاء لهم وزنهم وقدرهم في حساب الشهادة، ولهم مكانتهم في حساب المعرفة .

المحنة الأولى

مر بنا أن ابن تيمية كان رجل علوم عديدة فياضة، ومعارف كثيرة، لا يتقيد في علومه ومعارفه بمذهب أو فكر معين بل كان مجتهداً حراً يعتمد في آرائه على نصوص الكتاب والسنة النبوية، وما صح من أصول التشريع الأخرى .

جاءته فتوى من بعض أهل حماة وهي الفتوى المعروفة بـ«**الفتوى الحموية**» يستفتونه فيها عن بعض صفات الله، وهي تدور حول آيات الله تعالى (**الرحمن على العرش استوى**) (**وجاء ربك والملك صفاً صفاً**) (**يد الله فوق أيديهم**)، هل هذه الآيات تدل حقاً على أنه استوى على عرشه «وأنه يجيء وينتقل» «وأن له

يداً» وكل هذه الآيات تعطي معنى التشبيه والتجسيم ؟ أم يجب تأويل الأولى بأن المراد بها «أنه استولى على العرش» والمراد بالثانية «جاء أمرنا» والمراد بالثالثة «أن قدرته فوق قدرة البشر جميعاً» ؟

أجاب الشيخ رحمه الله على الفتوى بما يعتقده ويؤمن به :

أنه يجب علينا أن نؤمن بما جاء في القرآن من هذه الصفات دون تأويل، لأنَّ تأويلها وبيان المراد منها يعد أمراً فوق طاقتنا، وينبغي في نفس الوقت تنزيه الله، بعدم تشبيهه ببعض مخلوقاته في الصفات.

وعلى ذلك فهو يؤمن بأن «الله استوى على العرش»، و«**أن الله يجيء**» و«**أن الله يده فوق أيديهم**» وكل ذلك بلا تعطيل ولا تجسيم ولا تشبيه، فهو (**ليس كمثله شيء**) كما تفيد الآية ١١ من سورة الشورى .

لكن خصومه كانوا يرون ويعتقدون غير ذلك.. كانوا يرون تأويل هذه الآيات وأمثالها لسد باب التجسيم والتشبيه عن الله تعالى .

لهذا ثاروا عليه، وتحزبوا ضده، ورموه بالتجسيم والتشبيه، وقا. جماعة منهم بدعوته إلى مجلس القاضي الحنفي جلال الدين، لكنه رفض الحضور إلى ذلك المجلس، فشنعوا عليه، بأن نادوا في البلد ضد رأيه الذي أبانه في الرسالة الحموية .

لكن أحد الأمراء انتصر له، وأرسل يطلب من قالوا ضده، فأختفى الكثيرون منهم، كما ضُرب بعض من ثاروا عليه في البلد فسكت الباقون، وسكنت الفتنة .

ثم اجتمع الشيخ بالقاضي إمام الدين، وعنده جماعة من العلماء والفضلاء، باحثوه في الرسالة وناقشوه في مواضع منها فأجاب الشيخ عما سألوه فيه بأحاديث مقنعة مفحمة مؤيدة بالدليل القاطع، فاقتنع أهل الحق من الحاضرين بما سمعوا منه من الحق وقالوا : **هذا معتقد سلفي جيد** .. وأرسل المجلس بذلك قراراً إلى السلطان، وكان ذلك بمثابة تاج النصر والعلا على رأس الشيخ، وانتهت المحنة بسلام .

المحنة الثانية

لم يتركه خصومه بعد أن انتصر عليهم وعادوا مخذولين مهزومين مجروحين. بل أرادوا أن يعكروا عليه صفوه، وأن يكدروا عليه حياته، ولا يدعوه وشأنه بعد أن انتصر عليهم .

استطاع خصومه أن يجعلوا السلطان يسأله عن معتقده، فجمع نائب السلطان : القضاة والعلماء بالقصر، واحضر الشيخ، وسأله عن معتقده فقرأ عليهم «**العقيدة الواسطية**» التي جاء

سؤالها من أهالي واسط ورد عليها، فقرأها الشيخ، فناقشوه وانتهى الأمر إلى : **أن عقيدة الشيخ سنة سلفية** .. ويقال : إن بعضهم أقر العقيدة كُرها، وبعضهم وافق عليها باقتناع .

ويحسن بنا أن نأتي هنا بافتتاحية رسالة «**العقيدة الواسطية**» حيث يقول فيها :

«.. أما بعد فهذا اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة، أهل السنة والجماعة؛ وهو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، وبالبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره، ومن الإيمان بالله، الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه، وربما وصفه به رسوله محمد ﷺ، من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، بل نؤمن بأن الله سبحانه (**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**)، فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه، ولا يحرفون الكلم عن مواضعه، ولا يلحدون في أسماء الله وآياته، ولا يكفون ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه، لأنه سبحانه لا سمي له، ولا كفو له، ولا ندَّ له، ولا يقاس بخلقه سبحانه وتعالى، فإنه أعلم بنفسه وبغيره، وأصدق قيلاً وأحسن حديثاً من خلقه، ثم رسله صادقون مصدقون، بخلاف الذين يقولون عنه ما لا يعلمون، ولهذا قال (فسبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين)».

وتجددت خصومته بين أعدائه، فقد عرفنا أن الشيخ ابن تيمية كان يهاجم الطرق الصوفية وسلوكهم في العبادة، ومن هذه الطرق : الطريقة الأحمدية، فقد هاجم الشيخ هذه الطريقة وكذب مزاعمهم حين يدعون : أنه يدخلون النار دون أن تمسهم ويزعمون أن هذه كرامات لهم، كما هاجم عقيدة الاتحاد والحلول .

حضر جماعة منهم إلى نائب السلطنة يشكونه ليوقف هجومه عليهم، وعلى مزاعمهم .. فيجيب الشيخ في جرأة وإيمان «هذا لا يمكن، ولا بد لكل واحد أن يدخل تحت الكتاب والسنة قولاً وفعلاً، ومن خرج عنهما وجب الإنكار عليه، ومن أراد منهم أن يدخل النار فليدخل أولا الحمام ويغسل جسده جيداً، ثم يدخل إلى النار بعد ذلك إن كان صادقاً .

«ولو فرض أن أحداً من أهل البدع دخل النار بعد أن يغتسل، فإن ذلك لا يدل على صلاحه ولا على كرامته، بل حاله من أحوال الدجاجلة المخالفة للشريعة، إذا كان صاحبها على السنة، فما الظن بخلاف ذلك» .

ثم انتهى الأمر إلى أن من خالف أحداً من رجال هذه الطريقة الكتاب والسنة تضرب عنقه .

المحنـة الثالثة

وكأنَّ الله أراد أن يختتم حياة هذا الرجل المكافح بما ختم به حياة المصلحين المؤمنين من قبله وما أراد الله كان .

ومرة ثالثة تقوم الفتنة بشأن عقيدته، ويطلبه السلطان ليحضر إلى القاهرة لسؤاله عما يتحدث به، وسافر ابن تيمية كطلب السلطان، وعقد له غداة يوم وصوله مجلس بالقلعة حضره القضاة وأكابر الدولة، ثم أخذوا في التحقيق معه وسؤاله، وسأل شمس الدين بن عدنان، «المدعى عليه» بأنه : يعتقدم أن الله على العرش حقيقة، وانه يشار إليه بالإشارة الحسية، وأنه يتكلم بحرف وصوت، وطلب المدعي أن يعزر ابن تيمية على ذلك وعقد له مجلساً لمحاكمته وسأله القاضي ابن مخلوف : ما تقول يا فقيه؟ فأخذ الشيخ في حمد الله والثناء عليه، ثم قال للحضور «من هو الحاكم فيَّ»؟ . فأشاروا : القاضي هو الحاكم، فقال الشيخ لابن مخلوف : أنت خصمي، فكيف تحكم فيَّ؟!. وغضب فغضبوا عليه واشتدوا ..

فخرج من المجلس محبوساً في برج، حتى محبوه وأنصاره من الحنابلة في مصر والشام، لم يسلموا من الأذى والبطش والحبس، وأخذ على بعضهم تعهد بالرجوع عن عقيدة الشيخ التي حوكم بسببها هو وأخوه شرف الدين كما جرت فتن كثيرة بهذا السبب .

ولبث الشيخ في السجن عاماً وبضعه أشهر، عرضوا خلال مدة الحبس عليه أن يرجع عن عقيدته ويفرجوا عنه فرفض .

ثم جاء حسام الدين مهنا بن عيسى أمير العرب في ربيع الأول ٧٠٧هـ وأخرج الشيخ بنفسه من السجن بعد أن أستأذن في ذلك، وعقدت له مجالس حضرها أكابر الفقهاء، فصمم الشيخ على موقفه، وتحير نائب السلطنة والفقهاء والقضاة من أمره .

وبعد أن أطلق سراحه، رفض العودة إلى دمشق، وفضل الإقامة بالقاهرة يقريء العلم كعادته، ويُحدث الناس بعلمه في المساجد والأماكن العامة، وكان الناس يأتون إليه من كل مكان يستمعون له ويتزودون بالمعرفة والعلم منه، فانتشرت عقيدته، وزاعت مبادئه .

إلى السجن مرة أخرى

لم يسكت عنه أعداؤه، ولم يكفوا عن الوشاية والحرب ضده، لأنه لم يسكت عن الجهر بدعوة التوحيد، وإظهار بطلان عقائد الشرك والخرافة. فقد تقدم جماعة منهم إلى القاضي ـــ أو الحاكم ـــ في شوال من نفس السنة، وذكروا له في شكايتهم أنه يحمل على «ابن عربي» وغيره من رجال التصوف في عقيدتهم المعروفة بـ

«وحدة الوجود»، واجتمع معه بعض الفقهاء لمناقشته، وبعد أن تكلم اليهم بما يعتقده قال بعض الحاضرين : إنه ليس عليه في هذا شيء وحكموا ببراءته .. ومع ذلك فقد رأت الدولة أن آراء ابن تيمية غدت مصدر فتن وثورات وقلاقل، ويغلب على الظن أن هذا الرأي من الدولة كان بإيحاء من «الشيخ نصر المنبجي» عدو ابن تيمية، فرأت الدولة وجوب وضع حد لهذه الحالة، حتى تستريح الدولة وتريح الناس، فكان أن خيره الملك المظفر «ركن الدين بيبرس الجاشنكيز» بين الاقامة في الاسكندرية أو دمشق بشروط معينة، يلتزم بها أو الحبس، فاختار الشيخ السجن مردداً قول يوسف عليه السلام (**ربِّ السجن أحب إلي مما يدعونني إليه**) .

ومن داخل السجن في مصر أخذ ابن تيمية ينشر دعوته على الناس الذين كانوا يأتون إليه من كل مكان يستفتونه، ويتلقون كلمة الحق منه .

وصار علم ابن تيمية حديثاً على كل لسان، وفقهه غذاء لكل طالب علم ممن كانوا يأتون. يسألونه الفتاوي ويطلبون أحكا الدين في شؤون الحياة .

ولم تسكت الأصوات المستعدية على ابن تيمية، فقد عادوا ووشوا به من جديد، وسعوا لنفيه إلى الاسكندرية، ونجحوا في مساعيهم، ونقل الشيخ إلى سجن آخر بالاسكندرية .

وفي المنفى الجديد لم يتركه خصومه، فاطلقوا ضده الأكاذيب، فمرة يشيعون أنه قُتل، ومرة أخرى يشيعون أنه مات غرقاً، وكان ذلك بقصد صرف أنظار أنصاره ومحبيه عنه، ولكن الشيخ لم يعبأ بهذا كله، ولم يفتر جهاده في منفاه الجديد، بل أخذ يشتغل بالعلم والفتيا، ويذيع أراءه على الناس، فعرفه نفر كبير، وجاءه مريدون جدد، وأحبوه وظلوا يترددون عليه في محبسه .

إلـى القـاهـرة

وحدث أن قدم السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون إلى السلطنة، فأمر بإحضار الشيخ إلى القاهرة في شوال ٧٠٩هـ وأكرمه إكراماً فياضاً، واجتمع به في مجلس ضم القضاة من مصر والشام، وأعيان الدولة، ثم استشاره في خصومه ليأخذ بثأره منهم، لكن الشيخ رفض هذا الانتقام وارتفع عن الجرح الذي أصابه من خصومه أكثر من مرة، فقال بعض الحاضرين من خصومه : ما رأينا أفتى من ابن تيمية، سعينا في دمه، فلما قدر علينا عفا عنا ــ راجع تاريخ الوردي ج٢ ص٢٦٧، ابن كثير ج١٤ ص٨٧ .

واستمر الشيخ في القاهرة أخذاً نفسه في الاشتغال بالعلم والفتيا، وتعليم الناس الدين الحق في عزم وقوة، ثم سافر إلى دمشق بعد غيبة سبع سنين، وكانت عودته عام ٧١٢ .

وفي دمشق واصل نشر دعوة ربه التي آمن بها، ووقف حياته عليها ومضى يعلم الناس من الكتاب والسنة، ويعطي لهم الفتاوى في مختلف الأمور من مذهب السلف .

وحدث أن تعرض الشيخ بالكلام في مسألة **الحلف بالطلاق** ورأى خصومه أن أمره بلغ درجة الخطورة، فسعوا لدى السلطان حتى نجحوا في صدور مرسوم سلطاني عام ٧١٨ بمنع الشيخ من الفتوى، وعقد لذلك مجلس ونودي بذلك في البلد ليكون الناس على بينه من أمورهم .

لكن هذا المرسوم، وهذه الاجراءات لم تسكنه عن الجهر برأيه لكل من يستفتيه في مسألة الطلاق، واستمر على هذا حتى حبس بالقلعة خمس أشهر وثمانية عشر يوماً، ثم أخرج من السجن بعد ذلك، وعاد إلى ما كان عليه من الاشتغال بالعلم والفتيا .

وكثرت فتاوى الشيخ للناس في مسألة الطلاق، كما يعتقده فعقد له لذلك أكثر من مجلس للتحقيق معه وسؤاله وتوجيه اللوم له، وكان في كل مجلس يؤكدون له منع الافتاء، وينادون بذلك في أنحاء البلاد .

نهاية الشيخ

أخذ خصومه يبحثون له عن شيء يحققون به أملهم في القضاء عليه، فظفروا بفتيا قديمة له في مسألة «**شد الرحال إلى قبور الأولياء الصالحين**» ظفروا بتلك الفتوى، وجاءوا بها لما يعرفون ما للنبي ﷺ من مكانة مقدسة عند العامة، فأثاروها وارسلوا بها إلى السلطان، ليثيروه ضده، وليتخذ قراراً يضع به حدا لنشاط الشيخ الذين يقلقهم ويقض مضاجعهم .

وكان الشيخ يرى في هذه الفتوى : أن شد الرحال إلى أضرحه الأولياء غير مشروع، وهذا بنص حديث الرسول ﷺ «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجدي هذا» .

ورأى خصوم الشيخ أن هذه الفتوى تنقص من مقامات الأولياء والصالحين، ومخالفة لاتجاههم في وجوب شد الرحال إلى أضرحة الأولياء لدعوتهم، والاستشفاع بهم ليكونوا وسطاء لهم عند الله، وذلك حسب ما ورثوه من عادات وتقاليد .

والذي زاد الأمر سوءا ضده أن خصومه نقلوا الفتوى إلى الناس مشوهة مبتورة .. وعلم الناس بذلك، فحدثت فتنة، ورفع الأمر إلى السلطان الذي أصدر عام ٧٢٦ مرسوماً باعتقال صاحب الفتوى .

وسر الشيخ بهذا الاعتقال ورحب به، وتم حبس الشيخ بالقلعة بدمشق، ثم لحق به أخوه زين لخدمته، وجماعة من أصحابه المؤمنين به بعد أن لقوا من الاهانة والاساءة ما لقوا، وبذلك ضمن خصوم الشيخ إخماد دعوته، وأطمأنوا إلى عدم نشرها بأية وسيلة .

ومن داخل جدران السجن، أقبل الشيخ الصابر الراضي بقضاء الله وقدره على عبادة الله، ومطالعة كتابه الكريم والتأليف، والرد على مخالفيه، وكانت مسألة الطلاق مما كتب فيه ورد على مخالفيه، واستجهلهم، وأظهر أنهم قليلو الصناعة في العلم والمعرفة .

وسعى الخصوم الألداء من جديد .. وأسفر سعيهم عن حرمان الشيخ من الكتب والأوراق والأقلام، بل أن نطاق ذلك الحرمان قد أتسع، فشمل، المطالعة والقراءة، فحملت كتب الشيخ وأوراقه وكل الأسلحة التي كان يدمر بها معتقدات مخالفيه الباطلة .. حملت كل تلك الأسلحية إلى خارج السجن لتحفظ في مكتبة العادلية .. وبذلك منع الشيخ من الكتابة .

لكن الشيخ المجاهد الصابر، لم تضق نفسه، ولم تضعف عزيمته، فاضطر إلى تدوين آرائه وخواطره بالفحم على الورق المتناثر ــ وقد حفظ التاريخ بعض هذه الكتابات، كما أنه أقبل على التلاوة والعبادة والتهجد .

ولم تدم هذه المرحلة الأخيرة من حياة الكفاح والنضال التي خاضها الشيخ، فمرض، حتى أتاه اليقين بعد أن سجن أكثر من سنتين، ولم يعلم الناس بمرضه، ففوجئوا بخبر نعيه .. فبكوه .. وبكوا العلم الذي جاهد من أجله طوال حياته ولقي الكثير من الإساءات والإهانات من أجله .. ثم دفن معه في التراب إلى الأبد .

وفـــاتـه :

ما كان ابن تيمية بائساً في سجنه، قانطاً من رحمة الله في غياهب محبسه بل كان يرى أن ما أصابه من المحاكمات والمساءلات والإهانة والسجن، قدراً من الله، فيه الخير الكثير فقد وجد الفرص الطيبة لأن يتفرغ لعبادة الله ... ولممارسة العلم وتتبع معاني القرآن، وقد نقل عن ابن رجب قوله وهو في السجن «وقد فتح الله علي في هذا الحصن في هذه المرة من معاني القرآن، ومن أصول العلم بأشياء كان كثير من العلماء يتمنونها، وقد ندمت على تضييع أكثر أوقاتي في غير معاني القرآن» .

وكان في محبسه في القلعة يقول «لو بذلت ملء هذه القلعة ذهباً ما عدل عندي شكر هذه النعم» أو قال «ما جزيتهم على ما تسببوا لي فيه من الخير».

وأخيرا .. آن لابن تيمية .. ذلك العالم الأواب العابد، والمجاهد الصادق والمكافح في سبيل الله، والمدافع عن الوطن الإسلامي، وفي سبيل إرجاع المسلمين إلى الحكم بكتاب الله وسنة رسوله .. آن له أن يستريح ويلقى ربه راضياً مرضياً .. آن له أن ـــ يخرج من سجنه رغم أنوف أعدائه .. بل وأن يخرج من الدنيا، وأن يلفظ متاعها وزخارفها، ويرتاح أعداؤه منه، ويرتاح هو نفسه منهم، ويستقر في مثواه .. في رحاب الله تعالى، وهو أطيب رحاب، وأكرم مثوى .

وكانت وفاته ـــ كما سجل المؤرخ علم الدين البرزالي ـــ ليلة الأثنين، العشرين من شهر ذي القعدة عام ٧٢٨هـ، وهو لا يزال حبيساً بسجن القلعة.

ويروي المؤرخون أن وفاته كانت من الأحداث التي شغلت الناس في تلك السنة، وأخذت منهم اهتمامهم، ويروي المؤرخون في وصف جنازته، أنها «كانت عظيمة، وأنه لم يتخلف عن الحضور أحد سمع بموته، كما حضرت النساء الجنازة، وأن الجميع تزاحموا على الجنازة، وعلت الأصوات بالبكاء والنحيب، وانطلقت الألسنة بالثناء عليه والدعاء له» وقد دُفن ابن تيمية في مقبرة الصوفية إلى جانب أخيه «شرف الدين عبد الله» .

هذا هو ابن تيمية الإمام العالم التقي الورع الذي عاش حياة صاخبة بالرأي والمبدأ والعقيدة .. حياة حافلة بالكفاح والنضال بالسيف .. والقلم .. واللسان .. مع الخصوم من قومه والأعداء من التتار .

تراثه العلمي

خلف لنا الإمام ابن تيمية تراثا ضخماً تتناقله الأجيال، ينبع بالعلم والمعرفة ويفيض بالخير والهدى، لأنه سار فيه على نهج الكتاب والسنة .

لقد كان ابن تيمية بحراً زاخراً من العلم والمعرفة، تلقى علوم عصره بالدرس الواسع، والتمحيص الدقيق، ثم أحاط معرفة وخبرة بعلوم الكلام والمنطق والتصوف والفلسفة، ورد على مخالفيه وخصومه برسائل صغيرة، أو بكتب مطولة، فترك لنا عدداً ضخماً من المؤلفات قدره من ترجموا له بأنه وصل إلى خمس مئة مجلد .

ويذكر ابن الوردي في تاريخه : أن له في غير مسألة مصنفاً مفرداً، كمسألة التحليل، والرد على ابن مظهر الرافضي الحلي في ثلاثة مجلدات كبار، وتصنيف في الرد على تأسيس التقديس للرازي في سبعة مجلدات .

وكتاب في الرد على المنطق، وكتاب في الموافقة بين المعقول والمنقول في مجلدين، وكتاب السياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية، وكتاب رفع الملام عن الأئمة الأعلام .

وبالرجوع إلى دائرة المعارف الإسلامية نجد أن مادة «ابن تيمية» التي كتبها الأستاذ «محمد بن شنب» ذكر بها أن مؤلفات ابن تيمية وصلت إلى خمس مئة وذكر ما يأتي :-

١ - رسالة الفرقان بين الحق والباطل .

٢ - معالم الأصول ـــ وهو تفنيد لقول الفلاسفة والقرامطة الذين يتهمون الأنبياء بالكذب في بعض الأحيان. ٣ - التبيان في نزول القرآن. ٤ - الوصية في الدين والدنيا . ٥ - رسالة النية في العبادات . ٦ - رسالة العرش . ٧ - الرسالة الكبرى . ٨ -الإرادة والأمر . ٩ - العقيدة الواسطية. ١٠- المناظرة في العقيدة الواسطية. ١١- العقيدة الحموية الكبرى. ١٢- رسالة في الاستغاثة. ١٣- الإكليل في المتشابه والتأويل. ١٤- رسالة الحلال. ١٥- رسالة في زيارة بيت المقدس. ١٦- رسالة في مراتب الأرداة. ١٧- رسالة في القضاء والقدر. ١٨- رسالة في الاحتجاج بالقدر. ١٩- رسالة في درجات اليقين. ٢٠- كتاب بين الهدى من الضلال في أمر الهلال. ٢١- رسالة في سنة

الجمعة. ٢٢- تفسير المعوذتين. ٢٣- رسالة في العقود المحرمة. ٢٤- رسالة في معنى القياس. ٢٥- راسالة في السماع والرقص. وهي مؤلفة فيما يفعله أرباب الطرق الصوفية في أذكارهم المبتدعة. ٢٦- رسالة في الكلام على الفطرة. ٢٧- رسالة في الأجوبة عن أحاديث القصامي. ٢٨- رسالة في رفع الحنفي يديه في الصلاة. ٢٩- كتاب مناسك الحج. ٣٠- كتاب الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان. ٣١- كتاب الواسطة بين الخلق والحق. ٣٢- كتاب رفع الملام عن الأئمة الأعلام. ٣٣- كتاب الوسل والوسيلة. ٣٤- كتاب جواب أهل العلم والايمان بتحقيق ما أخبر به رسول الرحمان من أن (قل هو الله أحد) تعدل ثلث القرآن. ٣٥- كتاب الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح. ٣٦- الرسالة البعلبكية. ٣٧- الجوامع في السياسة الإلهية والآيات النبوية. ٣٨- تفسير سورة النور. ٣٩- كتاب الصارم المسلوم على شاتم الرسول. ٤٠- كتاب تحجيل أهل الإنجيل. وهو في الرد على النصرانية. ٤١- كتاب المسألة التعبيرية. ٤٢- كتاب العقيدة التدمرية. ٤٣- اقتضاء الصراط المستقيم ومجانية أصحاب الجحيم. وهو في الرد على اليهود والنصارى. ٤٤- كتاب الرد على النصارى. ٤٥- كتاب مسألة الكنائس. ٤٦- كتاب في الكلام على حقيقة السلام والايمان. ٤٧- العقيدة المراكشية. ٤٨- كتاب في مسألة

العلو. وهو في التحدث عن الله. ٤٩- نقد تأسيس الجهمية. ٥٠- رسالة في سجود القرآن. ٥١- رسالة في سجود السهو. ٥٢- رسالة في أوقات النهي والنزاع في ذوات الأسباب وغيرها. ٥٣- كتاب أصول الفقه. ٥٤- كتاب الفرق المبين بين الطلاق واليمين. ٥٥- مسألة الحلف بالطلاق. ٥٦- كتاب الفتاوي. ٥٧- جوامع الكلم الطيب في الأدعية والأذكار. ٥٨- رسالة العبودية. ٥٩- رسالة تنوع العبادات. ٦٠- رسالة في زيارة القبور. ٦١- رسالة المظالم المشتركة. ٦٢- رسالة الحسبة في الإسلام.

هذه هي بعض مؤلفات الإمام الراحل ابن تيمية التي تركها لتكون منهلاً عذباً، وموردا صافيا نقيا لطلاب العلم والمعرفة، ومرجعاً هاماً في الأحكام والشرائع، ومختلف الأمور التي تهم المجتمع الإسلامي المعاصر في كل جانب من جوانب حياته .. ولا عجب ..

فإن ابن تيمية كان وما يزال علماً من أعلام الهدى والحق، إماماً من أئمة الدين المعدودين .

رحم الله الإمام الجليل ابن تيمية، وأجزل مثويته جزاء ما قدم للدين والعلم والأمة الإسلامية من علم وتراث عظيم ونافع، وجعله

(مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً) .

وهاك أيها القاريء ترجمة ابن القيم رحمه الله .

قال العلامة الحافظ عبد الرحمن بن رجب الحنبلي في ختام كتابه طبقات الحنابلة الموجود بدار الكتب المصرية، قال رحمه الله:

محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزرعي، ثم الدمشقي الفقيه، الأصولي المفسر النحوي العارف، شمس الدين أبو عبد الله بن قيِّم الجَوزِيَّة، شيخنا .

ولد سنة ٦٩١ وسمع من الشهاب النابلسي العابد، والقاضي تقي الدين سليمان، وفاطمة بنت جوهر، وعيسى المطعم، وأبي بكر بن عبد الدائم وجماعة، وتفقه في المذهب وبرع وأفتى، ولازم الشيخ تقي الدين وأخذ عنه، وتفنن في علوم الإسلام، وكان عارفاً بالتفسير لا يجارى فيه، وبأصول الدين، وإليه فيهما المنتهى، وبالحديث ومعانيه وفقهه، ودقائق الاستنباط منه لا يلحق في ذلك، وبالفقه وأصوله وبالعربية، وله فيها اليد الطولى، وبعلم الكلام وغير ذلك، وعالما بعلم السلوك وكلام أهل التصوف وإساراتهم ودقائقهم، له في كل من هذه الفنون اليد الطولى .

قال الذهبي في المختصر : عني بالحديث ومتونه ورجاله. وكان يشتغل في الفقه ويجيد تقريره، وفي النحو يدريه، وفي الأُصلين، قد حبس مدة لإنكاره شَدَّ الرحال إلى قبر الخليل، وتصدَّر للاشتغال ونشر العلم .

قلت : وكان رحمه الله ذا عبادة وتهجد وطول صلاة إلى الغاية القصوى، وتأله ولهج بالذكر، وشغف بالمحبة والإنابة والافتقار إلى الله تعالى، والانكسار والانطراح بين يديه على عتبة عبوديته لم أشاهد مثله في ذلك ولا رأيت أوسع منه علماً، ولا أعرف بمعاني القرآن والسنة وحقائق الايمان منه، وليس هو المعصوم. ولكن لم أر في معناه مثله .

وقد امتحن وأوذي مرات، وحبس مع الشيخ تقي الدين بن تيمية في المدة الأخيرة بالقلعة منفرداً عنه، ولم يفرج عنه إلا بعد موت الشيخ. وكان في مدة حبسه مشتغلاً بتلاوة القرآن بالتدبير والتفكر. ففتح الله عليه من ذلك خيراً كثيراً، وحصل له جانب عظيم من الأذواق والمواجيد الصحيحة، وتسلط بسبب ذلك على الكلام في علوم أهل المعارف والدخول في غوامضهم، وتصانيفه ممتلئة بذلك، وحج مرات كثيرة، وجاور بمكة، وكان أهل مكة يذكرون عنه من شدة العبادة وكثرة الطواف أمراً يتعجب منه،

ولازمت مجالسه قبل موته أزيد من سنة، وسمعت عليه قصيدته النونية الطويلة في السنة، وأشياء من تصانيفه وغيرها .

وأخذ عنه العلم خلق كثير في حياة شيخه وإلى أن مات، وانتفعوا به، وكان الفضلاء يعظمونه ويسلمون له، كابن عبد الهادي وغيره :

وقال القاضي برهان الدين الزرعي عنه : ما تحت أديم السماء أوسع علماً منه. ودرس بالصدرية. وأم بالجوزية مدة طويلة، وكتب خطه ما لا يوصف كثرة، وصنف تصانيف، كثيرة جداً في أنواع العلم، وكان شديد المحبة للعلم وكتابته ومطالعته وتصنيفه واقتناء كتبه، واقتنى من الكتب ما لا يحصل لغيره. فمن تصانيفه :

١ – اجتماع الجيوش الاسلامية. طبع في الهند سنة ١٣٠٤ وفي مصر سنة ١٣٥٠ .

٢ – أخبار النساء. طبع قديما .

٣ – إعلام الموقعين عن رب العالمين طبع في الهند سنة ١٣١٣ وفي مصر سنة ١٣٢٥هـ.

٤ – إغاثة اللهفان في حكم طلاق الغضبان طبع في المنار سنة ١٣٢٢ .

٥ – إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان طبع المرة الأولى سنة ١٣١٠ .

٦ – أمثال القرآن .

٧ – بدائع الفوائد . طبع بالمنيرية .

٨ – بطلان الكيميا من أربعين وجها .

٩ – بيان الدليل على استغناء المسابقة عن التحليل .

١٠ – التبيان في أقسام القرآن طبع بمكة سنة ١٣٢١. وبمصر سنة ١٣٥٢ بالمطبعة التجارية .

١١ – التحرير فيما يحل ويحرم من الحرير .

١٢ – التحفة المكية .

١٣ – تحفة الودود في أحكام المولود طبع في الهند سنة ١٣٣٩.

١٤ – تفسير الفاتحة .

١٥ – تفسيرر المعوذتين. طبع مع بدائع الفوائد .

١٦ – تفضيل مكة على المدينة .

١٧ – تهذيب مختصر سنن أبي داود وإيضاح مشكلاته، والكلام على ما فيه، وهو عندي مخطوط عن نسخة بالمدينة المنورة. أعان الله على طبعه .

١٨ – جلاء الأفهام في الصلاة على خير الأنام. طبع بالهند، وبالمنيرية .

١٩ – جواب عابدي الصلبان وأن ما هم عليه دين الشيطان .

٢٠ – الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي طبع مرتين .

٢١ – حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح. طبع بهامش أعلام الموقعين ومستقلا .
٢٢ – حرمة السماع .
٢٣ – حكم إغمار هلال رمضان .
٢٤ – حكم تارك الصلاة .
٢٥ – الرسالة الجليلة في الطريقة المحمدية ـــ نظم .
٢٦ – رفع التنزيل .
٢٧ – رفع اليدين في الصلاة .
٢٨ – الروح، طبع في الهند سنة ١٣١٨ .
٢٩ – روضة المحبين ونزهة المشتاقين. طبعه أحمد عبيد أفندي بدمشق .
٣٠ – زاد المسافرين إلى منازل السعداء في هدي خاتم الأنبياء .
٣١ – زاد المعاد في هدي خير العباد طبع في الهند وفي مصر مرارا
٣٢ – السنة والبدعة .
٣٣ – شرح أسماء الكتاب العزيز .
٣٤ – شرح الأسماء الحسنى .
٣٥ – شفاء العليل طبعه المرحوم السيد أمين الخانجي .
٣٦ – الصبر والسكن .
٣٧ – الصراط المستقيم في أحكام أهل الجحيم .

٣٨ – الصواعق المنزلة على الجهمية والمعطلة. طبع مختصره في مكة.
٣٩ – الطاعون .
٤٠ – طيب القلوب، ذكر المعلوف أن في برلين نسخة منه .
٤١ – الطرق الحكمية في السياسة الشرعية. طبع بمصر. وبالمدينة نسخة خطية قديمة مصححة .
٤٢ – طريق الهجرتين طبع في مصر، وفي المكتبة الظاهرية بدمشق نسخة بخط المؤلف .
٤٣ – عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين طبع بالسلفية بمصر .
٤٤ – عقد محكم الأحياء بين الكلم الطيب والعمل الصالح المرفوع إلى رب السماء .
٤٥ – الفتح المقدسي .
٤٦ – الفرق بين الخلة والمحبة ومناظرة الخليل لقومه .
٤٧ – فضل العلم .
٤٨ – الفروسية المحمدية، موجود في المكتبة الظاهرية ضمن الكواكب الدراري .
٤٩ – الفوائد . طبع بالمنيرية .
٥٠ – الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان .
٥١ – الكافية الشافية في الفرقة الناجية . وهي القصيدة النونية، طبعت بمصر، وعليها شرح للعلامة أحمد بن عيسى

النجدي موجود عند الشيخ فوزان السابق، وفق الله لطبعه.

٥٢ – الكافية الشافية في النحو .

٥٣ – الكبائر .

٥٤ – الكلم الطيب والعمل الصالح .

٥٥ – مدارج السالكين طبع بالمنار .

٥٦ – المسائل الطرابلسية .

٥٧ – معاني الأدوات والحروف .

٥٨ – مفتاح دار السعادة طبعة المرحوم الخانجي .

٥٩ – المهدي .

٦٠ – المهذب .

٦١ – نقد المنقول والمحك المميز بين المردود والمقبول .

٦٢ – نكاح المحرم .

٦٣ – نور المؤمن .

٦٤ – هداية الحيارى من اليهود والنصارى طبعة الخانجي .

٦٥ – الوابل الصيب من الكلم الطيب طبع بالهند، ومصر بالمنار وبالمنيرية .

٦٦ – الرسالة التبوكية، طبعت في مكة سنة ١٣٤٩هـ .

وله رحمه الله تصانيف غير هذه لا تحصر كثرة، ولكن عز وجودها في هذا الزمان ونسجت عليها عناكب النسيان وكل تصانيفه مرغوب فيها من جميع الطوائف .

قال ابن رجب : توفي رحمه الله وقت العشاء الأخير ليلة الخميس ثالث عشر رجب سنة ٧٥٢ وصلى عليه من الغد عقيب الظهر بجامع جراح. ودفن بمقبرة الباب الصغير. وشيعه خلق كثير، ورؤيت له منامات كثيرة حسنة رضى الله عنه، وقد رأى قبل موته شيخه الشيخ تقي الدين رحمه الله في المنام وسأله عن منزلته، فأشار إلى علوه فوق بعض الأكابر، وقال له : وأنت كدت تلحق بنا، لكن أنت الآن في طبقة ابن خزيمة رحمه الله .

قرأت على شيخنا الإمام العلامة أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب وأنا أسمع من نظمه في كتابه الجنة ــ وهو كتاب حادي الأرواح : -

وما ذاك إلا غيرة أن ينالها
سوى كفئها والرب بالخلق أعلم
وإن حجبت عنا بكل كريهة
وحفت بما يؤذي النفوس ويؤلم
فلله ما في حشوها من مسرة

وأصناف لذات بها نتنعم

ولله برد العيش بين خيامها
وروضاتها والثغر في الروض يبسم

ولله واديها الذي هو موعد المزيـ
ـزيد لوفد الحب لو كانت منهم

بذيالك الوادي يهيم صبابة
محب يرى أن الصبابة مغنم

ولله أفراح المحبين عندما
يخاطبهم من فوقهم ويسلم

ولله أبصار ترى الله جهرة
فلا الضيم يغشاها ولا هي تسأم

فيا نظرة أهدت إلى الوجه نضرة
أمن بعدها يسلو المحب المتيم ؟

ولله كم من خيرة لو تبسمت
أضاء لها نور من الفجر أعظم

فيا لذة الأبصار إن هي أقبلت
ويا لذة الأسماع حين تكلم

ويا خجلة الغصن الرطيب إذا انثنت
ويا خجلة البحرين حين تبسم

فإن كنت ذا قلب عليل بحبها
فلم يبق إلا وصلها لك مرهم
ولا سليما في لثمها عند ضمها
وقد صار منها تحت جيدك معصم
يراها إذا أبدت له حسن وجهها
يلذ بها قبل الوصال وينعم
تفكه منها العين عند اجتلائها
فواكه شتى طلعها ليس يعدم
عناقيد من كرم وتفاح جنة
ورمان أغصان بها القلب مغرم
وللورد ما قد ألبسته خدودها
وللخمر ما قد ضمه الريق والفم
تقسم منها الحسن في جمع واحد
فيا عجبا من واحد يتقسم
لها فرق شتى من الحسن أجمعت
بجملتها أن السلـــو محرم
تذكر بالرحمن من هو ناظر
فينطق بالتسبيح لا يتلعثم
إذا قابلت جيش الهموم بوجهها

تولى على أعقابه الجيش يهزم

فيا خاطب الحسناء إن كنت راغبا

فهذا زمان المهر فهو المقدم

ولما جرى ماء الشباب بغصنها

تيقن حقا أنه ليس يهزم

وكن مبغضا للخائنات لحبها

فتحظى بها من دونهن وتنعم

وكن أيما مما سواها فانها

لمثلك في جنات عدن تأيَّم

وصم يومك الأدنى لعلك في غد

تفوز بعيد الفطر والناس صوم

وأقدم ولا تقنع بعيش منغص

فما فاز باللذات من ليس يقدم

وإن ضاقت الدنيا عليك بأمرها

ولم يك فيها منزل لك يعلم

فحَيَّ على جنات عدن فانها

منـــازلك الأولى وفيها المخيم

ولكننا سَبْيُ العدو فهل ترى

نعود إلى أوطاننا ونسلم ؟

وقد زعموا أن الغريب إذا نأى
وشطَّت به أوطانه فهو مغرم
وأي اغتراب فوق غربتنا التي
لها أضحت الأعداء فينا تحكم ؟

وحيٌّ على السوق الذي فيه يلتقي
المحبون، ذاك السوق للقوم يعلم
فما شئت خذ منه بلا ثمن له
فقد أسلف التجار فيه وأسلموا

وحي على يوم المزيد الذي به
زيارة رب العرش فاليوم موسم
وحي على واد هنالك أفيح
وتربته من أذفر المسك أعظم
منابر من نور هناك وفضة
من خالص العقيان لا تتقصم
وكثبان مسك قد جعلن مقاعدا
لمن دون أصحاب النار يعلم

فبيناهم في عيشهم وسرورهم
وأرزاقهم تجري عليهم وتقسم
إذا هم بنور ساطع أشرقت له

بأفطارها الجنات لا يتوهم

تجلَّى لهم رب السموات جهرة

فيضحك فوق العرش ثم يكلم

سلام عليكم ، يسمعون جميعهم

بآذانهم تسليمه إذ يسلم

يقول : سلوني ما اشتهيتم، فكل ما

تريدون عندي، إنني أنا أرحم

فقالوا جميعا : نحن نسألك الرضى

فأنت الذي تولي الجميل وترحم

فيعطيهم هذا، ويشهد جمعهم

عليه، تعالى الله، فالله أكرم

فيا بائعاً غال ببخس معجل

كأنك لا تدري، بلى سوف تعلم

فإن كنت لا تدري فتلك مصيبة

وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم

انتهى ما ترجم به الشيخ الحافظ بن رجب لشيخه العلامة المحقق ابن القيم رحمهم الله أجمعين ورضى عنهم، ورضي عنا باتباعهم والاهتداء بهديهم .

ابن الجوزي

حياته ــ وشمائله

نسبه :

عبد الرحمن بن على أبي الحسن بن محمد بن علي بن عبيد الله بن عبد الله بن حمادي بن أحمد بن جعفر بن عبد الله بن القاسم بن النضر بن القاسم بن محمد بن عبدالله بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق عبد الله بن أبي قحافة الحافظ العلامة جمال الدين أبو الفرج بن الجوزي القرشي التيمي البكري البغدادي الحنبلي الواعظ، صاحب التصانيف المشهورة في أنواع العلوم من التفسير والحديث والفقه والوعظ والزهد والتاريخ والطب وغير ذلك .

مولده :

ولد سنة ثمان أو عشر وخمسمائة .

شيوخه :

كان أول سماعه سنة ست عشرة وخمسمائة، وقيل سنة عشرين وخمسمائة وبعدها. فسمع من أبي الحصين وعلى بن عبد الواحد الدينوري، والحسين بن محمد البارع، وأبي السعادات أحمد بن أحمد المتوكل. وأبي سعد إسماعيل بن أبي صالح المؤذن، وأبي الحسن على

بن الزاغوني الفقيه وأبي غالب بن البنا وأخيه يحيى، وأبي بكر محمد بن الحسين، وهبة الله بن الطبري وأبي غالب محمد بن الحسن الماوردي، وخطيب أصبهان، أبي القاسم عبد الله بن الراوي، وأبي السعود أحمد بن المجلي، وأبي منصور عبد الرحمن بن محمد القزاز، وعلى بن أحمد الموحد، وأبي القاسم بن السمرقندي، وابن ناصر، وأبي الوقت .

وخرج لنفسه مشيخة عن سبع وثمانين نفسا. وكتب بخط يده ما لا يوصف، ووعظ وهو صغير جداً، قرأ الوعظ على الشريف أبي القاسم على بن يعلي بن عوض العلوي الهروي، وأبي الحسن بن الزاغوني، وتفقه على أبي بكر أحمد بن محمد الدينوري، وتخرج في الحديث بابن ناصر. وقرأ الأدب على أبي منصور موهوب بن الجواليقي.

روى عنه بن محي الدين يوسف وسبطة شمس الدين يوسف الواعظ، والحافظ عبدالغني والشيخ الموفق، والبهاء عبد الرحمن، والضيا محمد، وابن خليل والدبيثي وابن النجار والبلداني والزين عبدالكريم، والنجيب عبد اللطيف وخلق سواهم .

وبالأجازة شمس الدين عبد الرحمن، وأحمد بن أبي الخير، والعز عبد العزيز بن الصقيل، وقطب الدين أحمد بن عبد السلام العصروني، وتقي الدين اسماعيل بن أبي اليسر، والخضر بن عبد الله بن حموريه، والفخر علي بن البخاري.

وكان الذي حرص على تسميعه وأفدة الحافظ ابن ناصر، وقرأ القراءات علي أبي محمد سبط الخياط .

وكان فريد عصره في الوعظ، وهو آخر من حدث عن الدينوري والمتوكلي،

من تصانيفه :

(١) كتاب المغنى في علم القراءة (٢) كتاب زاد المسلم في علم التفسير (٣) تذكرة الأديب في شرح الغريب (٤) نزهة النواظر في الوجوه النظائر (٥) عيون علوم القراءات وهو فنون الأفنان (٦) الناسخ والمنسوخ (٦) مناهج الوصول إلى علم الأصول (٧) نفي التشبيه (٨) جامع المسانيد (٩) الحدائق (١٠) نفي النقل (١١) المجتبي (١٢) النزهة (١٣) عيون الحكايات (١٤) الموضوعات (١٥) الأحاديث الرائقة (١٦) الضعفاء (١٧) تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير (١٨) المنتظم في أخبار الملوك والأمم (١٩) شذور العقود في تاريخ اليهود (٢٠) مناقب بغداد (٢١) المذهب في المذهب (٢٢) الانتصار في مسائل الخلاف (٢٣) الدلائل في مشهور المسائل (٢٤) اليواقيت في الخطب الوعيظة (٢٥) المنتخب (٢٦) نسيم السحر (٢٧) المختار في أختيار الأحبار.

(٢٨) صفوة الصفوة (٢٩) مسير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن (٣٠) المقعد المقيم (٣١) تبصرة المجتدي (٣٢) تحفة الواعظ (٣٣) ذم الهوى (٣٤) تلبيس أبليس (٣٥) الأكاذيب (٣٦) الحمقي والمغفلين (٣٧) المنافع في الطب (٣٨) الشيب والخضاب (٣٩) روضة الناقل (٤٠) تقويم اللسان (٤١) مناهج الاصابة في محبة الصحابة (٤٢) صبا نجد (٤٣) المزعج (٤٤) الملهب (٤٥) المطرب (٤٦) منتهى المشتهي (٤٧) فنون الألباب (٤٨) الظرفاء والمتماجنين (٤٩) تقريب الطريق الأبعد في فضل مقبة أحمد (٥٠) العلل المتناهية في الأحاديث الواهية (٥١) أسباب البداية لأرباب الهداية (٥٢) سلوة الاحزان (٥٣) ياقوتة المواعظ (٥٤) مناهج القاصدين (٥٥) اللطائف (٥٦) واسطات العقود (٥٧) الخواتيم (٥٨) المجالس اليوسفية (٥٩) المحادثة (٦٠) ايقاظ الوسنان (٦١) نسيم الرياض (٦٢) الثبات عند الممات (٦٣) الوفاء بفضائل المصطفى (٦٤) مناقب أبي بكر (٦٦) مناقب عمر بن عبد العزيز (٦٧) مناقب سعيد بن المسيب (٦٨) منلقب الحسن البصري (٦٩) مناقب إبراهيم بن أدهم (٧٠) مناقب الفضيل (٧١) مناقب أحمد (٧٢) مناقب الشافعي (٧٣) مناقب معروف (٧٤) مناقب الثوري (٧٥) مناقب بشر (٧٦) مناقب رابعة (٧٧) العزلة (٧٨) مرافق المواقف (٧٩) الرياضة.

(٨٠) النصر على مصر (٨١) كان وكان في الوعظ (٨٢) مواسم العمر (٨٣) صيد الخاطر .

وله تصانيف أخرى .

نشأته :

وقد توفي والد أبي الفرج أبو الحسن وله ثلاث سنين، وكانت له عمة صالحة، وكان أهله تجاراً في النحاس، ولهذا نجده ألف في بعض الصناعات، ولما ترعرع حملته عمته إلى ابن ناصر فأغتني به، وقد رزق القبول في الوعظ .

مكانته :

حضر مجلس الخلفاء والوزراء والكبار، وحضروا مجالس وعظه، واقل ما كان يحضر مجلسه الألوف .

قال سبطة شمس الدين أبو المظفر : سمعته مرة يقول على المنبر في آخر عمره: كتبت بأصبعي هاتين ألف مجلد. وتاب على يدي مائة ألف وأسلم على يدى عشرون ألف يهودي ونصراني .

وكان يجلس بجامع القصر والرصاف والمنصور وبابا بدر وتربة أم الخليفة وكان يختم القرآن في كل أسبوع ولا يخرج من بيته إلا إلى الجمعة أو المجلس .

نماذج من وعظه :

قال في بعض مجالس وعظه :

عقارب المنايا تلسع. وأحذر: إن جسم الأمل يمنع الاحساس، وماء الحياة في إناء العمر يرشح الأنفاس .

وقال يعظ بعض الولاة: اذكر عند القدرة عدل الله فيك، وعند العقوبة قدرة الله عليك وإياك أن تشفى غيظك بسقم دينك .

وقال له قائل: ما نمت البارحة من شوقي إلى المجلس. قال لأنك تريد أن تتفرج وإنما ينبغي أن لا تنام الليلة لأجل ما سمعت .

وقال له قائل: أيهما أفضل: أسبح أو أستغفر؟ فقال: الثوب الوسخ أحوج إلى الصابون من البخور .

ومن مناجاته: إلهي لا تعذب لساناً يخبر عنك، ولا عينا تنظر إلى علوم تدل عليك، ولا قدما تمشي إلى خدمتك. ولا يداً تكتب حديث رسولك، فبعزتك لا تدخلني النار، فقد علم أهلها أني كنت أذب عن دينك .

نماذج من شعره :

ذكر العماد الكاتب له هذه الأبيات :

يـود حسودي أن يـرى لـي زلـة
إذا ما رأى الـزلات جـاءت اكـاذيب

أرد علـى خصمـــي وليـــس بقـــادر
على رد قـولي فهـو مـوت وتعـذيب
تري أوجـه الحســاد صفــرا لرؤيتــي
فإن فهمت عـادت وهـي سـود غرابيب

وقال أيضاً :

يـا صاحبي ان كنـت لـي أو معـي
فعــج إلــى وادي المحـــى نرتــع
وســل عــن الـــوادي وســكانــه
وأنشد فــؤاداً فــي ربـــا لعلـــع
حـى كثيب الرسـل رسـل الحمـى
وقـف وســلم لــى على المجمـــع
وسمـع حديثـا قــد روتــه الصبـــا
تسنــده عن بـــانت الاجـــــرع
وابك فمــا فــي العيــن مــن فضلــه
وتب فـدتك النفس عــن مـدمعــي
وانــزل عـــلى الشيـــخ أبي أديهــم
واشهـــم عشيب البـلــد البلقـــع
رفقــا بنضـــو قد بـــراه الأســى
يــا عـازلي لـو كـان قلبـي معـــي

لهفي على طيب ليال خلت
عودي تعودي مدنفا قد نعي
إذا تذكرت زمانا مضى
فويح أجفاني من ادمعى

محنته :

وقد نالته في أواخر عمره محنته فقد وشوا به إلى الخليفة في أمر أختلف في حقيقته وذلك في الصيف، فبينما هو جالس في بيته في السرداب يكتب، جاءه ما أسمعه غليظ الكلام وشتمه، وختم على كتبه وداره، وشتت عياله، فلما كان أول الليل حملوه في سفينة واحدروه إلى واسط، فأقام خمسة أيام ما أكل طعاماً وهو يومئذ ابن ثمانين سنة وحبسوه في دار بواسط، وجعلوا عليها بوابا. وكان يخدم نفسه ويغسل ثوبه ويطبخ ويستقي الماء من البئر، فبقى كذلك خمسة سنين .

وكان من جملة أسباب القضية أن الوزير ابن يونس قبض عليه فتتبع ابن القصاب أصحاب ابن يونس، وكان الركن عبد السلام بن عبدالوهاب بن عبد القادر الجيلي المتهم بسوء العقيدة واصلا عند ابن القصاب فقال له: أين أنت عند بن الجوزي فهو من أكبر أصحاب بن يونس. وأعطاه مدرسة جدى وأحرقت كتبى بمشورته

وهو ناصبي من الولاد أبي بكر. وكان ابن القصاب شعيبا فكتب إلى الخليفة وساعده جماعة ولبسوا على الخليفة فأمر بتسليمه إلى الركن عبد السلام .

وكان ابنه محيى الدين يوسف قد ترترع وقرأ الوعظ وكان صبيا ذكيا فوعظ، وتكلمت أم الخليفة في خلاص بن الجوزي فأطلق وعاد إلى بغداد .

وفاته :

قال سبطة أبو المظفر: جلس رحمه الله يوم السبت سابع رمضان تحت تربة أم الخليفة المجاورة لمعروف الكرخي وأنشد أبيات وهي :

الله أسأل أن يطول مدتي ... وأنال بالأنعام ما في نيتي

لي همة في العلم ما من مثلها ... وهي التي جنت النحول هي التي

كم كان لي من مجلس لو شبهت ... حالاته لتشبهت الجنة

ونزل فمرض خمسة أيام وتوفى ليلة الجمعية بين العشاءين في الثالث عشر من رمضان. وحضر غسله ضياء الدين ابن سكينة وضياء الدين ابن الحبير وقت السحر. واجتمع أهل بغداد وغلقت الاسواق. وحمله الناس إلى مقبرة أحمد بن حنبل .

وشيعه خلق كثير وكان قد أوصى أن يكتب على قبره :

يا كثير الصفح عمن ... كثر الذنب لديه
جاءك المذنب يرجوا ... العفو عن جرم يديه
أنا ضيف وجزاء ... الضيف إحسان إليه

ختام مسك وتسنيم

كما إستحسنا وخطر ببالنا ضم هذا الجزء بختام مسك ممزوج بالتسنيم وبالحاق وإضافة بعض خصائص مكة المكرمة والمدينة المنورة وفظلهما وما أعده الله لساكنيهما من العطايا والكنوز العظيمة فأهلها يشربون من معين القرب يتلذذون ويتمتعون بأنس القرب والمجاورة ويحافظون على أن لا يفوتهم في تلك الرحاب ما أعده الله لأولياءه وعباده الصالحين من الأجر العظيم والثواب الكبير الذي لا يماثله أجر أو ثواب في غيرهما من بقاع الأرض ومساجدها فجدير بمن يلم بهذه الفضائل والخصائص أن لا يفوته أي وقت أو تمر به أي دقيقة أو ثانية إلا وهو موجود وحلس في إحدى الحرمين الكريمين المسجد الحرام بمكة المكرمة أو المسجد النبوي الشريف بالمدينة مع وجود نية صادقة وعزم ويقين بالإيمان بما أعده الله لعباده المتقين وخاصة في تلك الرحاب وبقاعه المفضلة على غيرها من البقاع بنصوص الكتاب والموضحة من سيد الأنام محمد ﷺ.

فهنيئاً لك أيها الناسك أيها العابد وأنت تصلي في تلك الرحاب تشاهد الكعبة المشرفة وتتمتع بها خلال يومك وليلتك وأنت راكع أو ساجد تتلو كتاب الله وتسأل مولاك حال التلاوة والصلاة وفي وقت السجود وأنت في هذا المكان العظيم وأنت تتطوف حول البيت الشريف وتصلي وتدعو داخل الحرم الشريف تشاهد هذه الكعبة مقام الأنبياء والمرسلين بعزم صادق ونية صادقة ترجو ما عند الله وتسأله من خيرى الدنيا والآخرة، فيعطيك سؤالك ويدفع عنك من المكروه ما ألم بك تجعل تلك الرحلة رحلة تقى وتلك الوفادة خالصة للرحمن لا يعتريها الرياء أو السمعة بل تكسب بها ما عند الله بل أعظم من هذا تطلب بها مرضات الله ومحبته والأنس به وبكلامه وطاعته لا لأجل الثواب وإن كان مطلوباً ولكن أعظم منه هو الامتثال لداعي لله أمراً ونهياً إخلاصاً وصدقاً ومحبة وتعظيماً وإجلالًا طالباً رضاه عنك وأن يمنحك لذة الوصال لذة القرب ومحبته ومعرفته وما له من إجلال وتعظيم فهو غاية مطلوبك .

تريد بهذه الزيارة للبيت الشريف ما يرضيه وتجعل لك رصيد عظيماً في تلك اللحظات لحظات العمر هذا الأنفاس التى لا يماثلها شيء من حظوظ الدنيا بل لها وزن ثقيل عند أربابها وهم أهل القرب أهل المحبة لايفوتهم ولا نفساً إلا فيما يقربه لحضرة القدس فهم يتلذذون ويتمتعون بما أعطاهم من لذين إنعامه لذة الطاعة والمحبة لا

تشبهها لذة الملوك وأن قلوبهم لترقص طرباً ولذة وحلاوة وهم يصلون ويتلون القرآن العظيم ويطوفون بالبيت العتيق ويتنقولون من مكان عظيم إلى أعظم منه بل قلوبهم وأبدانهم معمورة بالطاعة في كل أوقاتهم فهم في حصن حصين لا يستطيع عدوهم الوصول إليهم وهم في رحابه وفي حرمه أنهم يطلبون رصيد الآخرة يضمون أعماراً إلى أعمارهم مقصودهم بهذه الزيارة أو هذه السكنى بمكة أو المدينة ما أعده الله لوافديها من زيادة الأجر والثواب زيادة الحسنات وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء فقد حركهم داعي الخير ونداء إبراهيم عليه السلام فهموا من سيد البشر ﷺ وإمامهم وقائدهم.

إن صلاة بالمسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة وصلاة في مسجده المسجد النبوي الشريف بألف صلاة وصلاة بالمسجد الأقصى بخمس مائة صلاة فيما سواه من المساجد والصلاة الواحدة بالحرم حرم مكة مسجد الكعبة تعدل خمس وخمسين سنة وستة أشهر وعشرة أيام فما بالك بعدد وخمس صلوات باليوم والليلة فهى تقارب ثلاث مائة سنة بغير الحرم ويقول المصطفى ﷺ أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين وقليل من يجاوز ذلك فالله سبحانه عوض أمة محمد وعلى لسان نبيه ﷺ بمضاعفة الحسنات فالحسنة بعشر أمثالها وأضعاف كثيرة في غير المساجد الثلاثة المذكورة ومع

هذا الفضل العظيم خص هذه المساجد الثلاثة شدا الرحال لها دون غيرها من المساجد وأودع فيها وميزها عن غيرها بهذا الفضل العظيم فما دام أن الأعمار على هذا الوصف فجدير بالمسلم وخاصة المتفرغ الذي عنده ما يغنيه عن الخلق أن لا تفوته لحظة إلا وهو في تلك الرحاب فأعمار الأمم السابقه زمنها طويل فقد قام نوح عليه السلام في الدعوة إلى الله ألف سنة إلا خمس عاماً فالله لطيف بعباده ومن لطفه ورحمته جعل صيام رمضان سر بينه وبين عباده الصائمين يجازيهم يوم اللقاء بأجزل الثواب وخصه بليلة القدر خير من ألف شهر.

كما خص هذه المساجد بهذا الفضل العظيم وأن صيام رمضان في الحرم الشريف يعدل صيام مائة ألف رمضان في غيره وهكذا الحسنات وهاكذا الثواب فليس خاص بالفرائض بل كل صلاة تعدل هذا الفضل العظيم لأن المصطفى ﷺ قال بالحديث صلاة تشمل صلاة الفريضة والنافلة .

الأوقات والأماكن التي قبل هي حرية فطنة لاستجابة الدعاء مع ذكر أداب الدعاء يصل عدد أماكن إستجابة الدعاء في مكة خاص إلى خمسين موضعا .

نذكر منها :

(١) عند الطواف بالبيت الشريف .

(٢) داخل الكعبة المشرفة .

(٣) عند الملتزم

(٤) خلف المقام .

(٥) تحت الميزاب.

(٦) حِجْر اسماعيل.

(٧) عند شرب ماء زمزم .

(٨) بين الركن والمقام .

(٩) على الصفا . (١٠) على المروة .

(١١) في المسعى . (١٢) في عرفات .

(١٣) في مزدلفة . (١٤) في منى .

(١٥) عند رمى الجمرة الأولى .

(١٦) عند رمي الجمرة الثانية .

(١٧) عند رمي الجمرة الثالثة .

(١٨) أدبار الصلوات .

(١٩) في آخر الليل عند النزول الالهى.

(٢٠) في آخر ساعة من يوم الجمعة .

(٢١) عند حضور الخطيب للخطبة .

(٢٢) عند الأذان . (٢٣) عند الاقامة للصلاة .

(٢٤) عند مجالس العلم ونزول الملائكة المقربون .

(٢٥) عند نزول المطر الغيث من السماء .

(٢٦) إذا كان مسافر أو وقت السفر .

(٢٧) عند القتال في سبيل الله .

(٢٨) بعد الوضوء للصلاة .

(٢٩) عند تلاوة القرآن الكريم .

(٣٠) عند قراءة أحاديث المصطفى ﷺ وخاصة في حلق الذكر .

(٣١) في السجود في الصلاة وهو أقربها وخاصة إذا وافق الداعاء الزمان والمكان فيكون المصلي مثلاً داخل الكعبة أو عند الملتزم أو غيرها من الأماكن المذكورة سالفاً وربما وافق الداعي دعاءه وهو صائم وكذلك وهو في رمضان وفي تلك الرحاب فيحصل له خير كبير ويعطيه الله ما سأله وحسب دعاء الداعي .

وغير ذلك من أوقات إجابة الدعاء سواء كانت مكانية أو زمانية أو اجتماعية فالله حي قيوم يجيب الدعاء في كل زمان ومكان في أي وقت سأل العبد ربه وجده بليل أو نهار سراً أو جهراً فهو قريب يجيب من دعاه وسأله كما قال جل شأنه ﴿**وإذا سألك عبادى عنى فإن قريب اجيب دعوة الداعى إذا دعان فالتستجيبوا لي وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون**﴾ ومن آداب الدعاء أن يكون القلب حاضر حال الدعاء وأن يحمد الله ويثنى عليه في أول دعاءه ويصلى

على سيد الأنام في آخر دعاءه وأن يتحرى أوقات الاجابة المذكورة بعضها سالفاً وأن يلح بالدعاء وأن لا يستعجل ويقول دعوت ودعوت فلم أرى يستجاب لى وهذا خطأ بل يستجيب الله سبحانه لعبده المؤمن وربما تأخرت الاجابة أو أجيب العبد وهو لا يدرى فقد يدفع الله عنه من السوء والمكروه وهو لا يشعر أو يحط عنه من الذنوب والسيئات بسبب دعاءه حتى يخلص مما يوهنه ويكون لائقاً حال الدعاء لأن المعاصى والذنوب تحول بين العبد وبين مراده فكون الداعي حال الدعاء نقياً تقياً مؤمناً بالله وأن الله يستجيب له الدعاء ولم يكن الدعاء فيه اثم أو قطيعة رحم أو لا يعزم بالدعاء فكل ما ذكر مانع من أجابة الدعاء فلابد من كون العبد الداعي حاضر القلب مؤمناً بالله لم يدع بأثم ولا ظلم ولا قطيعة رحم ولا يستعجل ولم يكن متلطخ بالذنوب ويكون في مقدمة الدعاء الثناء على الله وفي آخره الصلاة على الرسول ﷺ وغير ذلك من أداب الدعاء كما أن الدعاء يعجله الله حال كونه مظلوماً حتى من الكافر لأن دعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب فما بالك إذا كان الداعي المظلوم مؤمناً ومسلماً فهى أحرى بالاجابة وأسرع فاليحذر الظالم من الظلم فإن أخذ الله شديد ولينتظر العقوبة مالم يتسبب ويرد الظالم إلى أهلها إلى غير ذلك من أنواع العذاب .

فالله سبحانه هو الخالق وهو المختار خلق البشر واختار منهم الرسل والأنبياء عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم وخلق الملائكة واصطفى منهم جبريل وميكائيل واسرافيل وخلق الأرض وإختار منها أفضلها وأطهرها بقاعاً ﴿**وربك يخلق ما يشاء ويختار**﴾ وقال جل شأنه ﴿**الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس**﴾ .

فقد اختار الله مكة المكرمة والحرم من حولها وحرم سفك الدماء وعضه الشجر فقد حرم الله هذا البلد يوم خلق السموات والأرض فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة ولم يحل القتال فيه كما صح عن سيد المرسلين الذى رواه مسلم عن بن عباس رضى الله عنه يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة ثم قال في آخر الحديث لا يعضد شوكة ولا ينفر صيده ولا يلتقط لقطته إلا من عرفها ولا يختلى خلاها خرج سيد البشر ﷺ من مكة وهى أحب البلاد إليه فقد التفت إليها ﷺ وهو يبكي يودعها ويقول مخاطباً لها إنك أحب البلاد إلى الله وإنك لخير أرض وأحب أرض الله ولولا أننى أخرجت منك ما خرجت .

ولما وضع إبراهيم عليه وعلى رسولنا أفضل الصلاة والتسليم زوجته وابنه اسماعيل في مكة وتركهم، نادته زوجته يا إبراهيم أين تذهب وتدعنا في هذا الوادي وهو لا يجيبها ثم قالت الله أمرك بهذا قال نعم قالت إذن لا يضيعنا .

ثم رجعت لولدها إسماعيل عليه السلام فجاهم جبريل السلام فقال لا تخافوا الضيعة فإن هاهنا بيت الله يبنيه هذا الغلام وأبوه .

وحرم مكة المكرمة من المدينة ثلاثة أميال عند بيوت السقيا ويقال لها بيوت نثار بكسر النون وهي دون التنعيم ويعرف بمساجد عائشة رضى الله عنها ومن طريق اليمن سبعة أميال عند إضاة لهم ومن طريق العراق سبعة أميال على ثنيه فل تجاه معجمة مفتوحة ولام مشددة وفي المنتهى رجل بكسر الراء وسكون الجيم وهو جبل بالمنقطع ومن الجعرانة بتسعة أميال في شعب عبدالله بن خالد ومن جدة عشرة عند الاعثاش ويسمى الآن الشميسى واسمها التاريخي الحديبية ومن الطائف على عرفات من بطن منمرة سبعة عمن طرف عرفة[1] .

أما فضائل المدينة المنورة كثيرة جداً ونأخذ طرفاً منها ما قاله سيد البشر ﷺ «لا يصبر على لأواء المدينة وشدتها أحد من أمتى إلا كنت له شفيعاً يوم القيامة أو شهيداً رواه مسلم .

وبقوله ﷺ المدينة حرم ما بين عير إلى ثور فمن أحدث فيها حدثاً أو أوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله تعالى منه سرفاً ولا عدلا رواه البخاري ومسلم[2] .

---

(١) تقدم توضيح الحدود لمكة المكرمة فارجع لها.

(٢) تقدم حدود المدينة المنورة .

وعن سهل بن حنيف رضى الله عنه قال أهوى رسول الله ﷺ بيده إلى المدينة فقال أنها حرم آمن رواه مسلم .

المدينة تنفى خبثها ينصع طيّبها وقد ورد عن المصطفى ﷺ من حديث أبي هريرة الذي رواه مسلم إلا أن المدينة كالكير تخرج الخبيث لا تقوم الساعة حتى تنفي المدينة شرارها كما ينفي الكير خبث الحديد فالمنافق الساكن فيها أو الوافد إليها لا يقر له ولا يطيب له عيش ولا دار فهو فيها كالمحبوس وكالسجين وكالطير في القفص يحاول الفرار .

قال الرسول ﷺ «المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون» . متفق عليه .

المدينة كما قال سيد البشر ﷺ تأكل القرى فقال ﷺ أمرت بقرية تأكل القرى يقولون يثرب وهى المدينة تنفي الناس كما ينفي الكير خبث الحديث حديث متفق على صحته .

مكة والمدينة لا يدخلها الدجال فقد صح عن المصطفى ﷺ أنه قال ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة وليس نقب أنقابها إلا عليه الملائكة صافين تحرسها فينزل بالسيخة فترجف المدينة ثلاث رجفات يخرج منها كل كافر ومنافق رواه البخاري ومسلم .

في المدينة روضة من رياض الجنة قال سيد البشر ﷺ ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة حديث متفق عليه .

الإسلام يأرز بين المسجدين كما تأرز الحية إلى جحرها وذلك مسجدي مكة والمدينة .

كما صح عن سيد البشر ﷺ أنه قال بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريب كما بدأ أو هو يأزر بين المسجدين كما تأزر الحية في جحرها رواه مسلم .

وقد تم مادوناه في هذا الجزء ويليه الجزء الثالث في الخطب المتبرية سائلاً المولى جلت قدرته أن يجعل ما دوناه وجمعناه في هذا الجزء وغيره من الأجزاء خالصاً لوجهه الكريم وأن يعم بنفعه الجميع أنه مجيب الدعوات وصلى الله على خير خلقه محمد وآله وأصحابه والتابعين له باحسان إلى يوم نلقاه .

فالحاج وافد على الله تعالى فكان عليه أن يختار أجمل حلة يلقي بها مولاه، وليس في الدنيا جميل يحبه الله ويرضاه سوى طاعته وتقواه وأن ينتقي أحسن صورة يفد فيها على الله، وليس ثمت ما هو خير من

صورة تنبيء بالافتقار، والذل والانكسار. فليفد إذاً الوافدون على الله، وهم أشبه بالحفاة العراة وليكن الشعث شعارهم، وتناسي الذات دثارهم، وتطهير الروح بالتلبية والتضرع بالدعاء مرامهم، فإنهم بذلك واصلون، وعلى رضى مولاهم حائزون وتلك بغيتهم وبغيتنا في الحياة فاللهم قربنا منك ولا تبعدنا وصلنا ولا تقطعنا وارض عنا ولا تغضب علينا .

مكة المكرمة وحدود حرمها

مكـــة :

ما أشرف مكة وما أقدمها! وما أعظم أم القرى وما أفضلها مكة وما مكة؟ مكة بلد ولكن سما فوق البلاد وشرف على الأرض رباها والوهاد؛ لأنه بلد حوى بيت الله وأحاطه حرم الله فكان بذلك خير الأرض وأحبه إلى الله ومصداق ذلك قول رسول الله ﷺ (قد علمت أنك خير أرض الله وأحب الأرض إلى الله ولولا أن أهلك أخرجوني ما خرجت) .

مكة البلد الذي مازال منذ وطئته قدم الخليل وراح وغدا فوق تربته إسماعيل مازال مثابة للناس وأمناً وملجأ للخائفين وحصناً .

تزداد عظمته على الأيام وتعظم قدسيته على مر السنين والأعوام دخله الرسول ﷺ يوم أن فتحه الله له فأعلن فيه: أن هذا البلد بلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة .

وماذا أريد لك ـــ أخي المسلم ـــ بهذا؟ أريد لك أن يعظم إكبارك لهذا البلد الذي أكبره الله، وأن يزداد احترامك لمكة التي حرمها الله، فتدخلها متطامناً خاشعاً لله وتخرج منها شاكراً لله، وذلك أقل ما يجب عليك في بلد الله .

حدود الحرم :

ما من شك أن لكل حمى حدوداً تحده، وعلامات تفصله عن غيره ومن هنا كان حمى الله أحق بذلك وأولي، فقد روي أن جبريل أخذ بيد إبراهيم عليهما السلام وأوقفه على حدود الحرم فنصب عليها الخليل علامات تعرف بها فكان إبراهيم عليه السلام أول من وضع علامات حدود الحرم ثم جدد عهدها قصي من العرب، ثم قريش على عهد الرسول ﷺ، ثم عمر بن الخطاب، ثم كلما تصدعت رممها خلفاء الإسلام، وكان آخرهم عهداً بإصلاحها الملك سعود ابن عبد العزيز آل سعود غفر الله له ورحمه .

أما بيان هذه الحدود مع مسافاتها فهو كما يلي:

١ ــ شمالاً : من جهة المدينة بالمكان المسمى بالتنعيم، أو مساجد عائشة رضي الله عنها. والمسافة بينه وبين المسجد الحرام تقدر بنحو أربعة أميال .

٢ ــ غرباً: من جهة جدة عند المكان المسمس بالحديبية، والمسافة بينه وبين المسجد تقدر بنحو عشرة أميال .

٣ ــ شرقاً : من جهة نجد عند المكان المسمي بجعرانة والمسافة بينه وبين المسجد تقدر بنحو ثمانية أميال .

٤ ــ جنوباً : من جهة عرفة عند نمرة والمسافة بينه وبين المسجد تقدر بنحو ثلاثة عشر ميلاً .

آداب دخول مكة والمسجد الحرام

من الآداب التي تتطلبها حرمة مكة وقدسيتها أن يغتسل الداخل إليها على جهة الاستحباب، فقد كان رسول الله ﷺ يغتسل بذي طوى لدخولها، وأن يدخلها من أعلاها عن طريق المعلاة، وأن يخرج إذا خرج منها من أسفلها عن نهج الشبيكة .

أما المسجد الحرام فيستحب أن يدخله من باب بني شيب والمعروف الآن بباب السلام، وأن يقول عند الدخول: بسم الله، وبالله، ومن الله وإلى الله اللهم افتح لي أبواب رحمتك، وإذا رأى

البيت رفع يديه ويقول. اللهم أنت السلام، ومنك السلام حينا ربنا بالسلام. اللهم زد هذا البيت تشريفاً وتعظيماً وتكريماً ومهابة وبراً، وزد من شرفه وكرمه ممن حجه أو اعتمر تشريفاً وتعظيماً، وتكريماً ومهابة وبراً .

الحمد لله رب العالمين كثيراً كما هو أهله، وكما ينبغي لكمال وجهه، وعز جلاله، والحمد لله الذي بلغني بيته، ورآني لذلك أهلاً، والحمد لله على كل حال اللهم إنك دعوت إلى حج بيتك الحرام، وقد جئتك لذلك. اللهم تقبل مني، واعف عني واصلح لي شأني كله، لا إله إلا أنت .

البيت الحرام وتاريخ بنائه

لا شك أن تاريخ البيت الحرام من أعمق التاريخ وأطوله فقد قال تعالى: ﴿**إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين**﴾ آل عمران .

ففي هذه الآية كما في قوله تعالى: ﴿**وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت**﴾ ما يرشد إلى أن هذا البيت العتيق من أقدم البيوت وأعرقها في المجد والشرف .

وقد اختلف في أول من بني البيت فقيل: إن أول من بناه الملائكة بأمر الله تعالى، ثم آدم عليه السلام، ثم أولاده حتى حجه نوح عليه السلام، ثم بناه إبراهيم الخليل حيث أرشده الله تعالى إلى مكانه، ثم العمالقة، ثم قبيلة جرهم ثم قصي بن كلاب، ثم قريش على عهد الرسول ﷺ، ثم عبد الله بن الزبير رضي الله عنه سنة ٦٥هـ ثم الحجاج بن يوسف سنة ٧٤هـ ثم الخليفة العثماني السلطان مراد خان سنة ١٠٤٠هـ .

هذا عدا الترميمات التي يقوم بها الخلفاء المسلمون من الوقت إلى الوقت، وكان آخرها ما قام به الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود سنة ١٣٧٧:

ومما ينبغي أن يلاحظ في تاريخ بناء البيت، أنه لا يوجد نص قطعي يشهد لبناء البيت قبل إبراهيم عليه السلام، بل ظاهر الآيات القرآنية يدل على أن أول بنائه كان على يد الخليل وولده إسماعيل .

غير أنه لولا الرغبة في معرفة الحقيقة لما كان يهمنا البحث في هذا بالكلية لعلمنا أن البيت لم يشرف بقدم عهده، وطول بقائه وإنما شرفه بنسبته إلى الله تعالى، وبوضعه رمزاً لتوحيد الله، ومنار هداية للعالمين، وقبلة لعامة المسلمين .

شــرف البيـت الحـرام

لقد قالوا إن كثرة الأسماء تدل على شرف المسمى، وإذا كان هذا صحيحاً فإن لهذا البيت الأسماء العديدة والنعوت الكثيرة فهو بيت الله، والبيت العتيق، والبيت الحرام، والكعبة، والقبلـة، والبـيت ودعامة الإسلام .

ولكن هذا مهما كان فإنه لا أدل على شرف البيت من قوله تعالى: **﴿إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدلاً للعالمين، فيه آيات بينات مقام إبراهيم، ومن دخله كان آمناً، ولله على الناس حج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً**[1] **ومن قولـه عز وجل ﴿جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس﴾**[2] . ومن قول الرسول ﷺ: (إن هذا البيت دعامة الإسلام، ومن خرج يؤم هذا البيت من حاج أو معتمر كان مضمونا على الله عز وجل إن قبضه أن يدخله الجنة، وإن رده أن يرده بأجر وغنيمة)[1] . ومن قوله ﷺ

(١) آل عمران.

(٢) المـائدة .

(٣) الطبراني وفي سنده متروك .

(إن الله في كل يوم وليلة عشرين ومائة رحمة تنزل على أهل هذا البيت فستون للطائفين، وأربعون للمصلين، وعشرون للناظرين)[1]. ومن قوله ﷺ لما نظر إلى الكعبة: (لا إله إلا الله ما أطيبك! وأطيب ريحك! وأعظم حرمتك! والمؤمن أعظم حرمة منك، إن الله جعلك حراماً، وحرم من المؤمن ماله ودمه وعرضه، وأن يظن به ظناً سيئاً) .

مكانة الحجر الأسود والركن اليماني

ومن أشرف أجزاء البيت الحجر الأسود والركن اليماني، ولذا شرع تقبيل الأول واستلام الثاني، وقد قيل أن شرفهما كان لوضعهما على قواعد إبراهيم عليه السلام بخلاف الركنين الشاميين فلم يكونا على قواعده عليه السلام وذلك أن قريشاً لما بنت الكعبة غيرت وضعها فأخرجت منها ستة أذرع، وكان ذلك لعجزها عن النفقة الكافية لإتمام البيت على وضعه الأول، وسبب العجز: أنها لم تشأ أن تنفق على البيت إلا المال الحلال، والمال الحلال قليل وجوده عندها، فاقتصر على بناء الموجود وتركت ستة أذرع إلى الحجر

---

(١) البيهقي بسند حسن .

شمالاً، فكان ذلك الركنان الشاميان غير موضوعين على قواعد إبراهيم عليه السلام، فلم يستحب استلامهما.

وللحجر الأسود بالخصوص مكانة في نفوس المؤمنين، ومنزلة سامية عند جميع المسلمين، فهم يرون في شرفة وعلو مكانته من الأخبار والآثار مايزيد هذا الحجر المقدس جلالاً ومهابة، وشرفاً وتعظيماً ومن ذلك قوله ﷺ: (الحجر الأسود يمين الله في الأرض)[1] . وقوله: (إن الحجر والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله نورهما، ولولا أن طمس نورهما لأضاءا ما بين المشرق والمغرب)[2] . وقوله: (يأتي هذا الحجر يوم القيامة له عينان يبصر بهما، ولسان ينطق به يشهد لمن استلمه بحق)[3] . وقوله: (نزل الحجر الأسود من الجنة وهو أشد بياضاً من اللبن فسودته خطايا بني آدم)[4] .

ويكفي هذا الحجر شرفاً تقبيل سيد ولد آدم ﷺ له، قوله: (أكثروا استلام هذا الحجر فإنكم توشكون أن تفقدوه، بينما الناس

---

(١) الطبراني وابن خزيمة في صحيحه .

(٢) الترمذي وابن حبان والحاكم .

(٣) الترمذي وحسنه .

(٤) الترمذي وصححه .

يطوفون به ذات ليلة إذا أصبحوا وقد فقدوه، إن الله لا يترك شيئاً من الجنة في الأرض إلا أعاده فيها قبل يوم القيامة)[1] .

وليس الركن اليماني بأهون شأناً أو أقل قيمة من شقيقه الحجر الأسود فإن لكل منهما فضائل، ولكل منهما ميزات وخصائص، فقد كان الرسول ﷺ يكثر استلام الركن اليماني، وقيل له في ذلك فقال: (ما أتيت عليه قط إلا جبريل عليه السلام قائم عنده يستغفر لمن استلمه)[2] . وأثر عن أبي هريرة رضي الله عنه (أنه وكل بالركن اليماني سبعون ملكاً فمن قال: اللهم إني أسألك العفو والعافية في الدنيا والآخرة، اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، قالوا: آمين). ومما يزيد هذا الركن تقديراً في نفوس المؤمنين ما روي أنه من وضع يده على الركن ــ اليماني ــ ثم دعا استجيب له .

شرف الملتزم والحطيم

أليس الملتزم محاذياً للبيت وجزءاً ملتصقاً به؟ فلم لا يكون إذاً: شريفاً وذا قدس وجلال؟ .

---

(١) رواه الأزرقي في التاريخ .
(٢) رواه الأزرقي عن عطاء مرفوعاً .

إن الملتزم هو ذلك المكان الذي بين باب البيت والحجر الأسود، والذي قال فيه الرسول ﷺ (الملتزم موضع يستجاب فيه الدعاء، وما دعا عبد الله تعالى فيه إلا استجاب له، ولذا كان هذا المكان المقدس موضع تعلق وفود الله تعالى فهناك يلصقون أيديهم وصدورهم بجدار البيت باكين خاشعين، مبتهلين متضرعين يسألون الله رضوانه والجنة، ويستعيذون من سخطه والنار.

سبحان الله ما أطيب هناك البكاء! وما أروح على النفس الزفرات وما أبرد على القلب العبرات.

وسبحان الله ما أطيب لثم الحجر، وما ألذ عنده ذرف العبر! وسبحان الله ما أسعد عبداً وضع على الحجر شفتيه، ولمسه براحته وكفيه، وأذرف دموعه على وجنتيه!.

وسبحان الله ما أروع هذا الخبر وما أعذب هذا الأثر فقد روي عن الفاروق عمر أن النبي ﷺ استقبل الحجر ووضع شفتيه عليه يبكي طويلاً، ثم التفت فإذا عمر بن الخطاب يبكي فقال: يا عمر هاهنا تسكب العبرات.

أما الحطيم، وهو بساط النور المثلث والساحة العظمى وقطعة الأرض المثلى هو ذلك المكان المحصور[1] بين مصاعد الأنوار.

(١) وقيل أن الحطيم: حجر اسماعيل وذلك لكون البيت رفع بناؤه وهو بقي محطوماً.

ركن الحجر، وزمزم، والمقام وإن مما يدل على شرف الحطيم، وينبىء عن قدسيته وسمو مكانته ما روى عن الرسول ﷺ لما سأل عائشة قائلاً. أي البقاع خير؟ فقالت. الله ورسوله أعلم ثم استدركت قائلة: يا رسول الله كأنك تريد بين الركن والمقام؟ قال: صدقت إن خير البقاع وأطهرها وأزكاها وأقربها من الله ما بين الركن والمقام وإن فيما بين الركن والمقام روضة من رياض الجنة، فمن صلى فيها أربع ركعات نودي من بطنان العرش: أيها العبد غفر لك ما قد سلف منك فاستأنف العمل .

قدسية المقام وحجر اسماعيل

إذا كان المقام هو ذاك الحجر، الذي كان الخليل يعلوه عند بنائه البيت كلما ارتفع جدار الكعبة. ولم يتمكن من وضع الحجارة على الجدار لارتفاعه حتى إذا تم البناء تركه مكانه إلى جانب آخر جدار تم بناؤه من جدران الكعبة المشرفة، فهو إذ يعتبر كأكبر مساهم في بناء البيت الحرام، وإذا كان الحجر الأسود يكرم لأنه الحجر الأساسي لوضع البيت فإن المقام ينبغي أن يكرم لأنه حجر تدشين البيت .

وما يدرينا أنا أمرنا بالصلاة خلفه حفظاً لمزيته، وإبقاء على

شرفه فإن البقاع تشرف بحسب العبادة التي تقع فيها. فقد قدم هذا الحجر أكبر خدمة لبناء بيت الله، وأعظم مساعدة لنبي الله فاستحق أن يصلي خلفه ليتشرف بأعظم عبادة لله. قال تعالى: ﴿**واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى**﴾ البقرة .

حقاً لقد اعترف الإسلام بمزية المقام ليرمز بذلك إلى أن مكافأة العاملين المحسنين، وإبرار الصالحين الصادقين من مباديء هذا الدين .

هذا وإن مما زاد المقام شرفاً تطامنه من خشية الله فلقد ساخت فيه قدما إبراهيم فكان بذلك آية صدق نبوة إبراهيم، وعلامة واضحة على ألوهية رب العالمين فسبحان من تهبط الحجارة من خشيته، وتلين الصم الجلاميد من هيبته .

ليس بدعا أن نقول: إن أثر قدمي إبراهيم مازال على المقام إلى اليوم، وقديماً قال أبو طالب في لاميته:

وموطيء إبراهيم في الصخر رطبة   على قدميه حافياً غير ناعل

وما يحمل على الإنكار، وقد قال تعالى في محكم كتابه ﴿**وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار، وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء، وإن منها لما يهبط من خشية الله**﴾ . البقرة .

وقال: ﴿**لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً**

من خشية الله﴾ . الحشر .

وقد صح أن أحداً اضطرب تحت قدمي الرسول ﷺ فقال له (أسكن ياجبل فما عليك إلا نبي وصديق وشهيدان) وما يجدر أن نلاحظ هنا أن صلاتنا خلف المقام أشبه بسجود الملائكة لآدم عليه السلام، طاعة لله وحصوله شرف وتكريم لآدم والمقام حيث وقعت دونها عبادة الله، فزادهما الله بذلك تشريفاً وتكريماً، ومهابة وتعظيماً .

حجر إسماعيل :

أما حجر إسماعيل فقد اكتسب الشرف من نواح عديدة فمنها: ملاصقته للبيت ومحاذاته لها، ومنها: أن نحواً من ستة أذرع من أصل البيت هي الآن داخلة فيه ومن مساحته . فقد قال الرسول ﷺ لعائشة لولا أن قومك حديثو عهد بشرك، لهدمت الكعبة فالزقتها بالأرض ولجعلت لها باباً شرقياً، وباباً غربياً. وزدت فيه ستة أذرع من الحجر؛ فإن قريشاً نقصتها حين بنت الكعبة، في الصحيح .

وللحجر فضائل وميزات غير ما ذكر. فقد روي عنه ﷺ: من قام تحت الميزان فدعا استجيب له، وأن على باب الحجر ملكاً يقول لمن دخل فصلى ركعتين: مغفوراً لك مامضي. رواه الأزرقي عن عطاء .

ومما تجدر الإشارة إليه أن الطواف داخل الحجر لا يصح، بل من ورائه لأن ستة أذرع منه هي من أصل البيت، والطواف داخل البيت لا يصح كما أن الصلاة المكتوبة داخل الحجر لا تصح كالصلاة داخل البيت للعلة السابقة، وهي أن ستة أذرع من البيت في الحجر الآن. أما النافلة فجائزة في كليهما بل مستحبة .

وكلمة أخيرة :

أيها الغافلون أمثالي: أرأيتم كيف تقدست الحجارة، وشرفت الأتربة وعلا شأن البقاع؟ وهل عرفتم بماذا كان قدسها وحصل شرفهما، وعز شأنهما؟ طبعاً ستقولون لا لأنكم غافلون ولو زالت غفلتكم لعرفتم أن ذلك ما كان إلا بنسبتها إلى الله فهي إما بيته أو حرمه أو مقام لابد من خشيته، أو مكان دفن فيه أنبياؤه، أو ساحة أظهرت فيها طاعته. ولو زالت غفلتكم أيضاً لعرفتم أنكم بعبادتكم لله وبخشوعكم له، وبطاعتكم وطهارة نفوسكم، وبإخلاصكم وكمال توحيدكم أشد قدساً من مكة، وأعظم حرمة من البيت، وأسمى شرفاً من المقام وأعلى مكانة من الحطيم، وزمزم، وحجر إسماعيل، وإن كنتم في شك من ذلك فأعيدوا معي سرد هذا الحديث الصحيح :

روي عن ابن عباس رضي الله عنه (أن النبي ﷺ لما نظر إلى الكعبة قال لا إله إلا الله ما أطيبك وأطيب ريحك، وأعظم حرمتك! والمؤمن أعظم حرمة منك، إن الله جعلك حراماً، وحرم من المؤمن دمه وماله وعرضه، وأن يظن به ظناً سيئاً) تقدم .

فضل المسجد الحرام وزمزم

يكفي المسجد الحرام شرفاً إن كان هالة تحوط بيت الله، دائرة مجد تقع فيها كعبة الشرف، وأن يكون فلكاً تدور فيه الكمالات، وأن يكون مهبطاً لنزول الرحمات والبركات .

ومما يزيده شرف قدر، وسمو مكانة أن تكون الصلاة فيه تعدل مائة ألف صلاة فيما سواه، كما صح ذلك عن رسول الله ﷺ، وأن يكون أعظم المساجد الثلاثة وأجلها وأن يقول فيه الله: **﴿إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد[1] الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم﴾** .

---

(١) اختلف في : هل المسجد الحرام هو الحرم كله، أو هو المسجد الذي تقع فيه صلاة الجماعة ويحرم على الجنب أن يمكث فيه فقط؟ ولكل قائل أدلة غير أن الراجح يكون المراد بالمسجد الحرام هو المسجد الذي تقع فيه صلاة الجماعة. يحيط بالكعبة دون ماسواه من أراضي مكة من الحرم والله أعلم .

فقد أظهرت هذه الآية القرآنية الكريمة قدسيته، وسجلت حرمته، وجعلته مأمناً للخائفين؛ وبيتاً مشاعاً للمسلمين والمؤمنين .

أما زمزم : فهو آية الله الدالة على توحيده فقد كان نبعه بهمزة جبريل كرامة لأم إسماعيل فشرفه ظاهر في خلوده وطول بقائه وفي كونه سقيا إسماعيل وعمارة المسجد الحرام وشرب الطائفين والعاكفين . وليس أدل على فضله من أن يختار ماؤه لغسل قلب سيد المرسلين[1] فإنه لو كان هناك ماء في الأرض أطهر أو أصلح وأطيب لغسل به قلب المصطفى ليحصل به الطهر المرجو والصفاء، ولكن وقوع الاختيار على زمزم دل على ما لهذا الماء من مزية وما له من خاصة في تطهير القلوب، وتقوية الأرواح، فتلك الغسلة الخاصة والتنظيفة المتعمدة أصبح قلب الرسول ﷺ وروحه مستعداً للاتصال بالملكوت الأعلى ولمشاهدة أنوار الله التي اندكت لها الجبال، فقد شاهد ﷺ في تلك الرحلة السماوية من عجائب المخلوقات، وعظيم الكائنات مالا يقوي على رؤيته، ولا يقدر على مشاهدته إلا من كان من عالم الأرواح. قال تعالى: ﴿**ولقد رآه نزلة**

---

(١) قضية غسل قلب الرسول ﷺ بماء زمزم رواه البخاري .

نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى إذ يغشى السدرة ما يغشى، مازاغ البصر وما طغى لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾ . النجم .

ألم يكن السبب المباشر في قوة قلب محمد ﷺ وروحه تلك الغسلة من ماء زمزم المبارك؟ بلى. فزمزم إذاً إحدى آيات الله التي تطهر القلوب وتزكي الأرواح وإن زمزم هو كما قال فيه رسول الله ﷺ: (زمزم شفاء، زمزم لما شرب له)[1]. إن شربته تستشفى به شفاك الله، وإن شربته لقطع ظمئك قطعه الله، وإذا شربته لشبعك أشبعك الله . ورضي الله تعالى عن ابن عباس فقد كان إذا شربه يقول: اللهم إني أسألك علماً نافعاً، ورزقاً واسعاً، وشفاء من كل داء إيماناً منه بقول الرسول ﷺ (زمزم لما شرب له) .

زيارة المسجد النبوي الشريف والتشرف بالسلام وبالوقوف على قبر النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم

المدينة المنورة حرم رسول الله ﷺ وحماه.

إذا كان الله تعالى قد حرم مكة وحماها فإن رسول الله ﷺ قد

---

(١) الدارقطني والحاكم .

حرم المدينة وحماها، فكلاهما حرم، وكلاهما حمى. وكما لمكة المكرمة حمى معروف المعالم والحدود لا يصاد صيده، ولا يعضد شجره، ولا يختلي خلاء، كذلك للمدينة المنورة حمى حماه رسول الله ﷺ فلا ينفر صيده ولا يعضد شجره، ولا يختلي خلاه. رواه أبو داود عن علي رضي الله عنه قال: ما كتبنا عن رسول الله ﷺ إلا القرآن، وما في الصحيفة، قال: قال رسول الله ﷺ (المدينة حرام ما بين عير إلى ثور فمن أحدث حدثاً وآوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه عدل ولا صرف ـــ إلى أن قال ـــ لا يختلي خلاها ولا ينفر صيدها، ولا تلتقط لقطتها إلا لمن أشاد بها، ولا يصلح لرجل أن يحمل فيها السلاح لقتال ولا يصلح أن يقطع منها شجرة إلا أن يعلف رجل بعيره) .

وروي أيضاً عن عدي بن زيد رضي الله عنه قال: حمى رسول الله ﷺ كل ناحية من المدينة بريداً في بريد، لا يخبط شجرة ولا يعضد إلا ما يساق به الجمل. كما أن سعد بن أبي وقاص أخذ رجلاً يصيد في حرم المدينة الذي حرم رسول الله ﷺ فسلبه ثيابه، فجاء مواليه فكلموه فيه، قال: إن رسول الله ﷺ حرم هذا الحرم وقال: (من وجد أحداً يصيد فيه فليسلبه ثيابه) ولا أرد عليكم طعمه أطعمنيها رسول الله ﷺ ولكن إن شئتم دفعت لكم ثمنه .

وموجز القول حرم حرمها رسول الله ﷺ وحماها بإذن الله تعالى، كما حرم إبراهيم مكة وحماها بإذنه تعالى، وإن حدود المدينة بريد من كل جهة من جهاتها أي نحو من أربعة عشر كيلو متر من كل جهة من جهاتها الأربع غير أن الجمهور على أنه لا جزاء في صيدها، ولا في قطع أشجارها؛ لأن الرسول ﷺ وأصحابه لم يحكموا في ذلك بشيء .

فضل المدينة المنورة

أليست المدينة المنورة مقر الإسلام، ومهبط الوحي، ومصدر الحضارة الإسلامية وينبوع الكمالات والفضائل الإنسانية؟

بلى، وبلى مرات ومرات! إذاً فالمدينة الفاضلة التي لم تر الدنيا مثلها، ولم يشهد العالم الإنساني على طول تاريخه مدينة جمعت أصول الكمال وفروعه، وأطرافه وحواشيه وفي جميع الميادين مثل مدينة الرسول محمد سيد البشر ﷺ .

طيبة وطابة، والجامعة، والقربة التي تأكل القرى هي أسماء لتلك المدينة الفاضلة طالما حلم الفلاسفة القدامى بوجود مثلها، وياليتهم عاشوا حتى شاهدوا تحقيق حلمهم يتمثل في مدينة الرسول الأعظم ﷺ على عهده وعهد خلفائه الراشدين .

وهاك ما ورد في فضلها على لسان النبي الصادق، روي في الصحاح قوله ﷺ (اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد) وقوله ﷺ (إن الإيمان ليأرز[1] إلى المدينة، كما تأرز الحية إلى جحرها، لا يصبر[2] على لأوائها وشدتها أحد إلا كنت له شفيعاً أو شهيداً يوم القيامة) وقوله ﷺ (من استطاع منكم أن يموت بالمدينة فليفعل، فإني أشهد لمن مات بها) وقوله ﷺ (اللهم إن إبراهيم حرم مكة، وأنا أحرم ما بين لابتيها)[3] وقوله ﷺ: اللهم (إنهم أخرجوني من أحب البلاد إلى فاسكني في أحب البلاد إليك)[4] وقوله ﷺ (إنما المدينة كالكير تنفي خبثها وينصع طيبها) .

ويرحم الله عمر بن عبد العزيز الخليفة الراشد، فقد روى مالك في الموطأ: أنه لما خرج من المدينة التفت إليها فبكى، ثم قال: يا مزاحم — مولاه — أنخشى أن نكون ممن نفت المدينة؟

شرف أهل المدينة

لم لا يشرف أهل المدينة، ولم لا يعلو قدرهم، ولم لا يفضلون عن غيرهم؟ أليسوا حماة الحمى أليسوا حراس الفضائل، أليسوا أمناء

(١ — ٢) رواه مالك في الموطأ.

(٣) اللابة . الحرة واللابتان حرتان تكتنفان المدينة. والحرة حمارة جرداء .

(٤) رواه الحاكم في مستدركه فيه ضعف .

مركز الإشعار الإسلامي والرحمة والنور، بل في كل ذلك، وفوقه أنهم جيرة الرسول ﷺ وعمار مسجده، وسكان بلده، والمرابطون في حرمه، وصلى الله على سيدنا محمد إذ يوصي بهم، ويؤكد حرمتهم، ويؤثل مجدهم، ويقرر حقهم في الفضل والسيادة، والشرف والكمال، فيقول: (اللهم بارك لهم ــ يعني أهل المدينة ــ في مكيالهم ، وبارك لهم في صاعهم، ومده) ويقول ﷺ (لا يكيد أحد أهل المدينة أحد إلا انماع كما ينماع الملح في الماء) ويقول ﷺ (لا يريد أحد أهل المدينة بسوء إلا أذابه الله في النار ذوب الرصاص) ويقول ﷺ (مهاجري فيها مضجعي، ومنها مبعثي. حقيقي على أمتي حفظ جيراني، مالم يرتكبوا الكبائر، ومن حفظهم كنت له شفيعاً وشهيداً يوم القيامة) .

ليس من أهل المدينة من يفسد فيها

إذا كان الله عز شأنه، وجلت قدرته. يقول لنبيه ورسوله نوح ﷺ في شأن ولده الذي عق وفسد «يانوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح» فيخرجه الرب جل وعلا من حظيرة أهله، وينزل به لعنة تطرده من ساحات الرحمة، وفناء الرضا والسلام إلى الأبد ولا لشيء سوى أنه عمل عملاً غير صالح لا يزكي النفس ولا يطهرها من أعمال الشرك والفساد .

فإن مما لا شك فيه أن من يعمل من سكان المدينة بغير ما يصلح النفس ويزكيها لا يكون من أهلها، ولا يعد من أنصارها، ولا ينال شرف الإنتساب إليها بل الثابت أنه تقررت لعنته، ووجب إبعاده وطرده. وأنه وإن كانت المدينة تنفي خبثها. فإن على سكانها أن يحققوا لها ذلك بالفعل، فيعملوا دائماً على تطهيرها من كل فساد، ومن كل فاعلية، وكيف قال الرسول ﷺ محذراً موعداً (ولا يحدث فيها حدث، ومن أحدث فيها حدثاً، أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين). فهذا الحكم الذي أعلنه ﷺ ضد العابثين بشرف طيبة، والمستهترين بكمالها بما يرتكبونه فيها من شر وفساد لحكم مستمد من حكم الله تعالى: ﴿**ومن يطع الرسول فقد أطاع الله**﴾ .

وخلاصة القول : إن لسكان المدينة حرمة وشرفاً، وقدراً ما لم يعملوا بمعاصي الله، فإن هم عملوا بذلك فلاحظ لهم في الإعزاز ولا في التكريم. وإنا وإن كنا نعطف عليهم أكثر من غيرهم، ونحب أن نستر عليهم إذا لم نتمكن من إصلاحهم لما لهم في نفوسنا ونفوس سائر المؤمنين من إجلال وإكبار، فإنا لا نرضى أبداً ولن نرضى مادام الحق رائدنا، وتعاليم الدين الحنيف مبدأنا أن نسم بالصلاح منهم من كان فاسداً، ولا بالاعتدال والقصد منهم من كان جائراً ولا بالشكر

منهم من كان الفضل ناكراً، ولا بالهداية منهم من كان غاوياً؛ فإن الحق أحق أن يقال، والمداهنة على حساب الحق شر من الخذلان .

فياحماة المعرس[1] ويا أهل الحي المقدس، لا تضيعوا شرفكم بالحدث والفساد في مغناه، ولا تنزلوا قدركم بغدر من علاه، ولا تنسوا واذكروا دائماً أنكم جيرة رسول الله، اللهم صل عليه وعلى آله وصحبه وعليهم ما اهتدوا بهداه .

فضل المسجد النبوي

إن مصدر كل فضل وخير وبركة هو الله تعالى والله وحده وبدون شك، فإنه ما شرف مكان، ولا فضل زمان إلا والله تعالى هو المشرف له عن غيره والمفضل له عما سواه. ومن المجمع عليه عندنا أمة الإسلام أن هناك أماكن مقدسة مباركة فاضلة، ومثلها أزمنة متفاضلة مباركة فليلة القدر خير من ألف شهر، ويوم عرفة خير يوم طلعت عليه الشمس ونحن نعلم أن سبب فضلهما لم يكن لذاتهما بل كان لما لابهما، فليلة القدر شرفت بنزول القرآن فيها، ويوم عرفة

---

(١) المعرس: موضع النزول، والمراد به هنا منازل المدينة المنورة. والمعرس أيضاً: مكان كان ينزل فيه الرسول ﷺ على بعد ستة أميال من المدينة .

فضل لما يقع فيه من التجليات الربانية لأهل الموقف.

ومن هذه الأمكنة الشريفة الفاضلة المسجد الحرام، ومسجده ﷺ والمسجد الأقصى الذي بارك الله حوله من أرض الشام. فالمسجد الحرام فضل لأنه لابسه بيت الله، والمسجد النبوي شرف لأنه لابسه رسول الله ﷺ والمسجد الأقصى تشرف لأنه باركه الله، ففضل الكل عائد إلى الله، والله عز شأنه مصدر كل إفضال ومعطي كل إنعام .

ولقد نوه الله تبارك وتعالى بشأن هذه المساجد الثلاثة بقوله ﴿**سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله**﴾ فذكر الأول والثالث بإسميهما المعروفين عند نزول الآية، وأشار إلى الثاني ولم يصرح باسمه لكونه لم يظهر بعد إلى حيز الوجود، ولو كان عنده تعالى كالموجود لما سبق بذلك علمه، وجرى به قدره. وبيان ذلك أن لكلمة الأقصى إسم تفضيل بوضعها أنها مفضلة على غيرها وهي كلمة القاصي ومن كان بالمسجد الحرام فالمسجد القاصي بالنسبة إليه، هو مسجد الرسول ﷺ بالمدينة المنورة، والمسجد الأقصى هو ما كان أبعد من ذلك، وهو المسجد الأقصي المصرح باسمه في الآية .

فمن هنا علمنا أن مسجد الرسول ﷺ قد ذكر بالإشارة ضمن

المسجدين العظيمين المنوه بشأنهما في الآية. فمسجد الرسول ﷺ اذاً مسجد فاضل مفضل في كتاب الله عز وجل، وفي سنة الرسول ﷺ .

ومما يلاحظ هنا أن الرسول ﷺ لما ذكر هذه المساجد رتبها في الذكر والفضل كالترتيب الذي جاء في الآية الكريمة، فقال ﴿**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجد الحرام، ومسجدي هذا والمسجد الأقصى**﴾ هذا ومما يدل على شرف المسجد النبوي المقدس قوله صلوات الله وسلامه عليه (صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام) ومما زاده سمواً وعلواً وشرفاً وقدساً: أنه ضم روضة من رياض الجنة، ومنبراً على حوض من حياضها؛ فقد روى مالك عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال (ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوض) فحق إذاً لمسجد الرسول ﷺ أن تشد له الرحال، وأن تنفق في زيارته الأموال وأن يتوسل بزيارته والصلاة فيه إلى الكبير المتعال طلباً للفضل وتحقيقاً للآمال .

ولا تنسى أن هذا المسجد فاز بمزية، وتسامى بمنقبة عالية وذلك أن زيارته تمكن من زيارة أشرف مزار، وتوقف بالمسلم موقفاً لا يساويه أهل ولا دار، ولا درهم ولا دينار، توصله إلى قبر ضم أعظم رفات فكان بذلك أقدس بقعة في العالمين، وأشرف مكان

في السمـوات والأرضين، هو قبر محمـد ﷺ خلاصة الأنبيـاء وصفوة المرسلين وسيد جميع العالمين. صلى الله عليه وآله وصحابته أجمعين .

شرف الوقوف على قبر الرسول ﷺ والسلام على من قرب عليه، وعلى صاحبيه

أي مؤمن صادق الإيمان، وأي مسلم صحيح الإسلام لا يشعر بالشرف والفخار عندما يقف أمام نبيه ورسوله وحبيبه وشفيعه وقائده ورائده فيسلم عليه وعلى صاحبيه سلاماً ملؤه الإجـلال والإكبار، والتعظيم والوقار؟

وأي مؤمن كامل الإيمان، وأي مسلم حسن الإسلام لا يحن شوقاً لرؤية حجرة ضمنت خير مولود، وسيد الوجود .

وما حب الديار شغفن قلبي ولـكن حب من سكن الديار

ولهذا لم يزل المسلمون قديماً وحديثاً يتشوقون بل يتحرقون لرؤية المدينة وما ضمنت من آثار عظام . وما حوت من بركات للنبوة جسام. بها مسجد الرسول ﷺ وقبره، ومسجد قباء وفضله وأحد وشهداؤه، والبقيع ونقباؤه كل ذلك جعل المسلم يجتهد في اغتنام فرصة أداء فريضة الحج ليهيء بها له ظروفاً تمكنه من الحصول على أعظم قربة وخير وسيلة، وأشرف نافلة، تلك هي زيارة مسجد

الرسول، والصلاة والسلام من قرب على خير فاضل ومفضل، صلى الله عليه وآله ما قال قائل وأحسن القول .

كيفية زيارة المسجد النبوي، والسلام على الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحبيه

لما كانت زيارة المسجد النبوي مشروعة بإذن الشارع فهي إذاً قربة وعبادة وكل عبادة تفتقر إلى نية لقوله ﷺ (إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل أمريء ما نوى) فيتعين على من أراد زيارة المسجد النبوي أن ينوي بزيارته التقرب إلى الله تعالى ثم إن هذه الزيارة لا تختص ككثير من أنواع القربات والطاعات التي جعل الشارع زمنها مطلقاً كالعمرة مثلاً تصح في أي وقت من أوقات السنة .

وبناء على هذا فتخصيص زيارة المسجد النبوي برجب، وإطلاق اسم الرجبية على هذه الزيارة ليس بمعروف شرعاً، بل هو من تحسين الرجال، ومبتدعات الضلال فالأقرب إلى الشريعة والذي ينبغي إتباعه أن لا يخصص شهر خاص من شهور السنة لزيارة المسجد النبوي، بل يراعي كل زائر ظروفه ومصلحته .

ولذا كان لا مانع من فعلها في وقت أداء فريضة الحج؛ لأن العلة في ذلك ظاهرة وهي الاقتصاد في النفقة، والتجنب للكلفة المترتبة على إنشاء سفر خاص تهيء له ظروفه وتعد له أزودته .

فمن عزم على زيارة المسجد النبوي فيطلب مكسبه، وليختر رفقته، ولينو بزيارته التقرب إلى الله، والاستنان بسنة رسول الله ﷺ لأن الله تعالى يتقرب إليه بالفرائض والنوافل، والرسول يتحبب إليه بالعمل بسنته واتباع طريقته وقد سن عليه الصلاة والسلام هذه الزيارة ورغب فيها بقوله (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى) فإذا وصل الزائر المدينة المنورة يحسن به أن يتطهر ويتطيب ويلبس زينته ﴿**يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد**﴾ ويأتي المسجد النبوي فإذا دخل قدم رجله اليمنى كما هي السنة في دخول سائر المساجد، ثم يقول باسم الله والصلاة والسلام على رسول الله، اللهم أغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك، ثم إذا صادف الصلاة قائمة صلى مع الجماعة الصلاة المكتوبة، وإلا قصد الروضة المباركة إن أمكنه ذلك أو أي ناحية من نواحي المسجد فيصلي ركعتين لله تعالى بنية تحية المسجد، إن كان في وقت لا تكره النافلة فيه، ثم يقصد الحجرة الشريفة فيقف مستقبل المواجهة الشريفة فيسلم على الرسول ﷺ قائلاً: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته

السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا نبي الله، السلام عليك يأكرم الخلق على الله ويصلي عليه قائلاً: صلى الله عليك وعلى آلك وأزواجك وذرياتك أجمعين، وبارك عليك وعلى آلك وأزواجك وذرياتك أجمعين كما صلي وبارك على إبراهيم وآل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد. صلى الله عليه أفضل صلاة وأطيبها وأتمها وأزكاها .

ثم يتنحى قليلاً إلى اليمين فيسلم على أبي بكر الصديق رضي الله عنه قائلاً: السلام عليك أبا بكر الصديق صفي رسول الله وثالثه في الغار جزاك الله عن أمة سيدنا محمد خيراً، يتنحى أيضاً قليلاً إلى يمينه ويسلم على عمر بن الخطاب رضي الله عنه قائلاً: السلام عليك عمر الفاروق ورحمة الله وبركاته جزاك الله عن أمة رسول الله ﷺ خيراً .

وإذا أراد أن يتوسل إلى الله تعالى بزيارته لمسجد نبيه، وبالصلاة والسلام على رسوله ﷺ فلا مانع؛ لأن هذه الزيارة وهذا السلام من العبادات المشروعة والتي يتقرب بمثلها إلى الله تعالى، فليقف أو يجلس مستقبل القبلة في أي ناحية من نواحي المسجد شاء، ثم ليسأل الله تعالى حاجته وليتخير من الدعاء أعجبه إليه فقمن أن يستجاب له بشرط أن لا يتعدي في دعائه؛ لأن الله نهى عن الإعتداء في الدعاء فقال ﴿**ادعو ربكم تضرعاً وخيفة إنه لا يحب المعتدين**﴾.

ومن الإعتداء في الدعاء أن يسأل إثماً ذو قطيعة رحم، أو يسأل شيئاً جرت سنة الله تعالى أن لا ينال إلا بأسبابه الخاصة وهو لا يطلب تلك الأسباب ولا يعمل على إعدادها كان يسأل الولد وهو راغب عن سنة الزواج فلم يتزوج، أو يسأل نصراً على أعدائه وهو لم يعد لقتالهم عدة، ولم يوطن نفسه لمحاربتهم. وباختصار، فلا يسأل شيئاً من ذوات الأسباب حتى يحضر سببه، ويضع مقدمته، وإلا فهو معتد في دعائه لا يستجاب[1] له، ولا يظهر برضى الله تعالى حيث عصاه .

---

(١) ومما يوضح المعنى الذي أشرنا إليه: الرسول ﷺ كان في اختفائه بغار ثور أثناء طلب قريش له وحكمت عليه بالاعدام، كان في اختفائه هذا عمل بالأسباب فإنه لم يكن يمكنه في هذه الحال أكثر من أن يطلب مكاناً يختفي به عن أعين أعدائه، وكذا في غزوة بدر فإنه ﷺ بعد ما أعد أصحابه للقتال وعين لهم مراكزهم سأل ربه النصر وأستغاث به ﴿إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم﴾ الآية .

فهديه ﷺ هو إتيان الأسباب المشروعة، وإعداد كل ما يمكن إعداده لتحقيق غرضه ثم يسأل ربه حيث أنه هو مسبب الأسباب وواضعها سبحانه وتعالى .

هذا ويجب أن نعلم أن الله قد يعطي بدون الأسباب العادية إن شاء فإن الأسباب خاضعة لأمره وتدبيره، وإنما ليس من المنطق والحكمة أن يعصي العبد ربه بتفريطه فيما وضع من أسباب النصر كإعداد السلاح، والثبات وطاعة قائد المعركة وعدم التنازع، وذكر الله في وعده ووعيده، والإخلاص في الجهاد لله ثم يطلب النصر على أعدائه ممن عصاه وفرط في أمره وتلاعب بنهيه. وهناك حالة أخرى تكون الأسباب فيها هي دعاء الله والتضرع له والاطراح بين يديه كلية. وهذه الحالة هي عندما يعدم العبد الأسباب العادية، ويعجز بالمرة على إحضارها، فأسباب فوزه هنا في هذا الوطن هي قوة الرجاء في الله والتفويض والتوجه وهذه الحال هي التي كانت للرسول ﷺ في غار ثور لما قال لصاحبه وقد بدت عليه آثار الألم والخوف والحزن (لا تخف إن الله معنا ما بالك باثنين الله ثالثهما) .

بعض الأماكن الفاضلة
سوى المسجد النبوي بالمدينة المنورة

١ ـــ مسجد قبـاء :

مسجد قباء مسجد فاضل شريف نوه القرآن بشأنه وشأن أهله فقال ﴿**لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه، فيه رجال يحبون أن يطهروا والله يحب المطهرين**﴾[١] .

وسن الرسول صلوات الله وسلامه عليه زيارته بالفعل والقول فقد كان يزوره ﷺ ماشياً وراكباً، وكذا بعض أصحابه؛ وقال (من تطهر في بيته وأحسن الطهور، ثم أتى مسجد قباء لا يريد إلا الصلاة فيه كان له كأجر عمرة) .

وبناء على هذا فمن أكرمه الحق جل وعلا من المسلمين بزيارة المسجد النبوي، وشرفه، بالسلام من قرب على نبيه ﷺ وحل بالمدينة الفاضلة يتمتع ببركاتها. وينعم برؤية آثارها فلا يحرمن نفسه من زيارة هذا المسجد الفاضل للحصول على الأجر الموعود على زيارته والصلاة فيه بقوله ﷺ (كان له كأجر عمرة) في الحديث الآنف الذكر .

---

(١) الآية من سورة التوبة .

أما أن يأتيه إستقلالاً ويشد لزيارته من بلده رحالاً فليس بالأمر المشروع بل هو من الممنوع بحديث (لاتشد الرحال إلا لثلاثة مساجد) ولم يكن مسجد قباء من بينها فليسعنا ما شرع وليغننا عما منع ولا ندهش لهذا أو ننفعل فإن كثيراً من الفرائض تأخرنا عن أدائها، وإن عظيماً من المستحبات والفضائل لم نقم بعملها ولا بالقليل منها، وإذا كنا كذلك فلم نتشوف إلى فعل مالم ننتدب لفعله أم أحب شيء إلى الإنسان ما منع؟ .

٢ ــ الشهداء :

إن زيارة شهداء أحد وعلى رأسهم حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ زيارة مسنونة فاضلة مشروعة، فقد أخرج أبو داود في سننه عن ربيعة قال: ما سمعت طلحة بن عبيد الله يحدث عن رسول الله ﷺ حديثاً قط غير حديث واحد قال: قلت وما هو؟ قال خرجنا مع رسول الله ﷺ يريد قبور الشهداء حتى إذا أشرفنا على حرة وأقم[1] فلما تدلينا منها وإذا بقبور بمحنية[2] قال قلنا يا رسول الله أقبور إخواننا هذه؟ قال: قبور أصحابنا، فلما جئنا قبور الشهداء قال: هذه قبور إخواننا. وبعد كل هذا فأي حرج، أي بأس

---

(١) وأقم : أطم من آطام المدينة. وأطم بضمتين. الحصن .

(٢) انعطاف الوادي .

في أن يخرج المدني أو زائر المسجد النبوي في ساعات أيامه بقصد زيارة الشهداء فيسلم عليهم ويدعو لهم اقتداء بفعل رسول الله ﷺ، وطلباً للأجر من الله، جزاء ما خطا من خطوات، وما قام به من دعوات، مع ما يعود به من الذكرى، وما يحدث له من الفكرة؛ لأن زيارة القبور عللت بأنها تذكر الآخرة فقد صح عنه عليه الصلاة والسلام قوله (قد نهيتكم عن زيارة القبور فأذن لمحمد في زيارة قبر أمه فزوروها فإنها تذكركم الآخرة) .

ومعلوم أن من ذكر الآخرة رق طبعه، وصفا تبعه، وصلح فكره، ومات حب المال في قلبه، وتلطفت حدة الشهوات في نفسه، وإذا كانت زيارة القبور تكسب هذا الذي عجزت عن تحقيقه مدارس اليوم وكلياته وقوانين تربيته فلم لا يبيح الرسول ﷺ زيارتها، بل لم لا يدعو إليها وهو المربي الكبير، والمعلم القدير، صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم السلام الكثير .

٣ ــ أحــد :

من الأماكن الفاضلة بالمدينة سوى ما ذكر (أحد) ذلك الجبل الأشم الذي يكشف من شمالها إلى شرقها فيكسوها هيبة وجلالاً، ويزيدها بهجة وجمالاً. أحد ذلك الجبل المشتق من الوحدانيـة، والذي يبشر الزائر بقرب الوصول، ويهنىء المتيم إذا بدا له بقرب غاية المأمول. أحد ذلك الجبل الذي اهتز فرحاً وهاج وماج طرباً

لما علاه رسول الله ﷺ وثلاثة من خلفائه ووزرائه أبي بكر وعمر وعثمان، فهدأ الرسول ﷺ من اهتزازاته، وخفف من اضطراباته حين ضربه برجله وقال اسكن يا جبل فما عليك إلا نبي وصديق وشهيدان .

أحد جبل قال فيه رسول الله ﷺ، فيما يرويه مالك في موطئه: إن أنساً قال: إن رسول الله ﷺ لما طلع له أحد قال: هذا جبل يحبنا ونحبه، وفي رواية يحبنا ونحبه وهو جبل من جبال الجنة، وفي أخرى: أحد ركن من أركان الجنة .

فجبل هذا خصائصه ومزاياه لا مانع من أن يقف الزائر دونه يجيل فيه البصر ويجني من ربوضه وطول جثومه العبر، بيد أنه للأسف قل من يقصد أحداً لهذا وإنما يقصد للاستشفاع به والدعاء عنده ولطلب الحاجات يرجوه ومتى كان للجبل جاه؟ حتى صار كغيره من كثير من الآثار الإسلامية فتنة للتوحيد وشركاً للشيطان يوقع فيه أهل الإيمان، فيسلبهم روح الإيمان، وينتزع منهم حقيقة الإسلام وعصب الإخلاص والإحسان. ولا حول ولا قوة إلا بالله .

٤ ـــ مقبرة البقيع :

هل علينا شيء بعد أن آمنا أن قبور المؤمنين الصالحين تحول عليهم روضة من رياض الجنة إن نحن قلنا كما يقول الكثير من أهل

(البقيع جنة الدنيا) ما أسماه عبارة! وما أصدقه تعبيراً!

البقيع هي تلك المقبرة التي ضمت تربتها أكثر من عشرة آلاف صحابي، وأمثال هذا العدد من التابعين، وعشرات أمثاله من السابقين الأولين، والصالحين الآخرين. فمن ذا الذي يرغب عن زيارة هذا المستودع البشري الهائل الذي جمع سادات الأمة وأشرافها الصالحين. إن جل أهل البقيع من أولياء الله وأحبائه الذين قرر موالاتهم، وأوجب محبتهم .

إن من أحب الله ووالاه، أحب أولياءه ووالاهم، وعلامة ذلك الاهتداء بهديهم والسير في منارهم، واتباع آثارهم، وزيارة قبورهم للترضي والترحم عنهم والاستغفار لهم، والسلام عليهم، وليس من شك في أن هذه الزيارة الشرعية غير البدعية ستعود على الزائر العارف بكثير من الأجور؛ لأنه ما أحب إلا في الله وما زار إلا له. فكيف إذا عمله، والله يقول ﴿**إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا**﴾ .

خلاصة القول: إن زيارة أهل البقيع مستحبة فاضلة لمن كان مقيماً بالمدينة وسواء أتاها زائراً، أو سكنها مهاجراً، ما دام الزائر يعرف آداب الزيارة وشروطها. أما إذا كان بذلك جاهلاً، فخير له أن يلزم مكانة، وأن يغض بصره، ويصون لسانه؛ فإن زيارة الجهلاء

كسب آثام، وقل ما تخلو من الشرك الحرام؛ فإنهم بدل ما يدعون للأموات يدعونهم، وبدل ما يرجون لهم يرجونهم وبدل ما يجعلون مشيتهم وسلامهم وترحمهم وسيلة إلى رضا الله يجعلون ذلك وسيلة إلى رضا الأموات لتقضي بحاجتهم الحاجات، وهذه ــ والعياذ بالله تعالى ــ شر الزيارات، وأعظم المنكرات .

غفرانك اللهم للأحياء والأموات .

شروط زيارة القبور وآدابها

الشـروط :

١ ــ أن يكون القبر في البلد الذي يقيم فيه الزائر، أو في ضاحية من ضواحيه فإن كان القبر بعيداً عن الزائر بحيث يعد لذلك رحلا وزاداً فلا تستحب الزيارة بحال؛ لأن الشارع لم يأذن في ذلك فلم ينزل بها قرآن، ولم تقم بها سنة النبي عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام، بل إن الشارع قد نهى عن ذلك نهياً أكيداً حيث جاء بصيغة النفي التي هي عند أهل بلاغة الكلام آكد من صيغة النهي الدالة على التحريم فقد صح عنه ﷺ قوله (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ــ الحديث) فلم يبق مكان آخر تشد لزيارته الرحال من المساجد فضلاً عن القبور والمشاهد .

٢ ـــ أن يقصد بتلك الزيارة ثواب الله حيث زار أوليائه وترحم على عبيده واستغفر لهم .

٣ ـــ أن يقصدها لأجل الدعاء عندها لا لنفسه ولا لغيره، ولا لأن يتوسل بأصحابها إلى ربه تعالى ولا لأن يصلي فيها نافلة من النوافل أو فريضة من الفرائض.

٤ ـــ أن لا يضع عليها سرجاً أو بخوراً، وأن لا يأخذ من تربتها ما يتبرك به، وأن لا يتمسح بها، أو يقبلها، أو يذبح لها، أو بإسمها، أو عندها .

الآداب :

١ ـــ أن لا تتكرر الزيارة حتى تبلغ حداً من الكثرة يلحقها بالغلو المحرم في الدين .

٢ ـــ أن يسلم على أهل المقبرة بسلام رسول الله ﷺ ويدعو لهم بدعائه عليه الصلاة والسلام وهو: (السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، ويرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين، نسأل الله لنا ولكم العافية، اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم، وأغفر لنا ولهم) .

٣ ـــ أن لا يطأ القبور، وأن لا يجلس عليها.

٤ ـــ أن يتجنب البدع كالاجتماع حول القبر لقراءة القرآن، أو للبكاء والنياحة أو لتوزيع الأطعمة وأكلها هناك .

٥ ـــ أن يبتعد عن اللهو والمزاح والهزل والضحك وكل ما من شأنه أن يضعف التذكر في نفسه والخشوع من قلبه .

حكمة زيارة القبـور

إن زيارة القبور، والوقوف عليها لم تكن قبل أن ينظمها الدين ويهذبها سوى استجابة لداعي الحزن على فراق الأقارب والخلان الذي هو أحد غرائز البشر فزيارة القبور والبكاء عندها معروفة عند سائر الأمم والشعوب البشرية قديماً وحديثاً، غير أنها تتطور أحياناً إلى أن تصبح ذات طابع ديني بحت فيقصد الغير لا بدافع الحزن والشوق إلى صاحبه والحنين إليه، ولكن بقصد التقرب إليه لما يعتقد من صلاحه، وطلب الحاجة عنده لما له عند ذي السلطان الغبي الذي يشعر عامة البشر بالافتقار إليه من مكانة وجاه، فيتوسل إليه بالقبور المظنون الصلاح، وقد يتحول هذا التوسل والاستشفاع بصاحب القبر إلى عبادة محضة فيدعى صاحب القبر مباشرة، وتذبح له الذبائح. وتقرب إليه كثير من القرابين. وما قصة التنزيل الحكيم من عبادة قوم نوح لود وسواع، ويغوث ويعوق ونسر كاف في الاستدلال على صحة ماقلناه. وما هو مشاهد اليوم من عبادة النصارى للصليب وعبادة بعض المسلمين للقبور والأضرحة

بالتوسل والاستشفاع بأصحابها، كدعائهم، والإستغاثة بهم وذبح الذبائح لهم، والحلف باسمائهم وما إلى ذلك من مصرف العبادات الكثيرة إليهم يزيد الأمر جلاءاً وظهوراً ومن هذا الذي تقدم نعرف السر في نهي الرسول ﷺ عن زيارة القبور في أول الأمر، وهو خشية فتنة الشرك لهذه الأمة ــ ولكن لما كان قدر الله نافذاً ــ وليتحقق خبر الصادق المصدوق ﷺ (لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع) الحديث أباح عليه الصلاة والسلام زيارة القبور التي نهى عنها أباحها الرجال وكرهها للنساء. لأن الرجال أكمل عقولاً من النساء وأقوى إرادة منهن .

ووقع ما خافه رسول الله ﷺ وتخوف منه فظهرت فتنة الشرك في الأمة فأقيمت للقبور الحفلات الرسمية السنوية وهي أيبه شيء بأعياد الوثنيين التي يقيمونها لآلهتم، وذبح لها وباسمها قطعان الأبقار والأغنام، وجعلت لها أنصبة كاملة من الحرث والأنعام ونذرت لها النذور، ونسبت إليها البنون والبنات، ونقل إليها للاستفتاء بجاهها أصحاب الأمراض والعاهات.

هذا وأما تهذيب الدين وتنظيمه لهذه العادة البشرية فهو بما جعله لحكمة وسر لها تؤتى من أجله، فقد جعلها وسيلة لذكر الموت، وتذكر الآخرة، وهما من عوامل تهذيب الشعور البشري، وترقية

فطرة الإنسان وطبعه، وتزكية نفسه، وتطييب روحه، كما جعلها وسيلة لنفع متبادل بين الحي والميت، فالميت قد تصيبه دعوة صالحة يرفع بها درجات، أو يخفف عنه بها العذاب بضع سنوات، والحي قد يكتسب بما قام به من دعاء واستغفار وترحم جزاء العاملين وثواب المحسنين، مع ما يرجع به من المقبرة من تغير في نظره إلى الحياة الفانية، ومن استعداده للتزود إلى الحياة الباقية، تلك الحياة التي قوي شعوره بحقيقتها، وقصد عزمه على الرحيل إليها. وفي نفس الوقت أشبع غريزة الحزن في نفسه بوقوفه على قبر قريبة أو خليله، وكان بذلك قد قضى حجاً وحاجة كما يقولون. وهذا أخيراً ملخص الحكمة في زيارة القبور:

١ ــ تذكر الآخرة ــ وهو يحمل على التزود إليها بالإيمان والعمل الصالح.

٢ ــ ذكر الموت وهو يهذب النفس ويخفف من حدة الطبع ويقلل من دواعي الشهوات .

٣ ــ نفع أصحاب القبور بالاستغفار والدعاء لهم، والترحم لهم والسلام عليهم .

٤ ــ انتفاع الزائر بالأجر على ما قام به من استغفار ودعاء وسلام. هذه بعض حكم الزيادة للقبور التي تؤتى المقابر من أجلها ومن قصد القبور لغيرها فإنه بدون شك يعود مأزوراً غير مأجور ومدسي النفس غير مزكاها وتلك خيبة لا يعلم إلا الله مداها .

فهـرس الكتـــاب

الموضـــــوع	الصفحة
المقدمــة	٥ ــ ٦
الأدعية والذكر	٦ ــ ٤١
فوائد وكنوز عظيمة	٤٢ ــ ٦١
الفرج بعد الشدة	٦٢ ــ ٧٧
وقوع ما أخبر به سيد البشر ﷺ	٧٨
من ترك شيئاً عوضه الله خيراً منه	٧٩ ــ ٨٠
معجزة عظيمة وكرامة سيد البشر ﷺ	٨١ ــ ٨٢
ورع عمر وتقواه	٨٣ ــ ٨٤
كنوز عظيمة	٨٤
أحاديث الطب	٨٥ ــ ٨٧
هدي المصطفى ﷺ بالاقتصاد	٨٨
العسل غذاء وشفاء من كل داء	٨٩،٩٠،٩١
علاج الحمى بماء زمزم	٩١،٩٢
ماء زمزم معجزة عظيمة وشفاء من كل داء	٩٢ ــ ٩٥
كنوز عظيمة الأدوية القلبية والروحية من أقوى الأسباب لإزالة الأمراض	٩٦ ــ ٩٧

الموضـــــوع	الصفحة
جميع الخلق مسافرون إلى الله	٩٨ ــ ١٠٠
فقدان العلم بفقدان أهله رثا للشيخ سعد بن عتيق رحمه الله والشيخ العجيرى يرثيها شاعر نجد	١٠٠ ــ ١١٠
بعض معجزات الرسول وكراماته	١١١ ــ ١١٦
بعض كرامات ومعجزات هذا لأمة	١١٦ ــ ١٢٠
عشرة أشياء ضائعة	١٢٠
كنوز عظيمة وحكم جليلة	١٢١ ــ ١٢٢
من أعجب الأشياء	١٢٢
من عرف نفسه عرف ربه ومعرفة الله	١٢٣ ــ ١٢٦
العلم وفضله	١٢٧ ــ ١٢٩
فضل أهل العلم	١٣٠ ــ ١٤٨
نعم الله على خلقه لا تحصى	١٤٩ ــ ١٥٤
عسل النحل شفاء من كل داء	١٥٤ ــ ١٥٦
تأملات وعظات وفوائد من هذا الخلق صغير الحجم عظيم الفائدة النملة	١٥٧ ــ ١٧١
الذكر ومذاكرة العلم شاهد على دخول الدذار	١٧٢ ــ ١٧٣
العسل شفاء للقلوب والأبدان	١٧٣
ماء زمزم والعسل شفاء من كل سقم	١٧٤
القرآن شفاء من كل داء	١٧٤ ــ ١٧٦

الموضـــــوع	الصفحة
ترجمة العلامة الشيخ محمد بن عمر بن سليم من علماء القصيم رحمه الله	١٧٧ ــ ٢١٦
ترجمة للشيخ العلامة عبد الله بن الشيخ محمد بن سليم رحمه الله	٢١٦ ــ ٢٤٤
ترجمة الشيخ العلامة عمر بن محمد بن سليم رحمه الله	٢٤٥ ــ ٣١٣
ترجمة لشيخ الإسلام والإمام العلامة تقي الدين ابن تيمية الحراني رحمه الله	٣١٤ ــ ٣٤٤
ترجمة الشيخ الإمام العلامة شمس الدين ابن القيم الجوزية	٣٤٤ ــ ٣٥٦
ترجمة العلامة الإمام ابن الجوزى	٣٥٧ ــ ٣٦٤
ملحق عظيم الفائدة الترغيب في سكنى مكة المكرمة والمدينة المنورة وما ورد فيها من الفضل العظيم ومضاعفة الحسنات	٣٦٥ ــ ٣٩٣
بعض الأماكن الفاصلة سوى مكة والمدينة	٣٩٤ ــ ٣٩٧
شروط زيارة القبور والحكمة بزيارتها	٣٧٨ ــ ٤٠١

المـــــراجع

١ ــ القرآن الكريم .

٢ ــ شفاء الغرام في أخبار البلد الحرام .

٣ ــ مفتاح دار السعادة .

٤ ــ زاد المعاد ابن القيم .

٥ ــ الفوائد لابن القيم .

٦ ــ البداية والنهاية ابن كثير .

٧ ــ الحاج المبرور للجزائري .

٨ ــ أخبار الكرم بأخبار البلد الحرام .

٨ ــ أخبار الكرم بأخبار البلد الحرام .

٩ ــ الاصابة في تاريخ الصحابة .

١٠ ــ إحياء علوم الدين .

١١ ــ مرآة الحرمين

١٢ ــ قصص القرآن .

١٣ ــ المقام لطاهى الكري .

١٤ ــ تاريخ الكعبة للشيخ باسلام .

١٥ ــ الألطاف الربانية فى أذكار الحج الروحانية للشيخ عبد الله ابن فهد العيسى وفيه بقية المراجع .

١٦ ــ علماء آل سليم وعلماء القصيم للشيخ صالح بن سليمان العمرى .

١٧ ــ شفاء العليل لابن القيم .

١٨ ــ الأمثال في القرآن الكريم .

١٩ ــ ظلال القرآن للسيد قطب .

٢٠ ــ الطلب النبوي ابن القيم .

وصلى الله على أفضل الخلق، وأشرف الأنبياء وخاتم المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيراً. ورضي الله عن كل من عمل على إحياء سنن ذلك النبي الكريم وبذل وسعه في دلالة الناس عليها وتنزيهها عن إلحاد الملحدين، وتحريف المبطلين. وغلو الغالين. وجهالة الجاهلين .

والحمد لله أولا وآخراً، وظاهراً وباطناً .









